

رسالة

يا بني

بقلم

طيب عوض منصور

وفقهُ اللهُ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى

١٤٤٢هـ

تقديم السيد العلامة :

محمد عبد الله عوض

حفظه الله

منشورات



مُقَدِّمَةٌ

السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ:

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَوْضُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

وَبَعْدُ:

فَهَذِهِ نَصَائِحٌ وَإِرْشَادَاتٌ مِنْ نَاصِحٍ مُشْفِقٍ، هُوَ الْوَلَدُ الْعَلَامَةُ طَيْبُ عَوْضٍ مَنْصُورٍ، شَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُ، وَبَلَغَهُ أَمَلُهُ، وَأَصْلَحَ عَمَلُهُ وَبَارَكَ فِي ذُرِّيَّتِهِ.

وَهُوَ مِنَ الْمُرْشِدِينَ الْمُخْلِصِينَ، الْمُجْتَهِدِينَ فِي الدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرَ الْجُزَاءِ، يُسْتَحْسَنُ أَنْ يَسْتَصْحِبَهَا الطَّالِبُ وَالْمُرْشِدُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَوْضُ

١٤٤٢/٥/١٤ هـ

مُقَدِّمَةٌ

السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ:

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَوْضُ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِخَطِّ يَدِهِ الْمُبَارَكَةِ

زَيْدُ بْنُ جَعْفَرٍ
 رَحِمَهُ اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ
 وَبَعْدُ
 فَهَذِهِ رِضَايُكَ وَارْتِثْ دَائِمًا مِنْ بَاصِحِ شَفَقٍ هُوَ
 الدَّلِيلُ الْعَوْرَةُ طَلِيبُ عَوْضٍ فَتُصَوِّرُ تَسْكِينًا
 حَسَنًا وَبَلِغَةً أَمَلَهُ وَأَصْلَحَ عَمَلَهُ وَبَارَكَ
 فِيهِ دَرِيقَةً رَهْمًا الْمُرْتَدِّينَ الْمُخْلِصِينَ
 الْحَبِيبِينَ مِنَ الدُّعَا وَالْإِشَادِ جَزَاهُ خَيْرُ
 الْجَزَاءِ بِتَحْسِنِ أَنْ تَصْحَبَ الطَّالِبَ
 وَالْمُرْتَدِّ وَالْحَبِيبَ وَالْمُرْتَدِّ
 رَحِمَهُ اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ
 بِحَسَنَةِ يَدِهِ الْمُبَارَكَةِ

١٤/٥/٤٤٢ هـ

إِهْدَاؤُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ
وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ...

وَبَعْدُ:

فَإِنِّي أُهْدِي هَذَا الْجُهْدَ الْمُتَوَاضِعَ:
إِلَى أَوْلَادِي وَفَلَذَاتِ كَبْدِي، وَثَمَرَةِ فُؤَادِي، وَقُرَّةِ عَيْنِي.
إِلَى أَحْبَابِ قَلْبِي، وَرِيحَانَةِ حَيَاتِي، وَبَهْجَةِ نَفْسِي.
إِلَى جَمِيعِ أُنْبَائِي، وَبَنَاتِي، الْبَرَّةِ، زِينَةُ الْحَيَاةِ، وَتَرْيَاقِ الْوُجُودِ
وَبَسْمَةِ السَّعَادَةِ..

إِلَى أُنْبَائِي، وَبَنَاتِي، وَأَحْفَادِي، وَإِخْوَتِي، وَأَخَوَاتِي الْأَعْزَاءِ.
أُهْدِي إِلَيْكُمْ جَمِيعاً هَذِهِ الرَّسَالَةُ الْمُتَوَاضِعَةُ.
سَأْتِلَا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنِّي هَذَا الْجُهْدَ الْمُتَوَاضِعَ، وَأَنْ يَجْعَلَ
عَمَلِي هَذَا خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَوَسِيلَةً إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأَنْ
يَنْفَعَ بِهِ مُؤَلَّفَهُ، وَمَنْ نَظَرَ فِيهِ، أَوْ طَالَعَهُ، أَوْ عَمَلَ بِمَا فِيهِ، أَوْ

اسْتَفَادَ مِنْهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ عَامَّ النَّفْعِ وَالْبَرَكََةِ لِكُلِّ قَاصٍ وَدَانٍ، إِنَّهُ خَيْرُ مَأْمُولٍ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لِكَمَالِهَا، وَالنَّفْعَ بِهَا، وَمِنْ اللَّهِ أَسْتَمِدُّ الْمَعُونَةَ وَأَسْتَلْهِمُهُ التَّوْفِيقَ وَالْعِصْمَةَ، وَأَسْتَعِيزُهُ مِنْ خَطَا الْجَنَانِ قَبْلَ خَطَا اللِّسَانِ، وَمِنْ زَلَّةِ الْكَلِمِ قَبْلَ زَلَّةِ الْقَدَمِ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ...

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ....

طِيبُ عَوْضٍ مَنْصُورٍ

وَفَّقَهُ اللَّهُ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى

١٤٤٢هـ

**

*

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَّفَ الْأُمُورَ بِتَدْبِيرِهِ، وَزَيَّنَ صُورَةَ الْإِنْسَانِ بِحُسْنِ تَقْوِيمِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَفَوَّضَ تَحْسِينَ الْأَخْلَاقِ إِلَى اجْتِهَادِ الْعَبْدِ وَتَشْمِيرِهِ، وَاسْتَحْتَهُ عَلَى تَهْذِيبِهَا بِتَخْوِيفِهِ وَتَحْذِيرِهِ، وَسَهَّلَ عَلَى خَوَاصِّ عِبَادِهِ تَهْذِيبَ الْأَخْلَاقِ بِتَوْفِيقِهِ وَتَيْسِيرِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُنْعِمٌ عَجَّتْ بَنَائِهِ الْأَلْسُنُ وَالْأَصْوَاتُ، وَمُكْرِمٌ رَجَّتْهُ الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ، الْقَائِلُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، الْقَائِلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجُمْرِ}.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا..

أَمَّا بَعْدُ:

يَا بُنَيَّ: فَإِنِّي أُقَدِّمُ لَكَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ مِنْ قَلْبِ أَبِي مُحِبٍّ، مُشْفِقٍ عَلَيْكَ، يُرِيدُ لَكَ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَلَاحَ فِي الْآخِرَةِ، وَيَتِمَّنِي لَكَ الرَّفْعَةَ وَالشَّرَفَ، إِنَّ أَنْتَ حَفِظْتَهَا.

نَعَمْ يَا بُنَيَّ: إِنَّهَا رِسَالَةٌ مِنْ قَلْبِ أَبِي مُحِبٍّ مُشْفِقٍ عَلَيْكَ، قَدْ جَرَّبَ الْأُمُورَ، وَعَرَكْتُهِ الْحَيَاةَ، وَصَقَلْتُهُ التَّجَارِبَ، خَيْرَهَا وَشَرَّهَا وَقَاسَى وَيَلَاتَهَا، وَذَاقَ حُلُوهَا وَمُرَّهَا، وَعَاشَ آلَامَهَا وَمَصَائِبَهَا..

يَا بُنَيَّ: إِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ قَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى وَصَايَا جَلِيلَةٍ، وَفَوَائِدَ جَمَّةٍ نَفِيسَةٍ، اسْتَخْرَجْتُهَا لَكَ مِنْ مَكْنُونِ نُصْحِي، وَصَدَقْتُكَ فِيهَا النَّصِيحَةَ، فَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ فِيهَا مِنَ النَّصَائِحِ الْكَافِيَةِ، وَالْمَوَاعِظِ الشَّافِيَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْحُسْنَى، وَالْآدَابِ الْفَاضِلَةِ، بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةُ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا.

فَخُذْ بِهَا، وَاجْعَلْهَا نُصْبَ عَيْنِكَ، يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا وَوَلَدَكَ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَرْحَمُكَ اللَّهُ بِهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ.

فَاتَّعِظْ بِهَذِهِ النَّصَائِحِ، وَاقْبَلْ هَذِهِ الْوَصَايَا، تَكُنْ لَكَ ضِيَاءً وَنُورًا فِي دُنْيَاكَ، وَدُخْرًا فِي آخِرَتِكَ، فَإِنَّ مَنْ قَبِلَ النَّصِيحَةَ أَمِنَ الْفُضِيحَةَ.

وَمَا أَظُنُّكَ إِلَّا كَذَلِكَ.

فَلْتَسْمَعْ النَّصِيحَةَ وَالْعِتَابَ، مِنْ أَبِي يَرْجُو لَكَ حُسْنَ الثَّوَابِ
وَيَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا تَغْضَبْ فَالْحَقُّ أَوْلَى أَنْ يُجَابَ
فَهَذِهِ مُحَضَّ نَصِيحَتِي لَكَ، قَصَدْتُ بِهَا نَفْعَكَ، وَدَفَعُ مَا يَضُرُّكَ
وَالدِّينُ النَّصِيحَةُ:

إِنِّي نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِنَصِيحَتِي *** وَنَهَيْتُ فَاتَّبِعْ قَوْلَ مَنْ يَنْهَاكَ
وَبَذَلْتُ قَوْلِي نَاصِحًا لَكَ يَا فَتَى *** فَعَسَاكَ تَقْبَلُ مَا أَقُولُ عَسَاكَ
وَقَالَ آخَرُ:

فَلَأَقْصِدَنَّكَ بِالنَّصِيحَةِ وَالَّذِي *** حَجَّ الْحَجِيجُ إِلَيْهِ فَاقْبَلْ أَوْ دَعْ
فَبِصَوْتِ الْأَبِ الْمُشْفِقِ، وَكَلَامِ النَّاصِحِ الْمُنْذِرِ، أَقُولُ لَكَ:
هَذِهِ نَصِيحَتِي إِيَّاكَ، وَمَوْعِظَتِي لَكَ، فَخُذْهَا مِنِّي فَإِنَّكَ إِنْ أَخَذْتَ
بِهَا، يَكُنْ خَيْرًا لَكَ، فَإِنِّي كَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ، لَمْ أَلِكْ نُصْحًا، وَإِنِّي
لَأَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَحُسْنَ الْخِتَامِ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَأَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ، وَأَنْ يُسْكِنَنَا وَإِيَّاكُمْ
بُحْبُوحَةِ جَنَّتِهِ، وَأَنْ يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكُمْ لِمَطَاعَتِهِ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا مَعْصِيَتَهُ، وَأَنْ
يَهْدِينَا لِرُشْدِنَا، وَيُعَرِّفَنَا سَبِيلَ نَجَاتِنَا، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا
الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَأَنْ يُوفِّقَنَا جَمِيعًا لِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

وَأَنْ يُصْلَحَ قُلُوبَنَا وَأَعْمَالَنَا، وَأَنْ يَمُنَحَنَا جَمِيعاً التَّفَقُّهَ فِي دِينِهِ
وَالثَّبَاتَ عَلَيْهِ وَيَجْعَلَنَا مِنَ الْهَدَاةِ الْمُهْتَدِينَ، وَالصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ.
وَأَنْ يَغْفِرَ لِي وَلَكُمْ، وَلِوَالِدَيْنَا، وَلِمَشَائِخِنَا فِي الدِّينِ، وَلِمَنْ أَوْصَانَا
بِالدُّعَاءِ، وَلِمَنْ لَهُ حَقُّ عَلَيْنَا، وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَأَنْ
يُعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ
رُؤُوفٌ رَحِيمٌ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
الطَّاهِرِينَ، مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿إِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾....

بِاللَّهِ يَا قَارِئًا كُتِبِي وَسَامِعَهَا *** أَسْبِلْ عَلَيْهَا رِذَاءَ الْحُكْمِ وَالْكَرَمِ
وَاسْتُرْ بِلُطْفِكَ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ خَطَايَا * أَوْ أَصْلَحْنَاهُ ثُبَّ إِنَّ كُنْتَ ذَا فَهْمٍ
فَكَمْ جَوَادٍ كَبَى وَالسَّبْقُ عَادَتُهُ *** وَكَمْ حُسَامٍ نَبَا أَوْ عَادَ ذُو ثَلَمٍ
وَكُلُّنَا يَا أَخِي خَطَّاءُ ذُو زَلٍّ *** وَالْعُذْرُ يَقْبَلُهُ ذُو الْفَضْلِ وَالشِّيمِ

طَيْبُ عَوْضٍ مَنْصُورٍ
وَفَقَّهُ اللَّهِ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى

يَا بُنَيَّ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدُ

فَأَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ لِلْحَمْدِ أَهْلٌ، وَأُنِّي عَلَيْهِ
وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الثَّنَاءِ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى الرَّسُولِ الْأَمِينِ، وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.
ثُمَّ إِنِّي مُسَطَّرٌ لَكَ كَلِمَاتٍ خَطَّهَا مِدَادُ النَّصِيحَةِ، وَمُعَبَّرٌ لَكَ عَنْ
كَوَامِنِ فِي الصَّدْرِ فَجَرَّهَا دَافِعُ الْمَحَبَّةِ.

**فَمَعْدِرَةٌ يَا بُنَيَّ: إِنْ كَانَ فِي الْأَلْفَاظِ خُشُونَةٌ، أَوْ كَانَ فِي التَّعْبِيرِ
قَسْوَةٌ، لَكِنَّهَا قَسْوَةٌ الْمُحِبِّ.**

وَالدَّرَنُ يَا بُنَيَّ: قَدْ لَا يَزُولُ إِلَّا مَعَ بَعْضِ الْقَسْوَةِ.

**يَا بُنَيَّ: تَتَسَابَقُ الْكَلِمَاتُ، وَتَتَدَافِعُ الْمَوْضُوعَاتُ حِينَ أُرِيدُ أَنْ
أُسَطِّرَ لَكَ.**

فَأَشْعُرُ أَنَّ حَيْزَ هَذِهِ الرَّسَالَةِ قَدْ لَا يَتَّسِعُ لِمَا أُرِيدُ قَوْلَهُ، فَآثَرْتُ أَنْ
أُشِيرَ إِلَى أَهْمِهِ، تَنْبِيْهَا وَتَلْمِيْحًا، وَالْحُرُّ تَكْفِيْهِ الْإِشَارَةُ.

وَمَا لَمْ أُسْطِرْهُ لَكَ يَا بُنَيَّ: فَإِنَّمَا حَالَ دُونَهُ شُعُورِي أَنَّهُ مُسْتَقَرٌّ
لَدَيْكَ، وَلَمْ يَعُدْ بِحَاجَةٍ إِلَى إِشَارَةٍ، أَوْ شُعُورِي بِأَنَّ غَيْرَهُ اخْتَلَّ
الْمِسَاحَةُ دُونَهُ.

يَا بُنَيَّ: تَحُومُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ حَوْلَ الْبِرِّ وَحَقِيقَتِهِ، وَتَرْحَلُ بِكَ إِلَى
وَاقِعِ الْمَاضِينَ لِتَرَى نَمَازِجَ مِنْ ذَلِكَ.

وَتُعَرِّجُ عَلَى شُؤْمِ الْعُقُوقِ وَوَبَالِهِ، مُنَبِّهَةً عَلَى الْعُقُوقِ فِي الْفِكْرِ
وَالْمَنْهَجِ، وَهُوَ نَوْعٌ مُعَاصِرٌ مِنَ الْعُقُوقِ، ثُمَّ تَذِلُّ بِكَ إِلَى وَصَايَا
حَوْلِ الْفِتَنِ وَالشَّهَوَاتِ، وَالْاهْتِمَامَاتِ وَالِدَّوَافِعِ، مُذَكِّرَةً لَكَ بِمَوَاعِظِ
عَاجِلَةٍ، حَاكِئَةً لَكَ قِصَّةَ هَذَا الْمُجْتَمَعِ مِمَّا لَمْ تَرَهُ بِعَيْنِكَ وَرَأَاهُ
وَالِدُكَ.

فَأَرْعِنِي سَمْعَكَ، وَحَكْمَ عَقْلِكَ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَوَازِينَ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ.
يَا بُنَيَّ: هَا أَنْتَ بَلَغْتَ سِنَّ التَّكْلِيفِ، فَأَصْبَحْتَ رَجُلًا مَسْئُولًا
عَنْ أَعْمَالِكَ، وَمُحَاسَبٌ بِمَجْزِيٍّ عَلَيْهَا.

يَا بُنَيَّ: إِنَّ بُلُوغَكَ يَعْنِي أَنَّكَ أَصْبَحْتَ مُخَاطَبًا بِسَائِرِ التَّكَالِيفِ
الشَّرْعِيَّةِ، فَقَدْ جَاوَزْتَ مَرَحَلَةَ الطُّفُولَةِ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ، وَدَخَلْتَ
بَوَابَةَ جَدِيدَةٍ إِلَى الْحَيَاةِ، وَأَنْ لِي أَنْ أَبُوحَ لَكَ بِحَدِيثٍ طَالَمَا كَانَ
يَعْتَلِجُ فِي صَدْرِي، وَيُكِنُّهُ فُؤَادِي، كَانَ يَحْبِسُهُ انْتِظَارُ بُلُوغِكَ مَا
بَلَغْتَ الْآنَ.

وَمَعَ مَا كَانَ يَعتَلِجُ فِي صَدْرِي، وَيَدُورُ فِي خَاطِرِي، فَقَدْ قَلَّبْتُ
الطَّرْفَ، وَقَرَأْتُ مَا سَطَّرَهُ بَعْضُ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ، مِنْ رَسَائِلِ
لِأَبْنَائِهِمْ، وَوَصَايَا لِفَلَذَاتِ أَكْبَادِهِمْ، فَضَمَنْتُ وَصِيَّتِي بَعْضَ مَا
قَالُوهُ، وَزَيَّنْتُهَا بِبَعْضِ مَا صَاغُوهُ.

فَهَلْ أَنْتَ مُصْنَعٌ لِي سَمْعَكَ؟

وَفَاتِحٌ لِي فُؤَادِكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِبَعْضِ مَا تَسْمَعُ؟

يَابْنِي: لَوْ تَعْلَمُ كَمْ كَانَ سُرُورِي وَأُمُّكَ حِينَ بَلَّغْنَا نَبَأَ حَمْلَهَا
بِكَ، وَكُنَّا نَتَرَدَّدُ عَلَى الطَّبِيبِ لِلْفَحْصِ وَالْمُتَابَعَةِ.

وَحِينَ كَانَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي خَرَجْتَ فِيهَا إِلَى الدُّنْيَا.

لَمْ تَكُنْ تَذَرِي كَمْ كَانَ مَبْلَغُ سُرُورِنَا، وَبَهْجَتِنَا.

لَقَدْ كَانَتْ آمَالُنَا مَعْقُودَةً عَلَيْكَ، وَكُنَّا نَنْتَظِرُ تِلْكَ السَّاعَةَ الَّتِي
تَبْلُغُ فِيهَا السَّعْيُ، كَانَتْ أُمُّكَ تُرَدِّدُ فِي نَفْسِهَا، وَتُنَاجِيكَ وَأَنْتَ
صَغِيرٌ رَضِيعٌ تُؤَمِّلُ الْآمَالَ الْعَرِيضَةَ، وَتَتَمَنَّى الْأُمْنِيَّاتِ الْغَالِيَةَ أَنْ
تَبْلُغَ مَا تَبْلُغُ.

وَكَانَ وَالِدُكَ لَا يَقِلُّ عَنْهَا حَالاً، إِلَّا أَنَّ خَوَاطِرَهُ كَانَتْ حَبِيسَةً
الْفُؤَادِ، يَعتَلِجُ فِي صُورَةِ أُمْنِيَّاتٍ.....

حقوق الوالدين

يَا بُنَيَّ: لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ بِحَقِّهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَحْدَهَا يَا بُنَيَّ: كَافِيَةٌ فِي تَعْظِيمِ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِمَا..

نَعَمْ يَا بُنَيَّ: إِنَّ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ عَظِيمٌ، وَمَنْزِلَتُهُمَا عَالِيَةٌ فِي الدِّينِ فَبِرُّهُمَا قَرِينِ التَّوْحِيدِ، وَشُكْرُهُمَا مَقْرُونُ بِشُكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا مِنْ أَجْلِ الْأَعْمَالِ، وَأَحَبُّهَا إِلَى الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ. اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ بِالْوَالِدَيْنِ اهْتِمَامًا بَالِغًا، وَجَعَلَ طَاعَتَهُمَا وَالْبِرَّ بِهِمَا مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ.

وَنَهَى عَنْ عُقُوبِهِمَا وَشَدَّدَ فِي ذَلِكَ غَايَةَ التَّشْدِيدِ. وَأَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَجَعَلَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ مَقْرُونًا بِذَلِكَ، حَيْثُ يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، يَقُولُ: وَأَمَرُكُمْ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمَا وَتَبَرُّوهُمَا.

وَمَعْنَى الْكَلَامِ: وَأَمَرُكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدَيْنِ.

يَابُنَيَّ: لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِالذَّلِّ إِلَّا لِلْوَالِدَيْنِ وَالْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَاخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.
وَخَفِضُ الْجَنَاحِ، هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ التَّوَاضُّعِ لَهُمَا، وَالرَّفْقِ بِهِمَا، وَالرَّحْمَةِ
لَهُمَا، وَلَيْنِ الْجَانِبِ لِوَالِدَيْهِ رَحْمَةً بِهِمَا.

فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْأَبْنَاءَ بِالتَّوَاضُّعِ لِلْأَبَوَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمْ
مَعَهُمَا، حَتَّى يَبْدُو الْأَبْنَاءُ وَكَأَنَّهُمْ أَذِلَّاءُ مِنْ شِدَّةِ الرَّحْمَةِ، لَا يَرُدُّونَ
لَهُمَا طَلَبًا، وَلَا يَرْفُضُونَ لَهُمَا أَمْرًا.

ثُمَّ أَمَرَ الْأَبْنَاءَ بِالذُّعَاءِ لِلْأَبَوَيْنِ، وَالتَّرَحُّمِ عَلَيْهِمَا، جَزَاءَ مَا اخْتَمَلَاهُ
فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ مِنْ عَنَاءٍ وَمَشَقَّةٍ وَعَنْتٍ.

فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾
يَقُولُ: ادْعُ اللَّهَ لَوَالِدَيْكَ بِالرَّحْمَةِ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا وَتَعَطَّفْ
عَلَيْهِمَا بِمَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ، كَمَا تَعَطَّفَا عَلَيَّ فِي صِغَرِي، فَرَحَمَانِي
وَرَبَّيَانِي صَغِيرًا، حَتَّى اسْتَقَلَّتْ بِنَفْسِي، وَاسْتَغْنَيْتُ عَنْهُمَا.

يَا بُنَيَّ: كَمْ مَرَّةً تَغِيبُ عَنِ الْبَيْتِ لِأَوْقَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَوَالِدَيْكَ لَا يَعْلَمَانِ عَنْكَ شَيْئًا، لَا يَعْلَمَانِ وَقْتَ خُرُوجِكَ، وَلَا يَعْلَمَانِ وَقْتَ حُضُورِكَ، بِحُجَّةِ الْعَمَلِ، غَيْرَ مُبَالٍ بِحَالِهِمَا، وَلَا مُكْتَرِثٍ بِالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمَا، أَمَا إِنَّكَ بِتَصَرُّفِكَ هَذَا قَدْ جَرَحْتَ قُلُوبَهُمَا، وَأَحْزَنْتَهُمَا.

أَلَمْ تَعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَى أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا حُزْنَ فَهُوَ عَاقٌ، أُعِيدُكَ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعُقُوقِ؟

كَمَا رُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ أَحْزَنَ وَالِدَيْهِ فَقَدْ عَقَّهُمَا} ..

يَا بُنَيَّ: أَهَكَذَا يَكُونُ بُرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَقَدْ كَانَا يَحْمِلَانِ أَذَاكَ وَكَلَّكَ، وَعَظِيمَ الْمَشَقَّةِ فِي تَرْبِيَّتِكَ، وَغَايَةَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ، رَاجِينَ حَيَاتَكَ، مُؤَمِّلِينَ سَعَادَتَكَ؟

يَا بُنَيَّ: أَهَكَذَا يَكُونُ الْبِرُّ بِأَبِيكَ، الَّذِي رَبَّاكَ وَعَلَّمَكَ وَأَنْتَ صَغِيرٌ، وَأَنْفَقَ عَلَيْكَ حَتَّى كَبُرْتَ، وَأَصْبَحْتَ رَجُلًا، وَتَكْفَّلَ لَكَ بِكُلِّ حَاجَاتِكَ، مِنْ كِسْوَةٍ، وَنَفَقَةٍ، وَعِلَاجٍ، وَتَعْلِيمٍ، وَتَزْوِيجٍ وَمَسْكَنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ حَصْرُهَا...

لَوْ تَعْلَمُ مَا كَانَ أَبُوكَ يُكَابِدُ، وَيُقَاسِي مِنَ الشَّدَائِدِ، يَوْمَ أَنْ كُنْتَ
مَرِيضًا، وَهُوَ يَبْحَثُ لَكَ عَنْ دَوَاءٍ، أَوْ عِلَاجٍ شَافٍ لِمَرَضِكَ، عِنْدَ
هَذَا الطَّبِّبِ أَوْ ذَاكَ الطَّبِّبِ؟

لَوْ تَعْلَمُ مَا كَانَ يُعَانِيهِ أَبُوكَ مِنْ هُمُومٍ، وَغُمُومٍ، وَقَلَقٍ، شَفَقَةٍ
عَلَيْكَ، وَاهْتِمَامًا بِشَأْنِكَ، وَصِحْحَتِكَ وَعَافِيَتِكَ، وَحَيَاتِكَ؟
لَقَدْ كَانَ يَحْتَمِلُ أَشَدَّ الْعَنَاءِ، وَالتَّعَبِ، وَأَشَقَّ الْمَشَقَّةِ وَالْأَذَى
وَضَحَّى بِأَنْفَسٍ مَا لَدَيْهِ، مِنْ أَجْلِكَ.

وَمَهْمَا بَدَلَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَمَلٍ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَجْزِيَ وَالِدَهُ، إِلَّا
أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ.

كَمَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَجْزِي وَلَدٌ
وَالِدَهُ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ }.

قَالَ الطَّحَاوِيُّ فِي مُشْكِلِ الْأَثَارِ: فَكَانَ ذَلِكَ إِخْبَارًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ مِنَ الْوَلَدِ بِوَالِدِهِ جَزَاءٌ لَهُ
عَمَّا كَانَ مِنْهُ فِيهِ بِحَقِّ أُبُوَّتِهِ.. انْتَهَى.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: يَجْزِي بِفَتْحِ أَوَّلِهِ، أَيُّ: لَا يُكَافِئُهُ
بِإِحْسَانِهِ، وَقَضَاءِ حَقِّهِ، إِلَّا أَنْ يُعْتِقَهُ. انْتَهَى.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ: مَعْنَاهُ يُخَلِّصُهُ مِنْ أَسْرِ الرَّقِّ كَمَا خَلَّصَهُ مِنْ أَسْرِ الصَّغَرِ. انْتَهَى.

وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُمَا وَلِيَاهُ صَغِيرًا جَاهِلًا مُحْتَاجًا، فَأَثَرَاهُ عَلَى أَنْفُسِهِمَا، وَسَهَرًا لَيْلَهُمَا وَأَنَامَاهُ، وَجَاعًا وَأَشْبَعَاهُ، وَتَعَرِّيًّا وَكَسَوَاهُ فَلَا يُجْزِيهِمَا إِلَّا أَنْ يَبْلُغَا مِنَ الْكِبَرِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي كَانَ هُوَ فِيهِ مِنَ الصَّغَرِ، فَيَلِي مِنْهُمَا مَا وَلِيَا مِنْهُ، وَيَكُونُ لَهُمَا حِينٌ عَلَيْهِ فَضْلُ التَّقَدُّمِ بِالنِّعْمَةِ عَلَى الْمُكَافِي عَلَيْهَا.

يَا بَنِي: أَهَكَذَا يَكُونُ الْبِرُّ بِأُمِّكَ، الَّتِي حَمَلْتِكَ فِي بَطْنِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، كَأَنَّهَا تَسْعُ حَجَجٍ، وَقَاسَتْ خِلَالَ ذَلِكَ مِنَ الْآلَامِ وَالْمَتَاعِبِ، مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ.

يَا بَنِي: إِنَّهَا أُمُّكَ الَّتِي حَمَلْتِكَ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثِ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ عَدَدًا، أُمُّكَ الَّتِي لَمْ تُقَدِّمِ عَلَى حُبِّكَ مِنَ الْخَلْقِ أَحَدًا، حَمَلْتِكَ كَرْهًا، وَوَضَعْتِكَ كَرْهًا، مَشَقَّةً بَعْدَ مَشَقَّةٍ، وَثِقَلًا مِنْ بَعْدِ ثِقَلٍ تَرَكْتَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَوْحُمًا، وَفَارَقْتَ النَّوْمَ تَوَجُّعًا وَتَأَلُّمًا، وَعِنْدَ الْوِلَادَةِ صَحِبَتْهَا زَفَرَاتٌ وَأَنَاتٌ، وَقَاسَتْ آلَمًا وَآهَاتٍ، وَحِينَ أَبْصَرْتِكَ أَبْصَرْتَ فِيكَ الْحَيَاةَ وَبَسَمْتَهَا، وَالسَّعَادَةَ وَبَهْجَتَهَا، تَحْنُ

إِلَيْكَ وَتَهَوَّاكَ، وَتَحْنُو عَلَيْكَ وَتَرْعَاكَ، أَثَرْتُكَ بِالشَّهَوَاتِ عَلَى
النَّفْسِ، وَلَوْ غَبَتْ عَنْهَا سَاعَةً صَارَتْ كَأَنَّهَا فِي حَبْسٍ.

فَكَمْ أَطْعَمْتُكَ فِي حَيَاتِكَ حُلُوءًا؟

وَكَمْ جَنَّبْتُكَ فِي أَيَّامِكَ مُرًّا؟

يَا بَنِيَّ: إِنَّهَا أُمُّكَ نَبْعُ الْحَنَانِ وَالرَّقَّةِ، وَوِعَاءُ الْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ

الْمُرْهَفَةِ فِي أَحَاسِيسِهَا، الرَّقِيقَةُ فِي مَشَاعِرِهَا، الصَّادِقَةُ فِي حُبِّهَا

حَيَاتِكَ أَعْلَى إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِهَا، وَسَعَادَتُكَ أَحَبُّ إِلَيْهَا مِنْ

رَاحَتِهَا، كَمْ سَهَرْتَ لِتَنَامَ أَنْتَ؟

وَجَاعَتْ لِتَشْبَعَ أَنْتَ؟

كَمْ عَامَلْتَهَا بِسُوءِ الْخُلُقِ مِرَارًا، فَدَعَتْ لَكَ بِالتَّوْفِيقِ سِرًّا وَجَهَارًا.

وَاعْلَمْ يَا بَنِيَّ: أَنَّهُمَا وَلِيَاكَ صَغِيرًا جَاهِلًا مُحْتَاجًا، فَأَثْرَاكَ عَلَى

أَنْفُسِهِمَا، وَسَهْرًا لَيْلَهُمَا وَأَنَامَاكَ، وَجَاعًا وَأَشْبَعَاكَ، وَتَعَرَّيَا

وَكَسَوَاكَ.

أَبُوكَ وَأُمُّكَ اللَّذَانِ شَقِيَا فِي تَرْبِيَّتِكَ، وَسَهْرًا عَلَى سَعَادَتِكَ

وَاللَّذَانِ أَفْنِيَا عُمْرِيهِمَا لِرَاحَتِكَ، وَإِسْعَادِكَ، وَتَحَمُّلًا فِي ذَلِكَ مِنْ

التَّعَبِ مَا تَنَوُّهُ بِحَمْلِهِ الْجِبَالِ، وَيَعْجِزُ عَنْ إِضَاحِهِ الْبَيَانَ..

فَلَا يَصِحُّ شَرْعًا، وَلَا أَدَبًا، أَنْ تَنْسَى ذَلِكَ الْجَمِيلَ، وَتَتَجَاهَلَ حَقَّهُمَا، بَلْ لَيْسَ مِنَ الْوَفَاءِ، وَالْمُرُوءَةِ، فَضْلًا عَنِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ.
شَكَا رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُوءَ خُلُقِ
أُمِّهِ.

فَقَالَ: { لِمَ لَمْ تَكُنْ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ حِينَ حَمَلْتِكِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ }؟
قَالَ: إِنَّهَا سَيِّئَةُ الْخُلُقِ.

قَالَ: { لِمَ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ حِينَ أَرْضَعْتِكِ حَوْلَيْنِ }؟
قَالَ إِنَّهَا سَيِّئَةُ الْخُلُقِ.

قَالَ: { لِمَ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ حِينَ أَسْهَرْتَ لَكَ لَيْلَهَا، وَأَظْمَأْتَ لَكَ
نَهَارَهَا }؟

قَالَ: لَقَدْ جَازَيْتُهَا.

قَالَ: { مَاذَا فَعَلْتَ }؟

قَالَ: حَجَجْتُ بِهَا عَلَى عَاتِقِي.

قَالَ: { مَا جَازَيْتَهَا وَلَا طَلَقْتُ }.

وَرَوَى الْبَزَّازُ فِي مَسْنَدِهِ: بِإِسْنَادِهِ أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي الطَّوَافِ حَامِلًا
أُمَّهُ يَطُوفُ بِهَا.

فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا؟

قَالَ: {لَا: وَلَا بَزْفَرَةٍ وَاحِدَةٍ}.

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ: عَنْ بُرَيْدَةَ « أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَمَلْتُ أُمِّي عَلَى عُنُقِي فَرَسَخْتَنِي فِي رَمْضَاءَ شَدِيدَةٍ، لَوْ أُلْقِيَتْ فِيهَا بُضْعَةٌ مِنْ لَحْمٍ لَنَضِجَتْ، فَهَلْ أَدَّيْتُ شُكْرَهَا؟

فَقَالَ: {لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بِطَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ}.

الطَّلُقُ: وَجَعُ الْوِلَادَةِ، أَيُّ: بِوَجَعٍ وَاحِدٍ مِنْ أَوْجَاعِ الْوِلَادَةِ. فَحَقَّهَمَا عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: عَظِيمٌ، وَفَضَّلَهُمَا عَلَيْكَ عَمِيمٌ، إِذْ جَمِيلُهُمَا يَرْبُو عَلَى كُلِّ جَمِيلٍ، وَإِحْسَانُهُمَا يَفْضُلُ كُلَّ إِحْسَانٍ. **أَلَمْ تَعْلَمْ يَا بُنَيَّ:** أَنَّ رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ.

وَأَعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَأْتِيَ عَمَلًا لَهُ مِنْهُ بُدٌّ وَيَكْرَهُهُ وَالِدَاهُ، فَلَا يَجِلُّ لَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ إِلَّا بَعْدَ اسْتِئْذَانِهِمَا فِيهِ. بَرًّا بِهِمَا، وَمُرَاعَاةً لِحَقِّهِمَا.

وَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ وَالِدَيْهِ فِي سَفَرٍ، أَوْ فِي غُرْبَةٍ مَا لَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً إِلَّا بَعْدَ اسْتِغْذَانِهِمَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

وَانْظُرِيَا بُنَيَّ: إِلَى قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَحْيِ أَبَوَاكَ}؟

يَا بُنَيَّ: الْجِهَادُ ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ، وَتَحْدِيثُ النَّفْسِ بِهِ شَرْطٌ لِلْبَرَاءَةِ مِنَ النِّفَاقِ، وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ مَا كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..

وَمَعَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ: فَإِذْ أَوَالِدَيْنِ شَرْطٌ لِلْمُشَارَكَةِ فِي الْجِهَادِ: فِي أَمَالِي الْإِمَامِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَحْيِ أَبَوَاكَ}؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: {فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ}..

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ.

فَقَالَ: {أَحْيٍ وَالِدَاكَ}؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: {فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ}..

قَالَ الْبَغَوِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ: أَبَايَعُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ أَوِ الْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ.

قَالَ: {فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ}؟

قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا.

قَالَ: {فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ}؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: {فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا}.

وَفِي أَمَالِي أَبِي طَالِبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ
إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ
أَبَايَعُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ، وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ.

فَقَالَ: {ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأُضْحِكُهُمَا كَمَا أُبْكِيْتَهُمَا^(١)}. .

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ.

فَقَالَ: {هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ}؟.

قَالَ: أَبَوَايَ.

قَالَ: {أَذِنَا لَكَ}؟.

قَالَ: لَا.

قَالَ: {فَارْجِعْ فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا}.
وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

وَالْوَقْتُ يَابُنِي: يَطُولُ عَنْ سَرْدِ النَّصُوصِ فِي ذَلِكَ.

فَهَذِهِ النَّصُوصُ تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَتَعْظِيمِ حَقِّهِمَا.
وَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْجِهَادِ، لِأَنَّ بِرَّهُمَا فَرَضٌ عَيْنٌ
يَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ الْقِيَامُ بِهِ، وَلَا يَنْوُبُ عَنْكَ فِيهِ غَيْرُكَ.

(١) - وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: الْإِمَامُ الْمُزَنَّدُ بِاللَّهِ، فِي الْأَمَالِي الْحَمِيسِيَّةِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَالسُّيُوطِيُّ فِي جَامِعِهِ رَقْم (٣١٣٦)، وَقَالَ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، (٢٠٤/٢)، رَقْم (٦٩٠٩)، وَأَبُو دَاوُدَ، (١٧/٣)، رَقْم (٢٥٢٨)، وَالتَّسَائِيُّ، (١٤٣/٧)، رَقْم (٤١٦٣)، وَابْنُ مَاجَةَ، (٩٣٠/٢)، رَقْم (٢٧٨٢)، وَالْحَاكِمُ، (١٦٩/٤)، رَقْم (٧٢٥٥) وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ. وَابْنُ حِبَّانَ، (١٦٣/٢)، رَقْم (٤١٩). وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ، (١٩/١)، رَقْم (١٣)، وَالْبَيْهَقِيُّ، (٢٦/٩)، رَقْم (١٧٦٠٨).....

فَقَدْ قَالَ رَجُلٌ لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أُغْزَوْ
الرُّومَ، وَإِنَّ أَبَوَيَّ مَنَعَانِي.

فَقَالَ: «أَطْع أَبَوَيْكَ، فَإِنَّ الرُّومَ سَتَجِدُ مَنْ يَغْزُوهَا غَيْرَكَ».
وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ عَنِ
الْبَاقِينَ، وَبَرُّ الْوَالِدَيْنِ فَرَضٌ عَيْنٍ، وَفَرَضُ الْعَيْنِ أَقْوَى مِنْ فَرَضِ
الْكِفَايَةِ.

يَا بُنَيَّ: يَبْلُغُ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ دَرَجَةٌ لَا تَسْقُطُ مَعَهَا الصَّلَاةُ حَتَّى وَلَوْ
كَانَا مُشْرِكَيْنِ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ
مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي
وَهِيَ رَاغِبَةٌ.

أَفَأَصِلُ أُمِّي؟

قَالَ: {نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ}.

يَا بُنَيَّ: أَتَدْرِي مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِكَ؟

إِلَيْكَ الْجَوَابُ الَّذِي أَجَابَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...
 سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذَا السُّؤَالَ قَائِلًا: مَنْ
 أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟

قَالَ: {أُمُّكَ}.

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: {أُمُّكَ}.

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: {أُمُّكَ}.

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: {أَبُوكَ}. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ..

قَالَ الْعُلَمَاءُ: فَأَحَقُّ النَّاسِ بَعْدَ الْخَالِقِ الْمَنَّانِ بِالشُّكْرِ
 وَالْإِحْسَانِ، وَالتَّزَامِ الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ لَهُ وَالْإِذْعَانِ، مَنْ قَرَنَ اللَّهُ
 الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ بِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَشُكْرِهِ بِشُكْرِهِ، وَهُمَا الْوَالِدَانِ
 فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾...

يَابْنِي: كَمْ يَحْتَلُّ أَصْدِقَاؤُكَ مِنْ مَكَانَةٍ فِي قَلْبِكَ، تَسْتَوْجِبُ
 قَائِمَةً طَوِيلَةً مِنَ التَّضَحِّيَةِ، وَالْإِثَارِ، وَالْمُشَاوَرَةِ، وَالْمُجَامَلَةِ؟

وَلَكِنْ أَلَا تَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ أُمَّكَ، وَأَبَاكَ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ
صَحَابَتِكَ.

أَتُرِيدُ يَا بُنَيَّ: أَنْ تَعْرِفَ عِظَمَ وُجْدِ الْأُمِّ عَلَى ابْنِهَا، فَاسْمَعْ مَعِيَ
هَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

لَأُمِّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَيْبُرُ	كَثِيرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ بَاتَتْ بِثِقَلِكَ تَشْتَكِي	لَهَا مِنْ جَوَاهَا ^(١) أَنَّهُ وَزْفِيرُ ^(٢)
وَفِي الْوَضْعِ لَوْ تَدْرِي عَلَيْهَا مَشَقَّةٌ	فَمِنْ غُصَصٍ ^(٣) مِنْهَا الْفُؤَادُ يَطِيرُ
وَكَمْ غَسَلْتَ عَنْكَ الْأَذَى بِيَمِينِهَا	وَمَا حَجَرُهَا إِلَّا لَدَيْكَ سَرِيرُ
وَتَفْدِيكَ مِمَّا تَشْتَكِيهِ بِنَفْسِهَا	وَمِنْ ثَدْيِهَا شُرْبٌ لَدَيْكَ نَمِيرُ
وَكَمْ مَرَّةٍ جَاعَتْ وَأَعْطَتْكَ قُوَّتِهَا	حُنُوءًا وَإِشْفَاقًا وَأَنْتَ صَغِيرُ
فَضَيَّعَتْهَا لَمَّا أَسَنْتَ جَهَالَهَ	وَطَالَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ وَهُوَ قَصِيرُ
فَإِهِ لِيذِي عَقْلٍ وَيَتَّبِعُ الْهَوَى	وَأِهِ لِأَعْمَى الْقَلْبِ وَهُوَ بَصِيرُ
فَدُونَكَ فَارْغَبْ فِي عَمِيمِ دَعَائِهَا	فَأَنْتَ لِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ فَقِيرُ

(١) - (الْجَوَى): الْحَرْقَةُ، وَشِدَّةُ الْوُجْدِ، مِنْ عَشَقٍ، أَوْ حُزْنٍ. الصَّحَاحُ فِي اللَّعَةِ - بَابُ حَبِّ..

وَقَالَ فِي الْمُحِيطِ فِي اللَّعَةِ: وَالْجَوَى مَقْصُورٌ: دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْبَطْنِ لَا يُسْتَمَرُّ مِنْهُ الطَّعَامُ، رَجُلٌ جَوٍ وَامْرَأَةٌ جَوِيَّةٌ. وَاسْتَجَوَيْنَا الطَّعَامَ
وَاجْتَوَيْنَاهُ. وَالْاجْتَوَاءُ: الْكَرَاهِيَةُ وَالْبُعْضُ، اجْتَوَيْتُ الْبِلَادَ: إِذَا كَرِهْتَهَا وَإِنْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ....

(٢) - (الزَّفِيرُ): تَرْدِيدُ النَّفْسِ مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ، مَاخُودٌ مِنَ الزَّفْرِ وَهُوَ الْحُمْلُ عَلَى الظَّهْرِ لِشِدَّتِهِ، وَقِيلَ: الزَّفِيرُ صَوْتُ الْمَكْرُوبِ
بِالْأَيْنِ، وَقَالَ الرَّاعِبُ: فَالزَّفِيرُ تَرْدُدُ النَّفْسِ حَتَّى تَنْتَفِخَ الصُّلُوعُ مِنْهُ...

(٣) - (وَالْغُصَّةُ): بِالضَّمِّ مَا غَصَّ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ طَعَامٍ أَوْ غَيْظٍ عَلَى التَّشْبِيهِ وَالْجَمْعُ غُصَصٌ...

أَتُرِيدُ يَا بُنَيَّ: أَنْ تَعْرِفَ عِظَمَ وُجْدِ الْأَبِ عَلَى ابْنِهِ، فَاسْمَعْ مَعِيَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعَلَّتُكَ يَافِعًا^(١) *** ثَعْلُ بِمَا أُذِنِي عَلَيْكَ وَتَنَهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتَ *** لَذِكْرِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلَّمُ^(٢)
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي *** طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا * لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ حَتْمٌ مُوَجَّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي * إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفِظَازَةً *** كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعَمُ الْمُتَفَضِّلُ
وَتَزْعُمُ أَنِّي قَدْ كَبُرْتُ وَعِفْتِي *** وَلَمْ يَأْتِ لِي فِي السَّنِّ سِتِّينَ كُمَلُ
وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمُفْنَدِ^(٣) رَأْيُهُ *** وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتُ تَعْقِلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوتِي *** فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
فَأَوْلَيْتَنِي حَقَّ الْجَوَارِ وَلَمْ تَكُنْ *** عَلَيَّ بِمَالِي دُونَ مَالِكَ تَبْخَلُ
وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُهَيِّمُنُ أَنِّي *** بِمَالِي وَنَفْسِي عَنْكَ مَا كُنْتُ أَبْخَلُ
فَتَبْخَلُ بِالْوَدِّ الْيَسِيرِ عَلَى أَبِي *** بِكَ الدَّهْرُ مَشْغُوفٌ مَعْنَى مُوَكَّلُ

(١) - (يَافِعٌ): مَنْ شَارَفَ الْإِحْتِلَامَ، وَهُوَ دُونَ الْمَرَاهِقِ....

(٢) - (الْتَمَلَّمُ): الْقَلْقُ مِنْ حَرَارَةِ الْكَرْبِ... التَّوَقُّيفُ عَلَى مُهِمَّاتِ التَّعَارِيفِ..

(٣) - (الْمُفْنَدُ): الَّذِي لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ ذَلِكَ الْمُفْنَدُ، وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ: الْفَنَدُ بِالتَّحْرِيكِ الْحَرْفُ وَإِنْكَارُ الْعَقْلِ لَهُمْ أَوْ مَرَضٍ، وَالْخَطَأُ فِي الْقَوْلِ وَالرَّأْيِ. وَالْكَذِبُ كَالْإِفْنَادِ، وَفَنَدُهُ تَفْنِيدًا كَذَبَهُ وَعَجَّزَهُ، وَخَطَأَ رَأْيُهُ كَأَفْنَدَهُ.

وَلَوْ تُعْرَضُ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِأَسْرَهَا *** وَتُحْجَبُ عَنْ عَيْنِي مَا كُنْتُ أَفْعَلُ
فَأَسْأَلُ رَبِّي الْعَفْوَ عَنْكَ بِمَنِّهِ *** وَأَنِّي مَدَاكَ الدَّهْرُ لَا أَتَحَوَّلُ
يَا بُنَيَّ: أَتَدْرِي كَمْ يَبْلُغُ فُرْطُ الْأُمِّ وَشَوْقُهَا عَلَيْكَ حِينَ تُغَادِرُ
الْمَنْزِلَ حَتَّى تَعُودَ؟

كَمْ مَرَّةً أَيْقَظْتَنِي مِنَ النَّوْمِ لِتَقُولَ: إِنَّ ابْنِي لَمْ يَعُدْ؟
كَمْ مَرَّةً أَزَعَجْتَنِي حِينَ سَافَرْتَ لِتَسْأَلَ مَتَى يَعُودُ؟ وَمَا شَأْنُهُ؟
وَأَنْتَ يَا بُنَيَّ: سَادِرٌ تَعِيشُ فِي عَالَمٍ آخَرَ.

فَتَغِيبُ عَنِ الْمَنْزِلِ دُونَ أَنْ تُشْعِرَهَا، وَحِينَ تُسَافِرُ تَنْتَظِرُ اتِّصَالَكَ
عَلَى أَحَرِّ مِنَ الْجُمُرِ لَكِنَّهَا لَا تَجِدُ إِلَّا اللَّامُبَالَاةَ.
أَهَذَا حَقُّ أُمِّكَ يَا بُنَيَّ؟.

يَا بُنَيَّ: إِنَّكُمْ حِينَ تُوَاجِهُوا أَنْفُسَكُمْ بِالسُّؤَالِ الصَّرِيحِ، وَتَبْحَثُوا
عَنْ مَوَاقِعِكُمْ فِي خَارِطَةِ الْبِرِّ أَوْ الْعُقُوقِ، تُدْرِكُونَ لِمَاذَا يُكَرَّرُ وَيَبْدَأُ
الْمَوْضُوعَ وَيُعَادُ...

لَسْتُ بِحَاجَةٍ يَا بُنَيَّ: لِأَفِيضَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ وَعِظَمِ
مَنْزِلَتِهِمَا، لَكِنِّي أَسْأَلُكَ بِصَرَاحَةٍ أَنْ تُحَدِّدَ مَوْقِعَكَ أَفِي سِيَاحِ الْبِرِّ
أَمْ الْعُقُوقِ؟

يَا بُنَيَّ: أَتُرِيدُ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ مُرْتَبِطٌ بِرِضَا الْوَالِدِ، يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: {رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ^(١)}. .

لَأَنَّهُ تَعَالَى أَمْرٌ أَنْ يُطَاعَ الْأَبُ وَيُكْرَمَ، فَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ أَغْضَبَهُ فَقَدْ أَغْضَبَ اللَّهَ، وَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ يُفِيدُ أَنَّ الْعُقُوقَ كَبِيرَةٌ....

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: {رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ} أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ.

(١) - وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: الْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ رَقْم (٣٧٦٨)، وَقَالَ: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَرَوَّحَ وَفَّقَهُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، وَالْحَاكِمُ، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: {طَاعَةُ اللَّهِ طَاعَةُ الْوَالِدِ، وَمَعْصِيَةُ اللَّهِ مَعْصِيَةُ الْوَالِدِ}. .

وَرَوَاهُ الْبَرْزُازُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَوْ ابْنِ عَمْرٍو، وَلَا يَخْضُرُنِي أَثْنُهُمَا، وَلَفْظُهُ: قَالَ: {رِضَا الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ}.

أَرَأَيْتَ يَا بُنَيَّ: أَيُّ بَوَارٍ وَهَلَاكِ يَجْنِيهِ مَنْ يُسَخِّطُ وَالِدَهُ، أَوْ
وَالِدَتَهُ، حَيْثُ يَسْتَجْلِبُ عَلَى نَفْسِهِ سَخَطَ رَبِّ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ.؟.

وَمَنْ ذَا يَا بُنَيَّ: يُطِيقُ هَذَا الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ.؟

يَا بُنَيَّ: إِنَّ الْجَنَّةَ مَطْلَبُ الْجَمِيعِ، وَمَسْعَى مَنْ سَهَرُوا وَهَجَرُوا
الرُّقَادَ، وَمَطْلَبُ مَنْ بَذَلُوا الْأَرْوَاحَ وَالْمُهَجَ رَحِصَةً لِلَّهِ.

أَتَدْرِي بَعْدَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْوَالِدَ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ.؟

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ: {الْوَالِدُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، أَوْ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ
أَحْفَظُ ذَلِكَ أَوْ ضَيِّعُهُ} وَفِي رِوَايَةٍ سُفْيَانُ: {إِنَّ الْوَالِدَ أَوْسَطُ
أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَاحْفَظْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ دَعُهُ}.

وَفِي رِوَايَةٍ: {الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَحَافِظُ عَلَى وَالِدَيْكَ، أَوْ
اتْرُكْ}.

قَالَ بَعْضُ الشُّرَاحِ: وَمَعْنَى قَوْلِهِ: {الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ}
أَيُّ: خَيْرُ الْأَبْوَابِ، وَأَفْضَلُهَا، وَأَعْلَاهَا.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ أَحْسَنَ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَيُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى وُصُولِ دَرَجَتِهَا الْعَالِيَةِ، مُطَاوَعَةُ الْوَالِدِ، وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ لِلْجَنَّةِ أَبْوَابًا، وَأَحْسَنُهَا دُخُولًا أَوْسَطُهَا، وَإِنَّ سَبَبَ دُخُولِ ذَلِكَ الْبَابِ الْأَوْسَطِ، هُوَ مُحَافَظَةُ حُقُوقِ الْوَالِدِ... وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ أَصْبَحَ مُطِيعًا فِي وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا، وَمَنْ أَمْسَى عَاصِيًا لِلَّهِ فِي وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِنَ النَّارِ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا}.

قَالَ الرَّجُلُ: وَإِنْ ظَلَمَاهُ؟

قَالَ: {وَإِنْ ظَلَمَاهُ، وَإِنْ ظَلَمَاهُ، وَإِنْ ظَلَمَاهُ}، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: {مَنْ أَصْبَحَ وَوَالِدَاهُ رَاضِيَانِ عَنْهُ فَلَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ}. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: {مَا مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ أَبَوَانِ، فَيُصْبِحُ وَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَيْهِمَا: إِلَّا فُتِحَ لَهُ بَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَا يُمْسِي وَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَيْهِمَا: إِلَّا فُتِحَ لَهُ بَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ

وَلَا سَخِطَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَرَضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ حَتَّى
يَرْضَى {.

قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا؟

قَالَ: {وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا} .. انْتَهَى ..

يَابُنِي: أَتُرِيدُ أَنْ يُمَدَّ اللَّهُ فِي عُمْرِكَ، وَيُبْسُطَ اللَّهُ فِي رِزْقِكَ
وَيُسْتَجِيبَ اللَّهُ دُعَاءَكَ، وَيُدْفَعَ اللَّهُ عَنْكَ مِيتَةَ السُّوءِ، فَعَلَيْكَ بِبِرِّ
الْوَالِدَيْنِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَحْكَامِ:

وَبَلَّغْنَا عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمْلَأَ لَهُ
فِي عُمْرِهِ، وَيُبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُسْتَجَابَ لَهُ الدُّعَاءُ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ
مِيتَةُ السُّوءِ، فَلْيُطِيعْ أَبَوَيْهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ} .
انْتَهَى.

وَفِي مَجْمُوعِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ، زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ
عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: قَالَ: {بِرُّ الْوَالِدَيْنِ
وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَاصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ، زِيَادَةُ فِي الرِّزْقِ، وَعِمَارَةُ فِي
الدِّيَارِ} . انْتَهَى.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمَرِهِ، وَيُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ}..

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمَالِيهِ: وَالْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَالطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو يَعْلَى: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ طُوبَى لَهُ، زَادَ اللَّهُ فِي عُمَرِهِ}..

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمَالِيهِ: وَالْأَصْبَهَانِيُّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {بُرِّ الْوَالِدَيْنِ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَالْكَذِبُ يَنْقُصُ الرِّزْقَ، وَالدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضَاءَ}..

وَيَنْدُبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَضَاعَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ، فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ}..

قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: {مَنْ أَذْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ}.. رَوَاهُ: مُسْلِمٌ.

وَهَذَا دُعَاءٌ مِنْ رَسُولِ الْهُدَى، وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَسَيِّدِ الْأُمَّةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الَّذِي لَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ، لَقَدْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: بِهَذَا الدُّعَاءِ عَلَى مَنْ قَصَرَ فِي بِرِّ أَبَوَيْهِ.

وَمَعْنَاهُ: صَرَعَهُ اللَّهُ لِأَنفِهِ فَأَهْلَكَهُ، وَأَذَلَّهُ اللَّهُ...

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةِ}..

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: مَعْنَاهُ ذَلٌّ.

وَقِيلَ: كُرِهَ وَخُزِيَ، وَهُوَ بَفَتْحِ الْغَيْنِ وَكَسْرِهَا، وَهُوَ الرُّغْمُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرِهَا، وَأَصْلُهُ لَصَقَ أَنْفَهُ بِالرَّغَامِ، وَهُوَ تُرَابٌ مُخْتَلَطٌ بِرَمْلٍ.

وَقِيلَ: الرُّغْمُ كُلُّ مَا أَصَابَ الْأَنْفَ مِمَّا يُؤْذِيهِ.

وَفِيهِ عَلَى الْحَثِّ عَلَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَعِظَمِ ثَوَابِهِ.

وَمَعْنَاهُ: أَنَّ بَرَّهُمَا عِنْدَ كِبَرِهِمَا، وَضَعْفِهِمَا بِالْخِدْمَةِ، أَوْ النَّفَقَةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ قَصَرَ فِي ذَلِكَ فَاتَهُ دُخُولُ الْجَنَّةِ، وَأَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ. انْتَهَى.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَحْكَامِ:

بَلَّغْنَا عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَالَ: صَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ
فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ جَبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ
أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ
فَقُلْتُ: آمِينَ } . انْتَهَى .

قِيلَ مَعْنَاهُ: أَهْلَكَهُ اللَّهُ.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: بَعَدَهُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ..

يَا بُنَيَّ: فَكَمْ هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ؟

كَمْ هُمْ أُولَئِكَ الْمُبْعَدُونَ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؟

**كَمْ هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَذِلُوا وَعُوقِبُوا، وَطُرِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِسَبَبِ
عُقُوبِهِمْ لِأَبَوَيْهِمْ...**

**مَا بِأَلْكَ بِدَعْوَةِ الدَّاعِي بِهَا جَبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالْمُؤْمِنُ عَلَى
دُعَائِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟**

**أَفَيْسُرُكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ دَعَا عَلَيْهِمْ جَبْرِيلُ، وَأَمَّنَ عَلَى دُعَائِهِ مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِأَنْ يُبْعِدَكَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ رَحْمَتِهِ؟**

فَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَكْبَرُ، وَأَعْظَمُ، وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُدْخَلَ الْإِنْسَانُ فِيْمَنْ
عَنَاهُمْ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالنَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَسَلَّمَ، فِي دُعَائِهِمَا: {مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا، فَمَاتَ
فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ} ..

أُعِيذُكَ بِاللَّهِ تَعَالَى يَا بُنَيَّ: أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ
الْمُبْعَدِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ....

يَا بُنَيَّ: إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْمَلَجَأُ لِلْمُسْلِمِ حِينَ تَدْلَهُمُ بِهِ الْخُطُوبُ
وَحِينَ تُقْفَلُ الْأَبْوَابُ أَمَامَهُ.

أَتَعْلَمُ أَنَّ بَرَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَسْبَابِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ؟
وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ، وَيُفَرِّجَ كُرْبَتَهُ، فَلْيَبِرَّ أَبَوَيْهِ، فَعَنْ
أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ
أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟
حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتُ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ} فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ..

لَقَدْ كَانَ أَوَّلُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ، فَدَعَا اللَّهُ بِصَالِحِ عَمَلِهِ: رَجُلًا بَارًّا بِوَالِدَيْهِ.

وَحَيْرُ التَّابِعِينَ أُوَيْسُ الْقُرَيْشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ بَارًّا بِأُمِّهِ، فَكَانَ مُجَابُ الدَّعْوَةِ، يُوصِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ أَنَّ يُطْلَبَ مِنْهُ الدُّعَاءُ.

وَهَذَا فَوْقَ أَنَّهُ شَهَادَةُ بَرٍّ وَصَلَاحٍ لِأُوَيْسٍ، فَهُوَ رِسَالَةٌ إِلَى كُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ أُمٌّ أَنَّ بَرَّهَا، مِنْ أَسْبَابِ اسْتِنْزَالِ النَّصْرِ مِنَ اللَّهِ وَاسْتِحْقَاقِ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ.

فَدُونَكَ فَارْغَبْ فِي عَمِيمِ دَعَائِهَا *** فَأَنْتَ لِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ فَقِيرُ
يَا بُنَيَّ: أَعَرَفْتَ الْآنَ أَنَّ الْبِرَّ يُنْتِجُ لِسَاحِبِهِ رِضَا اللَّهِ، وَدُخُولَ
 الْجَنَّةِ، وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ؟

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا
 الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ}.
 فَقَرَنَ رِضَاهُمَا بِرِضَاهُ، وَسَخَطُهُمَا بِسَخَطِهِ.
 الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ إِرْضَاءِ الْوَلَدِ لِوَالِدَيْهِ، وَتَحْرِيمِ
 إِسْخَاطِهِمَا....

يَا بُنَيَّ: تَوَهَّمْ نَفْسَكَ كَثِيرًا أَنَّ حَقَّ وَالِدَيْكَ عَلَيْكَ أَعْظَمَ، وَأَنَّكَ
 وَفِيَّ لَهُمَا، بَارٌّ بِهِمَا، لَكِنِّي أَذْكُرُ أَنَّكَ ذَاتَ يَوْمٍ اعْتَذَرْتَ عَنْ إِجَابَةِ
 دَعْوَةِ أُمِّكَ، مُحْتَجًّا بِالتَّعَبِ وَالْإِرْهَاقِ، وَحِينَهَا قَدِمَ أَحَدُ أَصْدِقَائِكَ
 وَهُوَ شَابٌّ خَيْرٌ لَا مَطْعَنَ فِيهِ، فَنَسِيتَ مَا بِكَ مِنْ بَأْسٍ وَفَقَدْتَ
 التَّعَبَ وَالْإِعْيَاءَ.

أَهَكَذَا يَا بُنَيَّ: مَفْهُومُ الْبِرِّ لَدَيْكَ؟

يَا بُنَيَّ: إِلَيْكَ صُورَةٌ مِنْ حَقِيقَةِ الْبِرِّ، لِتُذْرِكَ أَنَّ إِحْضَارَ الْحُبْرِ، أَوْ الْإِيصَالَ لِزِيَارَةٍ، أَوْ الْوَفَاءِ بِمَطْلَبٍ لَيْسَ هُوَ مُنْتَهَى الْبِرِّ، وَأَدَاءُ الْحَقِّ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ، فَيُعْتِقَهُ}. رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ....

وَيُذْرِكُ ابْنُ عُمَرَ أَنَّ الْبِرَّ يَمْتَدُّ حَتَّى عِنْدَ مَوْتِ أَبِيهِ فَيَلْقَى أَعْرَابِيًّا فِي الطَّرِيقِ فَيَرْكَبُهُ رَاحِلَتَهُ، وَيُعْطِيهِ عِمَامَةً لَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ أَعْرَابٌ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَيَقُولُ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَادًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {إِنَّ أَبَرَ الْبِرِّ صَلََةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ} رَوَاهُ: مُسْلِمٌ.

يَا بُنَيَّ: لَقَدْ أَتَبَعَ اللَّهُ الْعُقُوقَ وَالْعِصْيَانَ بِالشَّرْكِ بِهِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الْبِرَّ بِهِمَا، مَعَ اللَّطْفِ، وَلِإِنْ الْجَانِبَ، فَلَا يُغْلِظُ لَهْمَا فِي الْجَوَابِ، وَلَا يُحِدُ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ

عَلَيْهِمَا، بَلْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِمَا مِثْلَ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ السَّيِّدِ تَذَلُّلاً
لَهُمَا. انْتَهَى...

وَمِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا: أَنْ لَا تُنْقِصَ عَلَيْهِمَا، وَلَا تَجْرَحُ مَشَاعِرَهُمَا
بِقَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، لَا يَرْضِيَانِهِ، وَلَا تَزْجُرُهُمَا، وَلَا تَرْفَعُ صَوْتَكَ فَوْقَ
أَصْوَاتِهِمَا.

وَمِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا: مُخَاطَبَتُهُمَا بِلُطْفٍ، وَرَحْمَةٍ، وَرَفَقٍ، وَاخْتِيَارِ
الْكَلَامِ الْحَسَنِ، الطَّيِّبِ، الْمَقْرُونِ بِالْإِحْتِرَامِ، وَالتَّوَاضُّعِ لَهُمَا، وَلِإِنْ
الْجَانِبَ لَهُمَا، وَخَفَضَ الْجَنَاحَ لَهُمَا، وَنَحَوِ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ
الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمَا، وَالْعَطْفِ عَلَيْهِمَا، وَالتَّوَدُّدِ
إِلَيْهِمَا، وَإِثَارِ رِضَاهُمَا، وَإِثَارِ هَوَاهُمَا عَلَى هَوَاكَ..

وَمِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا: أَنْ تَدْعُو لِوَالِدَيْكَ بِالرَّحْمَةِ، فِي حَيَاتِهِمَا
وَبَعْدَ مَمَاتِهِمَا، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ وَتَعَطَّفْ عَلَيْهِمَا بِمَغْفِرَتِكَ
وَرَحْمَتِكَ كَمَا تَعَطَّفَا عَلَيَّ فِي صِغَرِي، فَرَحِمَانِي وَرَبَّيَانِي صَغِيرًا، حَتَّى
اسْتَقَلَلْتُ بِنَفْسِي، وَاسْتَغْنَيْتُ عَنْهُمَا...

وَقَالَ الْإِمَامُ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْزَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
«مَعْنَاهُ: يُوصِيكُمُ اللَّهُ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا تَامًّا
وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا أَنْ لَا تَشْبَعَ وَيَجُوعَانِ، وَلَا تَكْتَسِي وَيَعْرِيانِ، وَإِنْ

كَانَا مُشْرِكَيْنِ صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا بِحُسْنِ الْعِشْرَةِ، دُونَ الْمُسَاعَدَةِ فِي الْمَعْصِيَةِ». انْتَهَى....

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَسَائِلُ فِي تَفْسِيرِ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ وَعُقُوقَهُمَا

وَقَالَ السَّائِلُ: مَا تَفْسِيرُ الْبَرِّ لِلْوَالِدَيْنِ، وَالْعُقُوقُ الَّذِي مَنْ فَعَلَهُ دَخَلَ النَّارَ لَا مَحَالَةَ؟

وَالْجَوَابُ وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ: أَمَّا الْبَرُّ فَهُوَ فِعْلُ الْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، بِاللِّسَانِ وَالْأَرْكَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وَأَمَّا الْعُقُوقُ الَّذِي مَنْ فَعَلَهُ دَخَلَ النَّارَ لَا مَحَالَةَ، فَهُوَ الْإِسَاءَةُ إِلَيْهِمَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾.

وَقَالَ السَّائِلُ: وَهَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْبَرِّ بِهِمَا تَعْظِيمُهُمَا فَوْقَ تَعْظِيمِ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَمْعَ أَمْرِهِمَا فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا؟

وَالْجَوَابُ وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ: أَمَّا تَعْظِيمُهُمَا فَوْقَ تَعْظِيمِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَجِبُ ذَلِكَ فِعْلًا لَا اِعْتِقَادًا، إِذَا لَمْ يَبْلُغَا ذَلِكَ فِي الْوَاقِعِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَجْعَلَ لَهُمَا مَزِيَّةً فِي التَّعْظِيمِ، وَيُؤْثِرَهُمَا بِتِلْكَ الْمَزِيَّةِ عَلَى غَيْرِهِمَا لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ شُكْرَهُمَا وَعَظَفَهُ عَلَى شُكْرِ تَعَالَى، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾، وَلَمْ يُشْرِكِ اللَّهَ تَعَالَى أَحَدًا فِي شُكْرِهِمَا، كَمَا لَمْ يُشْرِكْ سُبْحَانَهُ أَحَدًا فِي شُكْرِهِ وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ جُمْلَةِ الشُّكْرِ، لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ تَرْبِيَّتِهِمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، وَفِي مُقَابَلَةِ حُنُوهُمَا وَشَفَقَتِهِمَا وَمَحَبَّةِ إِيْصَالِ كُلِّ خَيْرٍ إِلَيْهِ، وَلِتَحْمِلَهُمَا أَثَاةَ مَنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ، كَمَا جَمِيعَ ذَلِكَ مَعْلُومٌ مِنْ حَالِهِمَا، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾، الْآيَةِ، وَلَا مُشَارِكَ لَهُمَا فِي ذَلِكَ. انْتَهَى....

وَرَوَى الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَحْكَامِ:

عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ إِجْلَالِ اللَّهِ أَنْ يُجَلَّ الْأَبَوَيْنِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ} فَجَعَلَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ مِنْ تَعْظِيمِ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ
امْتِثَالَ لِأَمْرِهِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ. انْتَهَى....

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَحْكَامِ أَيْضًا:

وَبَلَّغْنَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {النَّظَرُ فِي
كِتَابِ اللَّهِ عِبَادَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ عِبَادَةٌ، وَالنَّظَرُ فِي
وُجُوهِ الْوَالِدَيْنِ إِعْظَامٌ لَهُمَا وَإِجْلَالٌ لَهُمَا عِبَادَةٌ}. انْتَهَى.

وَعَلَى الْجُمْلَةِ: أَنَّهُ لَا يَظْهَرُ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ...

وَقَالَ الْإِمَامُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

{وَحَقُّ اللَّهِ فِي بَرِّ الْوَالِدَيْنِ: وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا، وَالرَّفْقُ بِهِمَا
فَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ شَيْئًا هُوَ أَقْلُ مِنْ {أُفٍّ} لَحَرَّمَهُ مِنْهُمَا، فَقَالَ تَعَالَى:
﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ
عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ
لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ
ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. انْتَهَى....

وَفِي صَحِيفَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ
 آبَائِهِ، عَنْ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: {أَذْنَى الْعُقُوقِ أَفٌّ، وَلَوْ
 عَلِمَ اللَّهُ شَيْئًا أَهْوَنَ مِنْ أَفٍّ لَنَهَى عَنْهُ}. . انْتَهَى....

وَقَالَ فِي الثَّمَرَاتِ:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ
 عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ
 لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ
 ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وَتَمَرَّةٌ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ:

لُزُومُ الْقِيَامِ بِحَقِّ الْوَالِدَيْنِ، وَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ
 وَجْهِهِ.

مِنْهَا: أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِذَلِكَ قَضَاءً مَجْزُومًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى
 رَبُّكَ﴾، وَفِي قِرَاءَةِ بَعْضِ أَوْلَادِ مُعَاذٍ: وَقَضَى رَبُّكَ بِجَرِّ الْبَاءِ مِنْ
 رَبِّكَ.

وَقُرِئَ وَوَصَّى رَبُّكَ.

وَقُرِئَ وَأَوْصَى رَبُّكَ، وَهِيَ آحَادِيَّةٌ.

ومِنْهَا: أَنَّهُ تَعَالَى قَرْنَ الْأَمْرِ بِحَقِّهِمَا بِالْأَمْرِ بِحَقِّهِ، وَشَفَعَهُ بِهِ.

ومِنْهَا: أَنَّهُ تَعَالَى ضَيَّقَ الْأَمْرَ بِحَقِّهِمَا، وَلَمْ يُسْقِطْهُ فِي حَالٍ، وَلَا رَخَّصَ فِيهِ بِأَذْنَى كَلِمَةٍ.

ومِنْهَا: إِلْزَامُ الْقِيَامِ بِحَقِّ اللَّهِ فِي حَالٍ يَنْتَهِي الْإِنْسَانُ فِيهَا إِلَى حَالِ الضَّجَرِ، وَضَيِّقِ الْخَاطِرِ مِنْ بُلُوغِهِمُ الْكِبَرِ، وَانْتِهَائِهِمَا إِلَى حَالَةٍ يَنْفِرُ عَنْهُمَا.

ومِنْهَا: نَهْيُهُ عَنْ أَدْنَى قَوْلٍ يُؤْذِيهِمَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ، وَأَبُو مُسْلِمٍ: يَعْنِي: لَا يَتَبَرَّمُ بِهِمَا، وَلَا يَضْجُرُ، لِأَنَّ الْمُتَبَرَّمَ يُكْثِرُ الْأُفَّ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَلِمَةُ كَرَاهَةٍ، وَقِيلَ: الْكَلَامُ الرَّدِيُّ الْغَلِيظُ. **وَقِيلَ:** لَا يَقُلْ لِنَتْنِهِمَا أُفٌّ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: إِنْ بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ حَالَةَ يَبُولَانَ، وَيَتَغَوَّطَانَ، فَلَا تُقَدَّرُهُمَا، وَأَمِطَهُ عَنْهُمَا كَمَا كَانَا يُمِيطَانِ عَنْكَ صَغِيرًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾، يَعْنِي: لَا تَرْجُرُهُمَا.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، أَيُّ: حَسَنًا.

وَقِيلَ: يُكْرَمُهُمَا بِهِ: عَنْ أَبِي عَلِيٍّ.

وَقِيلَ: كَقَوْلِ الْعَبْدِ الْمُذْنِبِ لِلسَّيِّدِ: عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ.

وَقِيلَ: لَا تُكَنِّهَمَا، وَلَا تُسَمِّهَمَا، وَقُلْ: يَا أَبَتَاهُ يَا أُمَّاهُ: عَنْ عَطَاءٍ، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَيِّهِ: يَا أَبَتِ مَعَ كُفْرِهِ. انْتَهَى.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَزُّ الدِّينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْفَتَاوَى:

عِنْدَ مَا سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ} .؟

الْجَوَابُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْحَثَّ عَلَى بِرِّ الْوَالِدِ، وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ وَاسِطَةُ عَقْدِ الْمَصَادِرِ الْمَزْلَفَةِ وَالْمَوَارِدِ، وَهُوَ مُفَرَّغٌ فِي قَالِبٍ (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَوْسَطِ أَبْوَابِهَا فَعَلَيْهِ بِرٌّ وَالِدِهِ) وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ مِنْ أَبْلَغِ الطَّرِيقِ إِلَى مَا هُنَالِكَ وَأَعْظَمِ الْمَنَاهِجِ وَالْمَسَالِكِ، وَكَفَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وَنَحْوِهَا مِنَ الْآيَاتِ،

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ اعْتَلَى الْمِنْبَرَ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْحَاضِرِينَ لِيَخْطُبَهُمْ: {أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ}؟ قَالَهَا ثَلَاثًا. ثُمَّ قَالَ: {الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، أَلَا وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، أَلَا وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، أَلَا وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ}.

وَلَفْظُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْمُجْتَبَى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ وَقَالَ: إِنَّ لِي امْرَأَةً، وَإِنَّ أَبِي يَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شَتَّ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ}. انْتَهَى.

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: {يَا بَنِيَّ: مَنْ أَرْضَى وَالِدَيْهِ فَقَدْ أَرْضَى الرَّحْمَنَ، وَمَنْ أَسَخَطَهُمَا فَقَدْ أَسَخَطَ الرَّحْمَنَ.}

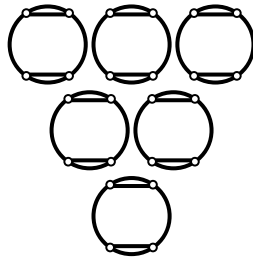
يَا بَنِيَّ: إِنَّمَا الْوَالِدَانِ بَابٌ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ رَضِيََا مَضَيْتَ إِلَى الْجَبَّارِ، وَإِنْ سَخَطَا حُجِبْتَ}. انْتَهَى.

وَأَعْلَمُ يَا بَنِيَّ: أَنَّ هُنَاكَ صُورًا مُخْتَلِفَةً لِلْعُقُوقِ، بَعْضُهَا فِعْلِيٌّ وَبَعْضُهَا قَوْلِيٌّ.

وَمِنَ الْعُقُوقِ مَا يُبْدِيهِ الْوَلَدُ لِأَبَوَيْهِ مِنْ مَلَلٍ، وَضَجَرٍ، وَغَضَبٍ وَانْتِفَاحٍ أَوْ دَاجِهِ، وَاسْتِطَالَتِهِ عَلَيْهِمَا.

وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يُقَابِلَهُمَا بِالْحُسْنَى، وَاللَّيْنِ وَالْمَوَدَّةِ، وَالْقَوْلِ الْمَوْصُوفِ
بِالْكَرَامَةِ، السَّالِمِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ
الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾، فَنُهِِيَ عَنْ أَنْ يَقُولَ
لَهُمَا مَا يَكُونُ فِيهِ أَدْنَى تَبَرُّمٍ.

وَهَا هُوَ مُعَلِّمُ الْبَشَرِيَّةِ، وَهَادِي الْإِنْسَانِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
يَرْبِطُ الْعُقُوقَ بِالشَّرِّكَ بِاللَّهِ، وَيُدْرِجُهُ ضِمْنَ قَائِمَةِ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ.
انْتَهَى....



العُقُوقُ

يُقَالُ: عَقَّ وَالِدُهُ يَعُقُّهُ عُقُوقًا، إِذَا آذَاهُ وَعَصَاهُ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ وَأَصْلُهُ مِنَ الْعَقِّ وَهُوَ الشَّقُّ وَالْقَطْعُ...

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ بَلْ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْعُقُوقِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ بِاللَّهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ}؟ ثَلَاثًا. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: {الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا إِلَّا وَقَوْلُ الزُّورِ}، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

وَأَنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ:

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالْبَزَّازُ، وَالْحَاكِمُ، وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: {ثَلَاثَةٌ حَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُ، وَالِدِّيُوثُ الَّذِي يُقْرَأُ الْخَبَثُ فِي أَهْلِهِ}...

قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ: الدِّيُوثُ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ هُوَ الَّذِي يُقْرَأُ أَهْلُهُ عَلَى الزَّنا مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنٌ خَمْرٍ، وَلَا عَاقٌ، وَلَا مَنَّانٌ }.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُصِيبُونَ ذُنُوبًا حَتَّى وَجَدْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْعَاقِ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].
الآية.

وَفِي الْمَنَّانِ: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].
الآية.

وَفِي الْخَمْرِ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾ [المائدة: ٩٠].
الآية إِلَى قَوْلِهِ: «فَاجْتَنِبُوهُ».

يَا بُنَيَّ: إِنَّ الْعُقُوقَ شُرُومُهُ عَاجِلٌ، وَعُقُوبَتُهُ قَرِيبَةٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي تُعَجَّلُ عُقُوبَتُهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ..

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ: وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {اثنان يُعَجِّلُهُمَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا الْبَغْيُ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ}.

وَرَوَى: الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: {بَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا الْبَغْيُ وَالْعُقُوقُ}.

وَرَوَى: الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مَا شَاءَ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ}.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَمَالِي، وَأَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَصَحَّحَهُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ تُعَجَّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ}.

وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَعْظَمِ الْقَطِيعَةِ لِلرَّحِمِ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، قَالَ: إِنَّ كَعْبًا قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ اللَّهَ لَيُعَجِّلُ حِينَ الْعَبْدِ إِذَا كَانَ الْعَبْدُ عَاقًا لَوَالِدَيْهِ

لِيُعَجَّلَ لَهُ الْعَذَابُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ فِي عُمرِ الْعَبْدِ إِذَا كَانَ بَارًّا
بِوَالِدَيْهِ لِيَزِدَادَ بَرًّا وَخَيْرًا».

وَقَالَ كَعْبٌ: «أَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنَّهُ إِذَا دَعَاهُ فَلَمْ يُجِبْهُ فَقَدْ
عَقَّه، وَإِذَا أَلْجَأَهُ إِلَى أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِ وَيَبْكِي إِلَى اللَّهِ مِنْهُ فِيمَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَهُ فَقَدْ عَقَّه كُلُّ الْعُقُوقِ، وَإِذَا اتَّيَمَّنَهُ فَخَانَهُ فَقَدْ عَقَّه، وَإِذَا
سَأَلَهُ مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَمَنَعَهُ فَقَدْ عَقَّه».

يَا بُنَيَّ: فَهَلْ يَأْمَنُ الْعَاقُونَ أَنْ تَحِلَّ بِهِمْ كَارِثَةٌ، أَوْ تُصِيبَهُمْ
مُصِيبَةٌ؟

وَمَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ عَقَّ أَبْنَاؤُهُ:

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْعُقُوقَ دَيْنٌ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهِ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ
جِنْسِ الْعَمَلِ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ.

فَكَمَا تَدِينُ ثَدَانُ، فَمَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ بَرَّهْ أَوْلَادُهُ، كَمَا يَأْتِي فِي الْخَبَرِ
وَمَنْ عَقَّهُمَا عَقَّهْ أَوْلَادُهُ جَزَاءً وَفَاقًا.

كَمَا رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {بَرُّوا
آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ}.

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهٍ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ: { يَا مُوسَى وَقَرِّ وَالِدَيْكَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَقَرَّ وَالِدَيْهِ مَدَدَتْ لَهُ
فِي عُمُرِهِ، وَوَهَبَتْ لَهُ وَلَدًا يُبْرِئُهُ، وَمَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ قَصَرَتْ لَهُ مِنْ
عُمُرِهِ، وَوَهَبَتْ لَهُ وَلَدًا يَعُقُّهُ } ...

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مَنْ عَصَى وَالِدَيْهِ لَمْ يَنْلِ السُّرُورَ مِنْ
وَلَدِهِ».

وَعَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ قَالَ: «رَأَيْتُ رَجُلًا يَضْرِبُ أَبَاهُ فِي مَوْضِعٍ.
فَقِيلَ لَهُ مَا هَذَا؟

فَقَالَ الْأَبُ: خَلُّوا عَنْهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَضْرِبُ أَبِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
فَابْتُلَيْتُ بِابْنِي يَضْرِبُنِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ».

وَرُويَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ قَالَ:
«خَرَجْتُ مِنَ الْحَيِّ أَطْلُبُ أَعَقَّ النَّاسِ، وَأَبْرَّ النَّاسِ، فَكُنْتُ أَطُوفُ
بِالْأَحْيَاءِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى شَيْخٍ فِي عُنُقِهِ حَبْلٌ يَسْقِي بِدَلْوٍ لَا
تُطِيقُهُ الْإِبِلُ فِي الْهَاجِرَةِ وَالْحَرُّ شَدِيدٌ، وَخَلْفَهُ شَابٌّ فِي يَدِهِ سَوْطٌ
يَضْرِبُهُ بِهِ، قَدْ شَقَّ ظَهْرُهُ بِذَلِكَ الْحَبْلِ.

فَقُلْتُ: أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الشَّيْخِ الضَّعِيفِ؟

أَمَا يَكْفِيهِ مَا هُوَ فِيهِ؟

قَالَ: إِنَّهُ مَعَ هَذَا أَبِي.

قُلْتُ: فَلَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

قَالَ: اسْكُتْ، فَهَكَذَا كَانَ هُوَ يَصْنَعُ بِأَبِيهِ، وَكَذَا يَصْنَعُ أَبُوهُ بِجَدِّهِ، فَقُلْتُ: هَذَا أَعَقُّ النَّاسِ».

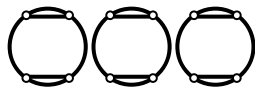
نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْعُقُوقِ وَمِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ.

يَا بُنَيَّ: أَتَدْرِي مَا نَتَائِجُ الْعُقُوقِ: كَبِيرَةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، تُقَرَّنُ بِالشَّرِّكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَجْلَبَةٌ لِسَخَطِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَدْعَاةٌ لَتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا.

يَا بُنَيَّ: الْأَبُ نَاصِحٌ حَنُونٌ، وَمُشْفِقٌ وَدُودٌ، وَمَا خِلْتُ يَوْمًا أَنَّ أَبَا يَوْدُ الشَّرِّ لِابْنِهِ، أَوْ يَحْسُدُهُ عَلَى أَنْ حَقَّقَ خَيْرًا دُونَهُ، فَلَا تَشْمِزْ مِنْهُ إِذَا مَا نَصَحَكَ، أَوْ عَاتَبَكَ عَلَى أَمْرٍ، حَتَّى وَإِنْ قَسَا عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ مِنْكَ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا الشَّفَقَةَ عَلَيْكَ، وَالرَّحْمَةَ، وَالْمَحَبَّةَ، وَالنَّصِيحَةَ، وَإِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ أَجْلِكَ أَنْتَ يَا بُنَيَّ: وَمِنْ أَجْلِ مَصْلَحَتِكَ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِكَ مِنْكَ.

يَا بُنَيَّ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَتَصَوَّرُ أَنَّ أَبَاهُ إِذَا نَصَحَهُ، أَوْ عَاتَبَهُ يَتَصَوَّرُ أَنَّ أَبَاهُ يُبَغِّضُهُ وَلَا يُحِبُّهُ، وَهَذَا خَطَأٌ، فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ يُحِبُّهُ لَمَا نَصَحَهُ....

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: إِنَّ الْبِرَّ بِالْوَالِدَيْنِ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا عَامٌّ مُطْلَقٌ يَنْضَوِي تَحْتَهُ مَا يَرْضَى الابْنُ وَمَا لَا يَرْضَى، مِنْ غَيْرِ امْتِنَاعٍ، وَلَا جَدَلٍ وَلَا مُنَاقَشَةٍ، وَلَا ضَجَرٍ، ذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَبْنَاءِ يَحْسَبُونَ أَنَّ الْبِرَّ فِيمَا يَرُوقُ لَهُمْ، وَيُحَقِّقُ رَغَبَاتِهِمْ، وَفِيمَا تَهَوَّاهُ نُفُوسُهُمْ وَالْحَقُّ: أَنَّ الْبِرَّ لَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا يُخَالِفُ أَهْوَاءَهُمْ، وَمُيُولَهُمْ وَلَوْ كَانَ فِيمَا يُوَافِقُهَا لَمَا سُمِّيَ بِرًّا.....



مِنْ شُرُوطِ قَبُولِ الْأَعْمَالِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ، وَشَرْطٌ فِي قَبُولِ الْعَمَلِ.

لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ الْإِيمَانَ، وَلَا الصَّلَاةَ، وَلَا الزَّكَاةَ، وَلَا صِيَامَ رَمَضَانَ، إِلَّا بِالْبِرِّ لِلْوَالِدَيْنِ، لِأَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ فَرِيضَةٌ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَلَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ فَرَائِضِهِ، بَعْضُهَا دُونَ بَعْضٍ.. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ثَلَاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلَاثِ آيَاتٍ لَا يُقْبَلُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا بِغَيْرِ قَرِينَتِهَا.

أَوَّلُهَا: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، فَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يُؤَدِّ الزَّكَاةَ لَا تُقْبَلُ مِنْهُ الصَّلَاةُ.

وَالثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾، فَمَنْ شَكَرَ اللَّهَ وَلَمْ يَشْكُرْ وَالِدَيْهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ.

وَالثَّلَاثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَلَمْ يُطِيعِ الرَّسُولَ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ، وَالسَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ، فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ، فِي بِرِّ الْوَالِدَيْنِ.

فَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ دَرَجَةً عَالِيَةً، وَمَرْتَبَةً، رَفِيعَةً، لَا يَنَالُهَا إِلَّا أَرْبَابُ
الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ، وَأَصْحَابُ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ، وَالنُّفُوسِ الْفَاضِلَةِ الزَّكِيَّةِ.
الَّذِينَ عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَعَقَلُوا عَنِ اللَّهِ حُجَجَهُ وَآيَاتِهِ،
وَانْتَفَعُوا بِمَا سَمِعُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ: فَاسْتَقَامُوا عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالَّذِينَ، وَامْتَثَلُوا مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ
بِهِ وَرَسُولُهُ، مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ
وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، فَفَازُوا بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّتِهِ، ثُمَّ بِرِضَا
الْوَالِدَيْنِ، وَنَالُوا بِذَلِكَ السَّعَادَةَ وَالْعِزَّةَ، مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا
وَالْفَلَاحَ فِي الْآخِرَةِ..

نَعْمَ يَا بُنَيَّ: إِنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ جَمَعَ مِنَ الْخَيْرِ أَكْمَلَهُ، وَمِنَ
الْإِحْسَانِ أَجْمَلَهُ، وَحَازَ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْفَعَهُ، وَحَوَى مِنَ الْفَضْلِ
أَرْفَعَهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْبَارَّ بِوَالِدَيْهِ يَجْنِي ثَمَاراً طَيِّبَةً، وَيُهِئُ لَهُ أَسْبَاباً
لِرَحْمَةِ اللَّهِ جَالِبَةً، وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَارِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ: دُخُولُ جَنَّةٍ عَرْضُهَا
الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ...

فَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ، وَمَغْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ، وَلَهُ ثَمَرَاتٌ كَثِيرَةٌ
وَمَنَافِعُ جَلِيلَةٌ.

فَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى:

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي زِيَادَةِ الْحَسَنَاتِ، وَمُحْوِ السَّيِّئَاتِ..

فَمِنْ ثَمَرَاتِ الْبِرِّ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ: مَعَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ تَعَالَى لَهُ
فِي الْجَنَّةِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الدَّائِمِ، وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالْفَوْزِ
الْأَكْبَرِ، أَنَّهُ سَبَبٌ لِإِطَالَةِ الْعُمُرِ.

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ يَدْفَعُ مِيتَةَ الشُّوْءِ.

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ يَقِي مَصَارِعَ الشُّوْءِ..

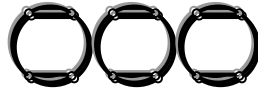
وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي بَسْطِ وَسْعَةِ الرِّزْقِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ
وَتَفْرِيجِ الْكُرْبَاتِ.

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي إِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ.

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي بَرِّ أَبْنَائِكَ وَأَحْفَادِكَ لَكَ.

وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَرَاحَةِ الْبَالِ، وَالرِّزْقِ
الْحَلَالِ، وَالذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، وَطِيبِ الْحَيَاةِ.

كَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ: فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي بَرِّ
الْوَالِدَيْنِ.....



بَعْضُ قِصَصِ الْبَارِّينَ

وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْفَائِدَةِ أَنَّ الْحَقَّ بِهَذَا الْبَابِ بَعْضُ الْقِصَصِ النَّافِعَةِ، الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْبَارِّينَ بِالْوَالِدَيْنِ لَتَكُونُ فِيهَا عِبْرَةٌ لِمَنْ يَعْتَبِرُ.

وَتَحَدَّثْتُ عَنْ عَاقِبَةِ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَبَرَكَتِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. وَالَّتِي إِنْ دَلَّتْ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ شَأْنِ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ وَعَظِيمِ أَثَرِ الْبِرِّ عَلَى الْبَارِّ بِوَالِدَيْهِ، فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.

فَمَعْذَرَةٌ يَا بَنِي: إِنْ أَطَلْتُ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِي أَنْ أُطِيلَ لَوْلَا الْحَاجَةُ الْمَاسَّةُ إِلَى الْبَيَانِ وَالْبَلَاغِ، لِأَهْمِيَّةِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، وَعَظَمِ شَأْنِهِ، وَخَطَرِ عُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ، وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {فَلْيَعْمَلِ الْعَاقُ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ}، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: {يُقَالُ لِلْعَاقِ: اْعْمَلْ مَا شِئْتَ مِنَ الطَّاعَةِ فَإِنِّي لَا أَغْفِرُ لَكَ}.

وَإِلَيْكَ نَمَازِجٌ مِنْ تِلْكَ الْقِصَصِ النَّافِعَةِ، قِصَصِ الْبَارِّينَ...

مِنْهَا: مَا رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ: فِي تَفْسِيرِهِ، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَكْبَرِ

النَّاسِ بِأَبِيهِ، وَإِنَّ رَجُلًا مَرَّ بِهِ مَعَهُ لَوْلُو يَبِيعُهُ، فَكَانَ أَبُوهُ نَائِمًا
تَحْتَ رَأْسِهِ الْمِفْتَاحُ.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: تَشْتَرِي مِنِّي هَذَا اللَّوْلُو بِسَبْعِينَ أَلْفًا؟
فَقَالَ لَهُ الْفَتَى: كَمَا أَنْتَ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ أَبِي فَأَخْذَهُ بِثَمَانِينَ أَلْفًا.
فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ: أَتَقِظُ أَبَاكَ وَهُوَ لَكَ بِسِتِّينَ أَلْفًا.
فَجَعَلَ التَّاجِرُ يَحُطُّ لَهُ حَتَّى بَلَغَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَزَادَ الْآخَرُ عَلَى أَنْ
يَنْتَظِرَ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ أَبُوهُ حَتَّى بَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ.
فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِشَيْءٍ أَبَدًا، وَأَبَى أَنْ
يُوقِظَ أَبَاهُ.

فَعَوَّضَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ اللَّوْلُو أَنْ جَعَلَ لَهُ تِلْكَ الْبَقَرَةَ، فَمَرَّتْ بِهِ بَنُو
إِسْرَائِيلَ يَطْلُبُونَ الْبَقَرَةَ، فَأَبْصَرُوا الْبَقَرَةَ عِنْدَهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهُمْ
إِيَّاهَا بَقَرَةً بِبَقَرَةٍ فَأَبَى، فَأَعْطُوهُ ثَنَيْنِ فَأَبَى، فَزَادُوهُ حَتَّى بَلَغُوا عَشْرًا
فَأَبَى، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُكَ حَتَّى نَأْخُذَهَا مِنْكَ.
فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى مُوسَى.

فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا وَجَدْنَا الْبَقَرَةَ عِنْدَ هَذَا فَأَبَى أَنْ يُعْطَيْنَاهَا
وَقَدْ أَعْطَيْنَاهُ ثَمَنًا.

فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَعْطِهِمْ بَقَرَتَكَ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَحَقُّ بِمَا لِي.

فَقَالَ: صَدَقْتَ.

وَقَالَ لِلْقَوْمِ: أَرْضُوا صَاحِبَكُمْ.

فَأَعْطُوهُ وَزَنَها ذَهَبًا فَأَبَى.

فَأَضَعُوا لَهُ مِثْلَ مَا أَعْطُوهُ وَزَنَها حَتَّى أَعْطُوهُ وَزَنَها عَشْرَ مَرَّاتٍ
فَبَاعَهُمْ إِيَّاهَا وَأَخَذَ ثَمَنَها.. انْتَهَى...

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، فِي الْمُصَنَّفِ
وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْنَاءٍ، فَمَرِضَ
فَقَالَ أَحَدُهُمْ:

إِمَّا أَنْ تُمَرِّضُوهُ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْءٌ.

وَإِمَّا أَنْ أُمَرِّضَهُ وَلَيْسَ لِي مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْءٌ.

قَالُوا: بَلْ مَرِّضَهُ وَلَيْسَ لَكَ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْءٌ.

قَالَ: فَمَرِّضَهُ حَتَّى مَاتَ وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا.

قَالَ: وَأُتِيَ فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ لَهُ: ائْتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهُ مِائَةً
دِينَارٍ.

فَقَالَ فِي نَوْمِهِ: أَفِيهَا بَرَكَةٌ؟

قَالُوا: لَا.

فَأَصْبَحَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَامْرَأَتِهِ.

فَقَالَتْ لَهُ: فَخُذْهَا، فَإِنَّ مِنْ بَرَكَتِهَا أَنْ تَكْتَسِيَ مِنْهَا، وَتَعِيشَ مِنْهَا.

قَالَ: فَأَبَى، فَلَمَّا أَمْسَى أُتِيَ فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ لَهُ: ائْتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهُ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ.

فَقَالَ: أَفِيهَا بَرَكَةٌ؟

قَالُوا: لَا.

فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لَامْرَأَتِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: مِثْلَ مَقَالَتِهَا الْأُولَى فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهَا.

فَأُتِيَ فِي النَّوْمِ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَنْ ائْتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهُ دِينَارًا.

فَقَالَ: أَفِيهِ بَرَكَةٌ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

فَذَهَبَ فَأَخَذَ الدِّينَارَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى السُّوقِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ حُوتَيْنِ، فَقَالَ: بِكُمْ هَذَا؟

قَالَ: بِدِينَارٍ، فَأَخَذَهُمَا مِنْهُ بِالْدِّينَارِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهُ شَقَّ الْحُوتَيْنِ فَوَجَدَ فِي بَطْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دُرَّةً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهَا.

قَالَ: فَبَعَثَ الْمَلِكُ يَطْلُبُ دُرَّةً يَشْتَرِيهَا فَلَمْ يُوْجَدْ إِلَّا عِنْدَهُ فَبَاعَهَا بِوَقْرٍ ثَلَاثِينَ بَغْلًا ذَهَبًا.

فَلَمَّا رَأَاهَا الْمَلِكُ، قَالَ: مَا يَصْلُحُ هَذِهِ إِلَّا بِأُخْتٍ، فَاطْلُبُوا مِثْلَهَا وَإِنْ أَضْعَفْتُمْ.

قَالَ: فَجَاءُوهُ، فَقَالُوا: أَعِنْدَكَ أُخْتُهَا؟ وَنُعْطِيكَ ضِعْفَ مَا أَعْطَيْنَاكَ؟

قَالَ: أَوْ تَفْعَلُونَ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

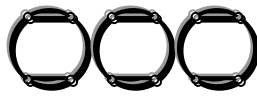
فَأَعْطَاهُمْ أُخْتُهَا بِضِعْفِ مَا أَخَذُوا الْأُولَى).. انْتَهَى...

فَلَقَدْ ضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ، فِي بَرِّ الْوَالِدَيْنِ، فَرَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْزِلَتَهُمْ فِي الدَّارَيْنِ، وَأَعْلَى ذِكْرَهُمْ، وَمَقَامَهُمْ فِي الْخَالِدِينَ.

فَانْظُرْ يَا بُنَيَّ: رَحِمَنِي اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ إِلَى بَرَكَهٍ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ مَا أَعْظَمُهَا.

فَفِي هَذِهِ الْقِصَصِ اعْتَبَارٌ بِحَالِ مَنْ كَانَ بَارًّا بِوَالِدَيْهِ، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَبَارَكَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَوَسَّعَهُ عَلَيْهِ، بِبَرَكَهٍ الْبِرِّ لَوَالِدَيْهِ.

فَانْظُرِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي بَلَغَهَا الْبَارُّ بِوَالِدَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ..
فَاخْرِصْ يَا بُنَيَّ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ عَلَى الْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ....



تَرْكُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ سَبَبٌ فِي سُوءِ الْخَاتِمَةِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَدَمُ بِرِّ الْأَبْنَاءِ بِالْأَبَوَيْنِ.

وَنَحْتِمُ هَذَا الْبَحْثَ فِي بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا. الَّتِي رَوَاهَا الذَّهَبِيُّ فِي كِتَابِي الْكَبَائِرِ..

فَالْيُكَّ يَا بُنَيَّ: هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَالْمَوْعِظَةُ الْبَلِيغَةُ..

فَيَا مَنْ أَرَادَ الْخَيْرَ لِنَفْسِهِ، اسْتَمِعْ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ وَأَنْتَفِعْ بِهَا..

{ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ شَابٌّ يُسَمَّى عُلْقَمَةَ، وَأَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْجَاهِدِ فِي الطَّاعَةِ، مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالصَّدَقَةِ، فَمَرِضَ وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَأَرْسَلَتْ امْرَأَتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ زَوْجِي عُلْقَمَةُ فِي النَّزْعِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْلِمَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَالِهِ.

فَأَرْسَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَمَّارًا، وَبِلَالًا، وَصُهَيْبًا، وَقَالَ: امْضُوا إِلَيْهِ وَلَقِّنُوهُ الشَّهَادَةَ، فَجَاءُوا إِلَيْهِ فَوَجَدُوهُ فِي النَّزْعِ، فَجَعَلُوا يُلَقِّنُونَهُ: { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } وَلِسَانُهُ لَا يَنْطِقُ بِهَا.

فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ.

فَقَالَ: { هَلْ مِنْ أَبَوَيْهِ أَحَدٌ حَيٌّ } ...؟

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُ أُمٌّ كَبِيرَةٌ السِّنِّ.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا: { إِنَّ قَدَرْتَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِلَّا فَاَنْتَظِرِيهِ فِي الْمَنْزِلِ حَتَّى يَأْتِيكَ }.

فَجَاءَ إِلَيْهَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ.

فَقَالَتْ: نَفْسِي لِنَفْسِهِ الْفِدَاءُ أَنَا أَحَقُّ بِإِثْيَانِهِ، فَتَوَكَّأَتْ وَقَامَتْ عَلَى عَصَا وَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَسَلَّمَتْ وَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ، وَقَالَ لَهَا: { يَا أُمَّ عُلْقَمَةَ: أَصْدُقِيْنِي وَإِنْ كَذَبْتِي جَاءَ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَيْفَ كَانَ حَالُ وَلَدِكَ عُلْقَمَةَ } .؟

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ، كَثِيرَ الصِّيَامِ، كَثِيرَ الصَّدَقَةِ.

قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { فَمَا حَالُكَ } .؟

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا عَلَيْهِ سَاخِطَةٌ.

قَالَ: { وَلَمْ } .؟

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يُؤْثِرُ زَوْجَتَهُ وَيَعْصِيَنِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ سَخَطَ أُمِّ
عَلْقَمَةَ حَجَبَ لِسَانَ عَلْقَمَةَ عَنِ الشَّهَادَةِ}.

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {يَا بِلَالُ انْطَلِقْ وَاجْمَعْ لِي
حَطْبًا كَثِيرًا}.

قَالَتْ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: {أُحْرِقُهُ بِالنَّارِ}.

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدِي لَا يَحْتَمِلُ قَلْبِي أَنْ تُحْرِقَهُ بِالنَّارِ بَيْنَ
يَدَي.

قَالَ: {يَا أُمِّ عَلْقَمَةَ: فَعَذَابُ اللَّهِ أَشَدُّ وَأَبْقَى، فَإِنْ سَرَّكَ أَنْ يَغْفِرَ
اللَّهُ لَهُ فَارْضِي عَنْهُ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْتَفِعُ عَلْقَمَةُ بِصَلَاتِهِ
وَلَا بِصِيَامِهِ، وَلَا بِصَدَقَتِهِ، مَا دُمْتُ عَلَيْهِ سَاخِطَةً}.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ، وَمَنْ
حَضَرَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْ وَلَدِي عَلْقَمَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {انْطَلِقْ إِلَيْهِ يَا بِلَالُ
فَانْظُرْ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمْ لَا؟}

فَلَعَلَّ أُمِّ عَلْقَمَةَ تَكَلَّمَتْ بِمَا لَيْسَ فِي قَلْبِهَا حَيَاءً مِنِّي}.

فَانْطَلَقَ بِلَالٌ فَسَمِعَ عَلْقَمَةَ يَقُولُ: مَنْ دَاخِلِ الدَّارِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَدَخَلَ بِلَالٌ فَقَالَ يَا هَؤُلَاءِ إِنَّ سَخَطَ أُمِّ عَلْقَمَةَ حَجَبَ لِسَانَهُ عَنِ الشَّهَادَةِ، وَإِنَّ رِضَاهَا أَطْلَقَ لِسَانَهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلْقَمَةُ مِنْ يَوْمِهِ.

فَحَضَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ بِغُسْلِهِ، وَتَكْفِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَحَضَرَ دَفْنَهُ.

ثُمَّ قَامَ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ وَقَالَ: {يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَنْ فَضَّلَ زَوْجَتَهُ عَلَى أُمِّهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُحْسِنَ إِلَيْهَا وَيَطْلُبَ رِضَاهَا فَرِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي رِضَاهَا وَسَخَطُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي سَخَطِهَا}. انتهى...

أَلَا تَرَى يَا بَنِي: كَيْفَ حَجَبَ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ لِسَانَهُ عَنِ النُّطْقِ بِالشَّهَادَةِ؟

هَلْ نَفَعَهُ بَرُّهُ بِزَوْجَتِهِ؟

كَلَّا.

هَلْ نَفَعَتْهُ صَلَاتُهُ، وَصِيَامُهُ، وَحَجَّهْ، وَجِهَادُهُ، وَجَمِيعَ عَمَلِهِ؟

كَلَّا.

هَلْ نَفَعْتُهُ كَثْرَةُ صَدَقَاتِهِ، وَسَائِرُ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ؟

كَلَّا.

وَلِذَا قَالَ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ
الطَّاهِرِينَ: نَاصِحًا وَمُعَلِّمًا وَمُحَذِّرًا لِأُمَّتِهِ مِنَ الْعُقُوقِ: { يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَنْ فَضَّلَ زَوْجَتَهُ عَلَى أُمِّهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، إِلَّا
أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُحْسِنَ إِلَيْهَا وَيَطْلُبَ رِضَاهَا فَرِضًا اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ فِي رِضَاهَا، وَسَخَطُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي سَخَطِهَا }

وَأَوْصَاكُمْ بِالْوَالِدَيْنِ فَبِالْغَاوَا	بِرَّهِمَا فَإِلَّا جُرَّ فِي ذَاكَ وَالرُّحَمَا
فَكَمْ بَدَلًا مِنْ رَأْفَةٍ وَلَطَافَةٍ	وَكَمْ مَنَحًا وَقَتَ احْتِيَاجِكَ مِنْ نِعْمَا
وَأُمِّكَ كَمْ بَاتَتْ بِثِقَلِكَ تَشْتَكِي	تُوَاصِلُ مِمَّا شَقَّهَا الْبُؤْسَ وَالْغَمَّا
وَفِي الْوَضْعِ كَمْ قَاسَتْ وَعِنْدَ وَلَادِهَا	مُشَقًّا يُذِيبُ الْجِلْدَ وَاللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
وَكَمْ سَهَرَتْ وَجَدًا عَلَيْكَ جُفُونُهَا	وَأَكْبَادُهَا لَهْفًا بِجَمْرِ الْأَسَا تَحْمَى
وَكَمْ غَسَلَتْ عَنْكَ الْأَذَى يَمِينُهَا	حُنُوءًا وَإِشْفَاقًا وَأَكْثَرَتِ الضَّمَمَا
فَضَيَّعَتْهَا لَمَّا أَسَنْتَ جَهَالَهَ	وَضِقْتَ بِهَا ذَرْعًا وَذَوَّقْتَهَا سُمًّا
وَبِتَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ رِيَّانَ نَاعِمًا	مُكَبًِّا عَلَى اللَّذَاتِ لَا تَسْمَعُ اللَّوَمَا
وَأُمِّكَ فِي جُوعٍ شَدِيدٍ وَغُرْبَةٍ	تَلِينُ لَهَا مِمَّا بِهَا الصَّخْرَةُ الصَّمَا

أَهَذَا جَزَاهَا بَعْدَ طُولِ عَنَائِهَا لَأَنْتَ لَذُو جَهْلٍ وَأَنْتَ إِذَا أَعْمَى
فَلَا تُطِيعَ زَوْجَةً فِي قَطْعِ وَالِدَةٍ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَحِي قَدْ أَفْنَتِ الْعُمْرَا
فَكَيْفَ تُنْكِرُ أُمًّا تُقْلِكَ احْتَمَلْتَ وَقَدْ تَمَرَّغْتَ فِي أَحْشَائِهَا شُهُرَا
وَعَالَجْتَ بِكَ أَوْجَاعَ النَّفَاسِ وَكَمْ سُرْتُ لَمَّا وَلَدَتْ مَوْلُودَهَا ذَكَرَا
وَأَرْضَعْتِكَ إِلَى حَوْلَيْنِ مُكَمَّلَةً فِي حَجَرِهَا تَسْتَقِي مِنْ تَذِيهِهَا الدُّرَا
وَمِنْكَ يُنَجِّسُهَا مَا أَنْتَ رَاضِعُهُ مِنْهَا وَلَا تَشْتَكِي نَنَّا وَلَا قَدَرَا
وَقُلْ هُوَ اللَّهُ بِالْآلَافِ تَفَرُّوْهَا خَوْفًا عَلَيْكَ وَتُرْخِي دُونَكَ السُّرَا
وَعَامَلْتِكَ بِأَحْسَنِ وَتَرْبِيَةٍ حَتَّى اسْتَوَيْتَ وَحَتَّى صِرْتَ كَيْفَ تَرَى
فَلَا تُفْضِلْ عَلَيْهَا زَوْجَةً أَبَدًا وَلَا تَدْعُ قَلْبَهَا بِالْقَهْرِ مُنْكَسِرَا
وَالْوَالِدُ الْأَصْلُ لَا تُنْكِرُ لِتَرْبِيَةٍ وَاحْفَظْهُ لَا سِيَّما إِنْ أَدْرَكَ الْكِبَرَا
فَمَا تُؤَدِّي لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ وَلَوْ عَلَى عُيُونِكَ حَجَّ الْبَيْتِ وَاعْتَمَرَا

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ: يَا مَنْ أَبْكَى وَالِدَيْهِ، يَا مَنْ أَبْكَى أَبَوَيْهِ
وَأَحْزَنَهُمَا، وَأَسْهَرَ لَيْلُهُمَا، وَحَمَلَهُمَا أَغْبَاءَ الْهُمُومِ، وَجَرَّعَهُمَا
غُصَصَ الْفِرَاقِ وَوَحْشَةَ الْبِعَادِ، هَلَّا أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمَا وَأَرْضَيْتَهُمَا
وَأَضْحَكْتَهُمَا، يَبْكِيَانِ عَلَيْكَ وَأَنْتَ صَغِيرٌ إِشْفَاقًا وَحَذَرًا.

وَيَبْكِيَانِ مِنْكَ وَأَنْتَ كَبِيرٌ، خَوْفًا وَفَرَقًا، فَهُمَا أَلِيفَا حُزْنٍ، وَحَلِيفَا
هَمٍّ وَغَمٍّ، فَلَمَّا بَلَغْتَ مَوْضِعَ الْأَمَلِ، وَمَحَلَّ الرَّجَاءِ قُلْتَ: أَسِيحَ فِي
الْأَرْضِ أَطْلُبُ كَذَا وَكَذَا، فَفَارَقْتَهُمَا عَلَى رَغْمِهِمَا بَاكِئِينَ

وَتَرَكْتُهُمَا فِي وَكْرِهِمَا مُحْزُونِينَ، فَإِنْ غَابَ شَخْصُكَ عَنْ عُيُونِهِمَا
لَمْ يَغِبْ خَيَالُكَ عَنْ قُلُوبِهِمَا.

وَلَئِنْ ذَهَبَ حَدِيثُكَ عَنْ أَسْمَاعِهِمَا، لَمْ يَسْقُطْ ذِكْرُكَ عَنْ
أَفْوَاهِهِمَا، وَلَطَالَمَا بَكَيًا وَلَمْ يَذُوقَا غَمَضًا إِنْ تَأَخَّرْتَ عَنِ الرَّوَّاحِ فِي
الْمَسَاءِ، فَكَيْفَ إِذَا أَغْلَقَا بَابَهُمَا دُونَكَ، وَأَبْصَرَا خَلْوًا مَكَانَكَ
فَفَقَدَا أَنْسَكَ، وَلَمْ يَجِدَا رَائِحَتَكَ، فَكَانَ مَلَاذِمُهُمَا سَحَّ الدُّمُوعِ
فَصَارَ الْوَلَدُ خَبْرًا، وَسَلَ عَنْ حَدِيثِهِمَا إِذَا لَقِيََا إِخْوَانِكَ، وَأَبْصَرَا
أَقْرَانِكَ وَلَمْ يُبْصِرَاكَ مَعَهُمْ، فَهُنَاكَ تُسْكِبُ الْعَبْرَاتُ، وَتَتَضَاعَفُ
الْحَسَرَاتُ.

فَوَيْلٌ لِمَنْ وَيلٌ ثُمَّ وَيلٌ؛ لِمَنْ قَصَرَ فِي حَقِّ وَالِدَيْهِ.

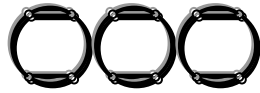
وَيْلٌ؛ لِمَنْ آذَاهُمْ.

وَيْلٌ؛ لِمَنْ اسْتَخَفَّ بِحَقِّهِمْ.

وَيْلٌ؛ لِمَنْ اسْتَأْثَرَ عَلَيْهِمْ.

وَيْلٌ؛ لِمَنْ آثَرَ نَفْسَهُ، أَوْ زَوْجَتَهُ، أَوْ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِهِ عَلَيْهِمْ
اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي بَارًّا بِأَبِي وَأُمِّي، مُطِيعًا لَهُمَا.

اللَّهُمَّ خَفِّضْ لهُمَا صَوْتِي، وَأَطِبْ لهُمَا كَلَامِي، وَأَلِنْ لهُمَا عَرِيكَتِي
وَأَعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي، وَصَيِّرْنِي بِهِمَا رَفِيقًا، وَعَلَيْهِمَا شَفِيقًا.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا، وَآخِرًا، وَبَاطِنًا، وَظَاهِرًا، وَحَسْبُنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ....



فِتْنَةُ النِّسَاءِ

الْفِتْنَةُ بِالنِّسَاءِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ

يَا بُنَيَّ: أَعْرِفُ أَنَّكَ الْآنَ بَلَغْتَ سِنَّ التَّكْلِيفِ وَأَعْرِفُ وَقَدْ مَرَرْتُ بِالْمَرْحَلَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا وَقَاسَيْتُ مِنْهَا مَا قَاسَيْتَ جَيِّدًا.

يَا بُنَيَّ: مَا يُعَانِيهِ الشَّابُّ فِي هَذِهِ السِّنِّ وَأَنَّ مُشْكِلَةَ الشَّهْوَةِ هَاجِسٌ لَا يُفَارِقُ خَيَالَهُ.

فَهَلْ لِي يَا بُنَيَّ: أَنْ أُحَدِّثَكَ عَنْهَا بِصَرَاحَةٍ وَوُضُوحٍ؟

نَعَمْ يَا بُنَيَّ: فَهِيَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ ضَحِيَّةَ خُبْرَةِ أَصْحَابِكَ، وَتَوَجَّهِ خِلَانِكَ.

يَا بُنَيَّ: إِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي عِبَادِهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ بِالشَّهَوَاتِ وَالْمَكَارِهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُؤَوَّقُ بِاللَّهِ فِي الْاِعْتِبَارِ وَسَلْوَةِ الْعَارِفِينَ، وَأَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: { حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ }.

إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مَيْلَ الْمَرْأَةِ لِلرَّجُلِ، وَمَيْلَ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ فِطْرِيٌّ، مَرْكُوزٌ فِي الطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلِذَلِكَ ضَبَطَ الْإِسْلَامُ هَذَا الْمَيْلَ، وَوَجَّهَهُ التَّوْجِيهَ الصَّحِيحَ...

نَعَمْ يَا بُنَيَّ: لَقَدْ زَيَّنَ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الدَّارِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ، مِنَ النِّسَاءِ، وَالْبَنِينَ، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ، وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، وَرَكَّبَ فِي الْإِنْسَانِ يَا بُنَيَّ: غَرَائِزَ تَدْعُوهُ إِلَى مُقَارَفَةِ الشَّهْوَةِ وَارْتِكَابِهَا.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ فِتْنَةَ النِّسَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ، فِي هَذَا الْعَصْرِ وَهِيَ سِلَاحُ إِبْلِيسَ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُنَّ عَظِيمَةٌ، وَالْوُقُوعُ فِيهَا خَطِيرٌ وَضَرَرُهَا كَبِيرٌ، فَإِنَّهُنَّ مَصَائِدُ الشَّيْطَانِ وَحَبَائِلُهُ، فَلَيْسَ هُنَاكَ أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالْفِتْنَةُ بِهِنَّ عَظِيمَةٌ، فَإِنَّهُنَّ يَجْلِبْنَ الْفِتْنَةَ وَيُذَكِّينَ نَارَ الشَّهْوَةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ بِذَلِكَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَحَذَّرَ، وَأَنْذَرَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مُحَذَّرًا مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ: {مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ، مِنْ النِّسَاءِ}...؟

لَأَنَّ الطَّبَاعَ كَثِيرًا تَمِيلُ إِلَيْهِنَّ، وَتَقَعُ فِي الْحَرَامِ لِأَجْلِهِنَّ، وَتَسْعَى
لِلْقِتَالِ وَالْعَدَاوَةِ بِسَبَبِهِنَّ، وَأَقْلُ ذَلِكَ أَنْ تُرَغَّبَ فِي الدُّنْيَا، وَأَيُّ
فَسَادٍ أَضَرُّ مِنْ هَذَا؟

وَإِنَّمَا قَالَ بَعْدِي: لَأَنَّ كَوْنَهُنَّ فِتْنَةً أَضَرَّ ظَهَرَتْ بَعْدَهُ.
فَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْفِتْنَةَ بِالنِّسَاءِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، أَشَدُّ مِنْ
الْفِتْنَةِ بِغَيْرِهِنَّ، بَلْ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ وَالشُّرُورِ وَأَخْطَرِهَا، وَيَشْهَدُ
لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾
فَجَعَلَهُنَّ مِنْ عَيْنِ الشَّهَوَاتِ، وَبَدَأَ بِهِنَّ قَبْلَ بَقِيَّةِ الْأَنْوَاعِ، إِشَارَةً إِلَى
أَنَّهِنَّ الْأَصْلُ فِي ذَلِكَ، وَبِأَنَّ فِتْنَةَ النِّسَاءِ مِنْ أَعْظَمِ مَا كَانَ يَخَافُهَا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: عَلَى أُمَّتِهِ، لَأَنَّ الطَّبَاعَ كَثِيرًا تَمِيلُ
إِلَيْهِنَّ، وَتَقَعُ فِي الْحَرَامِ لِأَجْلِهِنَّ، وَتَسْعَى لِلْقِتَالِ وَالْعَدَاوَةِ بِسَبَبِهِنَّ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ...

وَهُنَّ مَصَائِدُ الشَّيْطَانِ، بِهِنَّ يَصِيدُ الرِّجَالُ، وَبِسَبَبِ غَوَايَتِهِنَّ
يَتَوَصَّلُ إِلَى افْتِتَانِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَهُنَّ مِنْ أَشَدِّ الْفِتَنِ عَلَى الرِّجَالِ.
وَمِنْ هُنَا قَالَ النَّبِيُّ الشَّفِيقُ الْمُشْفِقُ عَلَى أُمَّتِهِ، النَّاصِحُ لَجَمِيعِ
الْخَلْقِ، الْمُرْشِدُ لِلْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْمُنْقِذُ مِنَ الْهَلَاكِ

وَالْمَفَاسِدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَهُوَ الْحَكِيمُ النَّاصِحُ
الْأَمِينُ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي أَتَى بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْحَقُّ الْوَاضِحُ.
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ}، أَيُّ:
مَصَائِدِهِ وَحَبَائِلِهِ الَّتِي يُفْتَتَنُ بِهَا النَّاسُ.

يَعْنِي: أَنَّ أَعْظَمَ آلَةِ الشَّيْطَانِ فِي اسْتِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ، النِّسَاءُ...
وَلَمَّا كَانَتْ فِتْنَةُ النِّسَاءِ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ حَتَّى حَدَرْنَا النَّاصِحُ
الْأَمِينُ، رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، فَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي خِطْبَةِ الْوَدَاعِ: الَّتِي كَانَتْ بِمِثَابَةِ
وَصِيَّةِ مُودِّعٍ لِأُمَّتِهِ: {إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا
النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ}.
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ كُفْرٌ مِنْ مَضَى إِلَّا مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ
وَهُوَ كَائِنٌ كُفْرٌ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ».

بَلْ زَادَ الْأَمْرُ يَا بُنَيَّ: فَصَارَتِ الصُّورَةُ الْمُحَرَّمَةِ تُلَاحِقُ الشَّابَّ
وَالْفَتَاةَ فِي الشَّارِعِ، وَالْمَنْزِلِ، فِي الْمَجَلَّةِ وَالْمَشْهَدِ، فِي الْمَرْأَةِ
الْمُتَبَرِّجَةِ، فِي السُّوقِ، وَالْمُنْتَزَهَاتِ، بَلْ وَفِي الْبَيْتِ، عَبْرَ الْقَنَوَاتِ

الْفَضَائِيَّة، الْخُلَيْعَةُ، وَالْجُؤَالَاتِ، حَتَّى بَلَغَ الْأَمْرُ أَنَّ فِتْنَةَ الصُّورِ الْخُلَيْعَةِ، لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا مِنْ رَحِمِ اللَّهِ وَقَلِيلٍ مَا هُمْ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّهُ لَا يَكَادُ يُوجَدُ هُنَاكَ بَيْتٌ لَمْ يَقْتَحِمْهُ هَذَا الْغَزْوُ الْخَطِيرُ، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ خُطُورَةً عَلَى كُلِّ بَيْتٍ، وَعَلَى كُلِّ أُسْرَةٍ، بَلْ وَعَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ سِلَاحٍ...

وَحِينَ يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ - وَلَا أَخَالَهُ يَسْلَمُ - فَإِنَّهُ يَا بُنَيَّ: لَنْ يَسْلَمَ مِنْ حَدِيثِ زَمِيلِهِ فِي الْمَدْرَسَةِ، أَوْ فِي الْعَمَلِ، وَقَدْ يُرِيهِ الصُّورَةُ، وَيُحَدِّثُهُ عَنِ النِّسَاءِ، وَعَنْ وَعَنْ وَعَنْ إِلَى آخِرِهِ.

وَأَعْلَمُ: أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي عَصْرِنَا هَذَا، وَأَكْثَرُهَا انْتِشَارًا فِي النَّاسِ، حَتَّى لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ مَا يَقُومُ بِهِ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ، وَتُجَّارُ الْفَسَادِ، وَسَمَاسِرَةُ الرِّذِيلَةِ، وَمُحِبُّو إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، بِنَشْرِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَفْلامِ، وَالصُّورِ الْخُلَيْعَةِ الْمَاجِنَةِ، الْمُثِيرَةِ لِلْغَرَائِزِ وَلِلشَّهَوَاتِ، الْجَالِبَةِ لِلْفَسَادِ الدَّاعِيَةِ لِلدَّعَارَةِ، الْفَاتِنَةِ لِلشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ، وَإِفْسَادِ أَخْلَاقِهِمْ وَانْتِزَاعِ رُوحِ الْإِبَاءِ، وَالْفُضِيلَةِ، وَالْغَيْرَةِ، وَالْعَفَافِ مِنْ نُفُوسِهِمْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ....

يَا بُنَيَّ: يَكُونُ الشَّابُّ عَفِيفًا، لَكِنَّهُ حِينَ يَخْلُو بِنَفْسِهِ يَتَّبِعُهُ فِي
أُودِيَةِ التَّفَكِيرِ، وَشِعَابِ الْخَوَاطِرِ، فَتَتَقَاذَفُهُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَيُشْعِلُ
النَّارَ عَلَى نَفْسِهِ، وَحِينَهَا يَسْأَلُ عَنِ الْعِلَاجِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ غَضَّ الْبَصَرِ، وَالْكَفَّ عَنِ الْمَحَارِمِ هُوَ الْخُطْوَةُ
الْأُولَى وَالْأَسَاسُ.

أَلَمْ تَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾.

أَلَمْ تَعْجَبْ مِثْلِي يَا بُنَيَّ: لِمَنْ يَتَجَرَّوُونَ عَلَى الْمُخَالَفَةِ، وَمِنْ ثَمَّ
يَبْحَثُونَ عَنِ الْعِلَاجِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِأَنْ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَمَّا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، دُونَ مَا أَبَاحَ لَهُمْ
رُؤْيَاهُ.

نَعَمْ يَا بُنَيَّ: لَقَدْ أَمَرَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَالِقُ هَذَا الْكَوْنِ
وَمُدَبِّرُ شُؤْنِهِ، الْعَالِمُ بِخَفَايَا أُمُورِهِ وَبِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ بِغَضِّ
الْبَصَرِ عَمَّا لَا يَحِلُّ، وَنَهَى اللَّهَ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ مُقَدِّمَاتِ الزِّنَا
وَكُلِّ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ، كَالنَّظَرِ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ، وَالِاخْتِلَاءِ بِهَا، قَالَ

تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

فَحِظْ الْبَصَرَ وَغَضِّهِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، بِصَرِيحِ الْقُرْآنِ، وَالتَّسَاهُلِ فِي غَضِّ الْبَصَرِ، وَإِطْلَاقِ الْعِنَانِ لِلنَّظَرِ الْمُحَرَّمِ لَا يَجُوزُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

وَقَدْ جَاءَ فِي آيَةٍ أُخْرَى تَهْدِيدُ مَنْ لَمْ يَمْتَثِلْهُ، وَلَمْ يَغْضُ بَصَرَهُ عَنِ الْحَرَامِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ، لِلْحَسَنِ: إِنَّ نِسَاءَ الْعَجَمِ يَكْشِفْنَ صَدْرَهُنَّ وَرُءُوسَهُنَّ.

قَالَ: اصْرِفْ بَصْرَكَ عَنْهُنَّ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.

وَقَالَ قَتَادَةُ: عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُمُ النَّظَرُ إِلَيْهِ.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾
﴿خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ﴾، النَّظَرُ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ، وَبِهِ تَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَهُ

تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾، فِيهِ الْوَعِيدُ لِمَنْ يَخُونُ بِعَيْنِهِ
بِالنَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، وَهَذَا الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَتَانِ مِنَ الزَّجْرِ
عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ جَاءَ مُوضَّحًا فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ.

قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي تَفْسِيرِهِ: قُدِّمَ غَضُّ الْبَصَرِ عَلَى حِفْظِ الْفُرُوجِ
لَأَنَّ النَّظَرَ بَرِيدُ الزَّنا، وَرَائِدُ الْفُجُورِ، وَالْبَلَوَى فِيهِ أَشَدُّ وَأَكْثَرُ، لَا
يَكَادُ يَقْدُرُ عَلَى الْإِحْتِرَازِ مِنْهُ، وَهُوَ الْبَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْقَلْبِ
وَأَعْمَرُ طُرُقِ الْحَوَاسِّ إِلَيْهِ وَيَكْثُرُ السُّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، عَنْ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {الْعَيْنُ تَزِينِي: وَالْقَلْبُ يَزِينِي
فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ
يُكَذِّبُهُ}.

وَأَعْلَمُ يَا بَنِي: أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُفْلِحِينَ، أَنَّهُمْ
يَغْضُونَ أَبْصَارَهُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُمُ النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ
وَيَمْتَثِلُونَ أَوْامِرَ رَبِّهِمْ، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ، حَيَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى...

نَعَمْ يَا بَنِي: النَّظْرَةُ تُثِيرُ الْغَرِيزَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَتُلْهَبُ الشَّهْوَةَ، وَتُحَرِّكُ كَوَافِلَ الشَّهْوَةِ فِي النُّفُوسِ، وَتُوجِّجُ نَارَ الْفِتْنَةِ فِي الْقُلُوبِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْقَلْبُ فَارِغًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى..
وَالنَّظْرَةُ: مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُزَيِّنُ الزَّنا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ فِي عُيُونِ الشَّبَابِ، فَالنَّظْرَةُ بَرِيدُ الزَّنا، وَالنَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، فَإِنَّهَا تَفْعَلُ فِي الْقَلْبِ مَا يَفْعَلُهُ السَّهْمُ فِي الرَّمِيَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلْهُ جَرَحَتْهُ.

فَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مُحَاسِنِ امْرَأَةٍ لِلَّهِ، أَوْرَثَ اللَّهَ قَلْبَهُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَلَذَّتْهُ، الَّتِي هِيَ أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ لِلَّهِ، فَإِنْ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ.

كَمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:
{النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ لَهُ حَلَاوَةً فِي قَلْبِهِ}.

وَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَتَرَكَهَا مِنْ أَجْلِ اللَّهِ تَعَالَى، أَبْدَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْهَا، حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ، يَجِدُ لَذَّتَهَا فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...

كَمَا رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {مَنْ نَظَرَ إِلَى مُحَاسِنِ امْرَأَةٍ، ثُمَّ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْهَا، أَوْرَثَ اللَّهُ قَلْبَهُ حَلَاوَةَ عِبَادَةٍ يَجِدُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} أَوْ كَمَا قَالَ.

وَكَمَا رُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {نَظَرُ الْمُؤْمِنِ إِلَى مُحَاسِنِ الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَرَجَاءَ مَا عِنْدَهُ، أَثَابَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ عِبَادَةً تَبْلُغُهُ لَذَّتُهَا}.

فَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مُحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْرَثَ اللَّهُ قَلْبَهُ نُورًا... وَالنَّظْرَةُ: بِمَنْزِلَةِ الشَّرَارَةِ مِنَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ وَالْحَشِيشِ، فَإِنْ لَمْ تُحْرِقْهُ كُلُّهُ أَحْرَقَتْ بَعْضَهُ.

فَكَمْ نَظْرَةٌ: أَلْقَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا الْبَلَاءَ..؟

وَكَمْ نَظْرَةٌ: قَدْ أَوْرَثَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا حُزْنَ طَوِيلًا؟

كَمْ نَظْرَةٌ: بَلَّغَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا * كَمَبَلَّغِ السَّهْمِ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتَرِ فَهِيَ رَائِدُ الشَّهْوَةِ وَرَسُولُهَا، وَحِفْظُهَا أَصْلُ حِفْظِ الْفَرْجِ، فَحِفْظُ الْفَرْجِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِغَضِّ الْبَصَرِ، فَمَنْ أَطْلَقَ بَصَرَهُ أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْمُهْلِكَاتِ.

وَالنَّظَرُ: أَصْلُ عَامَّةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ، فَإِنَّ النَّظَرَ تُوَلَّدُ خَطَرَهُ، ثُمَّ تُوَلَّدُ الْخَطَرَةُ فِكْرَهُ، ثُمَّ تُوَلَّدُ الْفِكْرَةُ شَهْوَهُ، ثُمَّ تُوَلَّدُ الشَّهْوَةُ إِرَادَةً ثُمَّ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً جَازِمَةً فَيَقَعُ الْفِعْلُ، وَلَا بُدَّ مَا لَمْ يَمْنَعْ مَانِعٌ.

وَفِي هَذَا قِيلَ: الصَّبْرُ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلَمِ مَا بَعْدَهُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ * وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ
كَمْ نَظْرَةٌ بَلَغَتْ فِي قَلْبٍ صَاحِبَهَا * كَمَبْلَغِ السَّهْمِ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتَرِ
وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا طَرْفٍ يُقَلِّبُهُ *** فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يَسُرُّ مُقْلَتُهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ *** لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرِّ
وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ إِطْلَاقَ الْبَصَرِ سَبَبٌ لِأَعْظَمِ الْفِتَنِ، فَكَمْ فَسَدَ
بِسَبَبِ النَّظَرِ مِنْ عَابِدٍ، وَكَمْ انْتَكَسَ بِسَبَبِهِ مِنْ شَبَابٍ وَفَتَيَاتٍ
كَانُوا طَائِعِينَ، وَكَمْ وَقَعَ بِسَبَبِهِ أُنَاسٌ فِي الزَّنى وَالْفَاحِشَةِ وَالْعِيَادُ
بِاللَّهِ.

ثُمَّ أَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ النَّظَرَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُورِثُ
الْحُسْرَاتِ، وَالزَّفَرَاتِ وَالْحَرْقَاتِ، فَيَرَى الْعَبْدُ مَا لَيْسَ قَادِرًا عَلَيْهِ وَلَا

صَابِرًا عَنْهُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعَذَابِ، أَنْ تَرَى مَا لَا صَبْرَ لَكَ عَنْ بَعْضِهِ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى بَعْضِهِ.

يَابْنِي: صُنْ بِصَرَكَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ النَّظَرُ إِلَيْهِ كَالنَّظَرِ إِلَى النِّسَاءِ الْأَجْنَبِيَّاتِ، وَالْأَفْلَامِ وَالصُّوَرِ الْخَلِيعَةِ الْمَاجِنَةِ الْمُثِيرَةِ لِلْغَرَائِزِ وَلِلشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ مَنْ صَانَ بَصَرَهُ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، كَانَ أَطْهَرَ لَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَنْمَى لِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ.

وَمَنْ صَانَ بَصَرَهُ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، نَجَا مِنْ فِتْنَةِ النَّظَرِ الْمُحَرَّمَ إِلَى النِّسَاءِ، وَمَنْ نَجَا مِنْ فِتْنَةِ النَّظَرِ الْمُحَرَّمَ إِلَى النِّسَاءِ فَقَدْ فَازَ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَنَجَا مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾..

وَمَنْ صَانَ بَصَرَهُ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، جَعَلَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ نُورًا، وَرَزَقَهُ اللَّهُ مَحَبَّتَهُ وَرَحْمَتَهُ، كَمَا وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: {وَمَنْ أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ نَظْرَةً حَرَامًا مَلَأَ اللَّهُ عَيْنَيْهِ نَارًا ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَإِنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْهَا أَدْخَلَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ}.

وَقَالَ الْإِمَامُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

«وَحَقُّ اللَّهِ فِي الْبَصَرِ: غَضُّهُ عَنِ الْمَحْظُورَاتِ، مَا صَغُرَ وَمَا كَبُرَ وَلَا تَمُدُّهُ إِلَى مَا مَتَعَ اللَّهُ بِهِ الْمُتَرْفِينَ، وَاتْرُكِ انْتِقَالَ الْبَصَرِ فِي مَا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَكِنْ لِيَجْعَلَ الْمُؤْمِنُ نَظْرَهُ عِبْرًا، فَإِنَّ النَّظَرَ بَابُ الْاِعْتِبَارِ». انتهى...

فَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِالْعِفَّةِ فَإِنَّ الْعِفَّةَ شَرَفٌ وَرِفْعَةٌ عِنْدَ كُلِّ الْعُقَلَاءِ.
وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْعِفَّةَ وَالطَّهَارَةَ، وَالْاِسْتِقَامَةَ مَصْدَرُ كُلِّ خَيْرٍ
لِكُلِّ مَنْ تَحَلَّى بِهَا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ...

فَالْعِفَّةُ: خُلُقٌ إِيْمَانِيٌّ رَفِيعٌ.

وَالْعِفَّةُ: صَبْرٌ وَجَهَادٌ وَاحْتِسَابٌ.

وَالْعِفَّةُ: قُوَّةٌ وَتَحَمُّلٌ وَإِرَادَةٌ.

وَالْعِفَّةُ: صَوْنٌ لِلْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَالْاِنْحِرَافَاتِ
وَالشُّذُوذِ.

وَالْعِفَّةُ: دَعْوَةٌ إِلَى الْبُعْدِ عَنِ سَفَاسِفِ الْأُمُورِ، وَخَدَشِ الْمُرُوءَةِ
وَالْحَيَاءِ.

وَالْعِفَّةُ: لَذَّةٌ وَانْتِصَارٌ عَلَى النَّفْسِ وَالشَّهَوَاتِ، وَتَقْوِيَةٌ لَهَا عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ، وَالْآدَابِ النَّفْسَانِيَّةِ، الْعِفَّةُ إِقَامَةُ الْعَفَافِ وَالنَّزَاهَةِ وَالطَّهَارَةِ فِي النُّفُوسِ، وَغَرَسَ الْفَضَائِلِ وَالْمَحَاسِنِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ، حَقًّا..

إِنَّهَا عِفَّةُ الْإِسْلَامِ، الَّتِي تَضْبِطُ سُلُوكِيَّاتِ الْآدَمِيِّينَ عَنِ الانْحِرَافِ إِلَى مُهَاسِنِ الرَّذِيلَةِ، وَالْانْحِطَاطِ، وَتَحْفَظُ إِرَادَاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ عَنِ الانْحِرَاطِ فِي الزَّلَلِ وَعَدَمِ الْانضِبَاطِ...

نَعْمًا بِنِي: لَقَدْ حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى أَنْ يَنْأَى بِالنَّاسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَالنَّفْسِ بِطَبِيعَتِهَا كَثِيرَةِ التَّقَلُّبِ وَالتَّلَوُّنِ، تُؤَثِّرُ فِيهَا الْمُؤَثِّرَاتِ، وَتَعْصِفُ بِهَا الْأَهْوَاءُ وَالْأَذْوَاء.

فَالنَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، تَسِيرُ بِصَاحِبِهَا إِلَى الشَّرِّ، فَإِنْ لَمْ تُسْتَوْقَفْ عِنْدَ حَدِّهَا، وَتُلْجَمُ بِلِجَامِ التَّقْوَى وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَتُأْطَرَّ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَإِلَّا فَإِنَّهَا دَاعِيَةٌ لِكُلِّ شَرٍّ وَهَوًى وَمَعْصِيَةٍ.

وَالنَّفْسُ بِطَبِيعَتِهَا إِذَا أُطْعِمَتْ طَمِعَتْ، وَإِذَا فَوَّضَتْ إِلَيْهَا أَسَاءَتْ، وَإِذَا حَمَلَتْهَا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ صَلَحَتْ، وَإِذَا تَرَكْتَ إِلَيْهَا

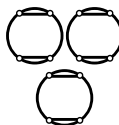
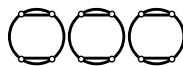
الْأَمْرَ فَسَدَتْ، وَالْعِفَّةُ تَأْتِي لِتَهْذِيبِ النَّفْسِ وَتَرْكِتِهَا مِنْ أَهْوَائِهَا
وَشَهَوَاتِهَا، لِتَتَجَلَّى فِيهَا مَظَاهِرُ الْكَرَامَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَبْدُو فِيهَا
الطَّهَارَةُ وَالنَّزَاهَةُ الْإِيمَانِيَّةُ..

«نَعَمْ»: إِنَّ الْعِفَّةَ هِيَ طَلَبُ الْعَفَافِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمُحَرَّمَ الَّذِي
حَرَّمَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَالْاِكْتِفَاءُ بِمَا أَحَلَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِنْ كَانَ
قَلِيلًا..

وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: فِي مَوَاعِظِهِ يَقُولُ: «يَا ابْنَ
آدَمَ: عِفَّ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَكُنْ عَابِدًا»...

وَأَخْتِمُ كَلَامِي فِي هَذَا الْبَابِ بِبَعْضِ الْقِصَصِ الْمُؤَثِّرَةِ، لِبَعْضِ
الْأَوْلِيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، الصَّالِحِينَ، الْمُخْلِصِينَ، الَّذِينَ ضَرَبُوا أَرْوَاعَ
الْأَمْثَلَةِ، فِي الْعِفَّةِ، وَالطَّهَارَةِ، وَالْفَضِيلَةِ..

فَالْيَا بَنِي: نَمَازِجٌ مِنْ تِلْكَ الْقِصَصِ النَّافِعَةِ، الَّتِي تَتَجَلَّى
فِيهَا أَسْمَى صُورِ الْعِفَّةِ، وَالطَّهَارَةِ، وَالنَّزَاهَةِ، وَالْاِحْتِشَامِ.....



قِصَّةُ الشَّابِّ الْعَفِيفِ

مِنْهَا: قِصَّةُ ذَلِكَ الشَّابِّ الَّذِي تَمَسَّكَ بِحَيَاةِ الْعِفَّةِ، وَالشَّرَفِ، الَّذِي يَصُمُّدُ أَمَامَ كُلِّ الْمُغْرِيَّاتِ، وَلَا يَلِينُ أَمَامَ كُلِّ الْإِغْرَاءِ، بَلْ رَفَضَ كُلَّ أَنْوَاعِ الْإِغْرَاءَاتِ، جَعَلَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الَّذِينَ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: وَهُوَ شَابٌّ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ..

ذَلِكَ الشَّابُّ الْعَفِيفُ، ذَلِكَ الشَّابُّ الْمُؤْمِنُ، ذَلِكَ الشَّابُّ الْمُسْتَقِيمُ، الَّذِي ضَرَبَ أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ، فِي الْعِفَّةِ، وَالطَّهَارَةِ وَالْفَضِيلَةِ..

يُرَوَّى أَنَّ شَابًّا جَمِيلًا: وَكَانَ تَقِيًّا، وَرِعًا يَعْمَلُ بِجِدِّ وَإِخْلَاصٍ وَأَمَانَةٍ، وَيَكْسِبُ قُوَّتَهُ بِعَمَلِهِ، وَكَانَ يَعْمَلُ بَائِعًا مُتَجَوِّلًا، يَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ يَتَجَوَّلُ فِي الشُّوَارِعِ وَالطَّرِيقَاتِ.

فَانْبَهَرَتْ بِجَمَالِهِ إِحْدَى النِّسَاءِ، فَنَادَتْ عَلَيْهِ لِيَعْرِضَ عَلَيْهَا بِضَاعَتَهُ، وَاحْتَالَتْ عَلَيْهِ بِمَكْرِهَا، وَأَدْخَلَتْهُ بَيْتَهَا بِحِجَّةٍ أَنَّهَا تُرِيدُ الشِّرَاءَ مِنْهُ.

وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ: هَيْتَ لَكَ، وَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا لِلْوُقُوعِ فِي
الْفَاحِشَةِ.

وَقَالَتْ: إِنَّ لَمْ تَفْعَلْ بِي مَا أَمُرُكَ بِهِ فَضَحْتُكَ أَمَامَ النَّاسِ
وَاتَّهَمْتُكَ أَنَّكَ اعْتَدَيْتُ عَلَيَّ تُرِيدُ هَتِكَ عِرْضِي.

فَذَكَرَهَا بِاللَّهِ، وَخَوَّفَهَا مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ، وَحَاوَلَ مَعَهَا بِكُلِّ وَسِيلَةٍ
عَلَّه يَتَخَلَّصُ مِنْهَا، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى، وَذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَغَّبَهَا
وَرَهَّبَهَا، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ سَيَّطَرَ عَلَيْهَا، وَأَعْمَى بَصَرَهَا
وَبَصِيرَتَهَا.

وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْخُلَاصَ مِنْهَا أَظْهَرَ لَهَا الْمُوَافَقَةَ، وَطَلَبَ
مِنْهَا أَنْ تَسْمَحَ لَهُ بِدُخُولِ الْحَمَّامِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُهَيِّئَ نَفْسَهُ لَهَا.
فَسُرَّتْ بِذَلِكَ وَوَافَقَتْ.

فَدَخَلَ الْحَمَّامَ وَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي كَيْفِيَّةِ الْخُرُوجِ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ، وَهَذِهِ
الْمُصِيبَةُ.

فَهَدَاهُ تَفَكُّيرُهُ إِلَى حِيلَةٍ رَغِمَ مَا فِيهَا مِنَ الْقَذَارَةِ الظَّاهِرَةِ، لَكِنَّهُ
يَتَحَمَّلُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ لَا يَقَعَ فِي مَعْصِيَةِ ثُلُجٍ عَلَيْهِ غَضَبُ
اللَّهِ، فَلَطَّخَ جَسَدَهُ بِالْغَائِطِ، وَلَوَّثَ بِهِ وَجْهَهُ.

فَصَارَتْ رَائِحَتُهُ كَرِيهَةً مَقْرَزَةً، وَمَنْظَرُهُ بَشِعًا وَقَبِيحًا.

ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهَا، فَتَفَاجَأَتْ لَمَّا رَأَتْهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ الْقَدِرَةِ
فَاسْتَقْدَرَتْهُ، وَأَمَرَتْهُ بِالخُرُوجِ مِنْ بَيْتِهَا وَطَرَدَتْهُ، وَفَرَّ بِنَفْسِهِ وَتَرَكَهَا
لِيَنْجُو بِدِينِهِ.

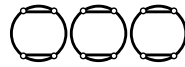
فَأَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بَدَلًا مِنْ هَذِهِ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ بِرَائِحَةِ
طَيِّبَةِ زَكِيَّةٍ كَأَنَّهَا الْمِسْكُ، يَعْرِفُ النَّاسُ بِقُدُومِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَوْنَهُ
وَذَلِكَ عِنْدَ شَمِّ رَائِحَتِهِ الطَّيِّبَةِ، وَاشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ بِالْمِسْكِيِّ.
انْتَهَى...

هَذَا هُوَ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ بِإِيمَانِهِ، الْمُرَاقِبُ لِرَبِّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، فَرَعَمَ
جَمَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَهَيَامَهَا بِهِ، إِلَّا أَنَّهُ خَافَ رَبَّهُ، لَمْ يَخَفْ مِنَ
النَّاسِ، أَوْ مِنْ قَانُونٍ لِأَنَّ الْكُلَّ لَا يَرَاهُ، وَلَكِنَّ السَّمِيعَ الْبَصِيرَ
يَرَاهُ، فَخَافَ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَاحْتَالَ بِحِيلَةٍ فِيهَا مِنَ الْقَدَارَةِ الظَّاهِرَةِ إِلَّا
أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى نَقَاءِ بَاطِنِهِ وَصِدْقِ إِيمَانِهِ.

وَهَكَذَا عَوَّضَهُ اللَّهُ بِرَائِحَةِ طَيِّبَةِ زَكِيَّةٍ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ
حُسْنُ الثَّوَابِ.

وَكَمْ فِي زَمَانِنَا هَذَا مِنْ أَنْاسٍ قَدْ أَغْرَقُوا أَجْسَادَهُمْ بِالرَّوَائِحِ
وَالْأَطْيَابِ، وَلَكِنَّ رَوَائِحَ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ تَطْغَى، وَتَفْضَحُهُمْ رَغَمَ

إِخْفَائِهِمْ لَهَا، لِأَنََّّهُمْ خَافُوا النَّاسَ وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ، فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ
الْعَمَلِ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ.....



قِصَّةُ الْقَصَّابِ وَالْجَارِيَةِ

وَمِنْهَا: قِصَّةُ الْقَصَّابِ ^(١) وَالْجَارِيَةِ:

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ، فِي الْحِلْيَةِ: عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ: «أَنَّ قَصَّابًا أُولَعَ بِجَارِيَةٍ لِبَعْضِ حِيرَانِهِ، فَأَرْسَلَهَا مَوْلَاهَا إِلَى حَاجَةٍ لَهُمْ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى.

فَتَبِعَهَا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا.

فَقَالَتْ: لَا تَفْعَلْ، لَأَنَا أَشَدُّ حُبًّا لَكَ مِنْكَ لِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. قَالَ: فَأَنْتِ تَخَافِينَهُ وَأَنَا لَا أَخَافُهُ.

فَرَجَعَ تَائِبًا، فَأَصَابَهُ الْعَطَشُ حَتَّى كَادَ يَنْقَطِعُ عُنُقُهُ، فَإِذَا هُوَ بِرَسُولٍ لِبَعْضِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: الْعَطَشُ قَالَ: تَعَالَ حَتَّى نَدْعُو حَتَّى تُظِلَّنَا سَحَابَةً حَتَّى نَدْخُلَ الْقَرْيَةَ.

قَالَ: مَا لِي مِنْ عَمَلٍ فَأَدْعُو.

قَالَ: فَأَنَا أَدْعُو وَأَمَّنْ أَنْتَ.

قَالَ: فَدَعَا الرَّسُولُ وَأَمَّنَ هُوَ.

(١) - (الْقَصَّابُ): هُوَ الْحَزَّارُ....

فَاطْلَتُهُمَا سَحَابَةٌ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَرْيَةِ.

فَأَخَذَ الْقَصَابُ إِلَى مَكَانِهِ، وَمَالَتْ السَّحَابَةُ مَعَهُ.

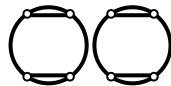
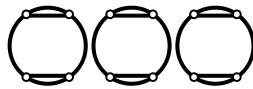
وَرَجَعَ الرَّسُولُ فَقَالَ لَهُ: زَعَمْتَ أَنْ لَيْسَ لَكَ عَمَلٌ، وَأَنَا الَّذِي

دَعَوْتُ وَأَنْتَ الَّذِي أَمَنْتَ، فَاطْلَتْنَا السَّحَابَةُ، ثُمَّ تَبِعْتُكَ، لَتُخْبِرَنِي

بِأَمْرِكَ؟

فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ: إِنَّ التَّائِبَ إِلَى اللَّهِ بِمَكَانٍ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ

النَّاسِ بِمَكَانِهِ». انْتَهَى....



قِصَّةُ التَّاجِرِ مَعَ الْمَرْأَةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ (١)

وَمِنْهَا: قِصَّةُ التَّاجِرِ مَعَ الْمَرْأَةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ: ذَكَرَ الْحَمَوِيُّ فِي ثَمَرَاتِ الْأَوْرَاقِ ..

عَنِ الْأَمِيرِ شُجَاعِ الدِّينِ، الشَّيرَازِيِّ ..

قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ رَجُلٍ بِالصَّعِيدِ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ شَدِيدُ السَّمَرَةِ .. إِذْ حَضَرَ أَوْلَادُ لَهُ يَبِضُ الْوُجُوهِ حَسَانٌ ..

فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُمْ؟

فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أُمُّهُمْ إِفْرَنْجِيَّةٌ، وَلِي مَعَهَا قِصَّةٌ ..

فَسَأَلْنَاهُ عَنْهَا ..

فَقَالَ: ذَهَبْتُ إِلَى الشَّامِ وَأَنَا شَابٌّ، أَتْنَاءَ اخْتِلَالِ الصَّلِيبِيِّينَ لَهُ وَاسْتَأْجَرْتُ دُكَّانًا أَيْعُ فِيهِ الْكَتَّانُ ..

فَبَيْنَمَا أَنَا فِي دُكَّانِي إِذْ أَتَنِي امْرَأَةٌ إِفْرَنْجِيَّةٌ زَوْجَةٌ أَحَدِ قَادَةِ الصَّلِيبِيِّينَ ..

فَرَأَيْتُ مِنْ جَمَاهَا مَا سَحَرَنِي ..

فَبَعَثْتُهَا وَسَامَحْتُهَا فِي السَّعْرِ ..

(١) - الإِفْرَنْجُ: اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى الْكُفَّارِ مِنَ الْأَوْرُوبِيِّينَ، وَالْأَمْرِيكِيَّةِ .. معجم لغة الفقهاء

ثُمَّ انْصَرَفْتُ..

وَعَادَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ، فَبِعْتُهَا وَسَامَحْتُهَا..

فَأَخَذْتُ تَتَرَدَّدُ عَلَيَّ، وَأَنَا أَتَبَسَّطُ مَعَهَا فَعَلِمْتُ أَنِّي أَعَشَقْتُهَا..

فَلَمَّا بَلَغَ الْأَمْرُ مِنِّي مَبْلَغُهُ، قُلْتُ لِلْعَجُوزِ الَّتِي مَعَهَا: قَدْ تَعَلَّقْتُ

نَفْسِي بِهَذِهِ الْمَرْأَةِ فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهَا؟

فَقَالَتْ: هَذِهِ زَوْجَةُ فَلَانِ الْقَائِدِ، وَلَوْ عَلِمَ بِنَا قُتِلْنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ..

فَمَا زِلْتُ بِهَا حَتَّى طَلَبْتُ مِنِّي خَمْسِينَ دِينَارًا، وَتَجَيَّءُ بِهَا إِلَيَّ فِي

بَيْتِي..

فَاجْتَهَدْتُ حَتَّى جَمَعْتُ خَمْسِينَ دِينَارًا، وَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا..

الْلَّيْلَةَ الْأُولَى..

وَانْتَظَرْتُهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الدَّارِ..

فَلَمَّا جَاءَتْ إِلَيَّ أَكَلْنَا وَشَرَبْنَا..

فَلَمَّا مَضَى بَعْضُ اللَّيْلِ، قُلْتُ فِي نَفْسِي: أَمَا تَسْتَحِي مِنِ اللَّهِ؟

وَأَنْتَ غَرِيبٌ.. وَبَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ.. وَتَعْصِي اللَّهَ مَعَ نَصْرَانِيَّةٍ؟

فَرَفَعْتُ بَصْرِي إِلَى السَّمَاءِ، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي عَفَفْتُ

عَنْ هَذِهِ النَّصْرَانِيَّةِ، حَيَاءً مِنْكَ، وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِكَ..

ثُمَّ تَنَحَّيْتُ عَنْ مَوْضِعِهَا إِلَى فِرَاشٍ آخَرَ..

فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ قَامَتْ وَهِيَ غَضْبَى وَمَضَتْ..

وَفِي الصَّبَاحِ: مَضَيْتُ إِلَى دُكَانِي..

فَلَمَّا كَانَ الضُّحَى مَرَّتْ عَلَيَّ الْمَرْأَةُ وَهِيَ غَضْبَى..

وَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ وَجْهَهَا الْقَمَرُ..

فَلَمَّا رَأَيْتُهَا.. قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى تَعَفَّ عَنْ هَذَا

الْجَمَالِ..؟ أَنْتَ أَبُو بَكْرٍ.. أَوْ عُمَرُ.. أَمْ أَنْتَ الْجُنَيْدُ الْعَابِدُ، أَوْ

الْحَسَنُ الزَّاهِدُ..

وَبَقِيتُ أَتَحَسَّرُ عَلَيْهَا..

فَلَمَّا جَاوَزْتَنِي.. لَحِقْتُ بِالْعُجُوزِ.. وَقُلْتُ لَهَا: ارْجِعِي بِهَا اللَّيْلَةَ..

فَقَالَتْ: وَحَقُّ الْمَسِيحِ، مَا تَأْتِيكَ إِلَّا بِمِائَةِ دِينَارٍ..

قُلْتُ: نَعَمْ..

فَاجْتَهَدْتُ حَتَّى جَمَعْتُهَا، وَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا..

اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ..

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ.. وَانْتَظَرْتُهَا فِي الدَّارِ جَاءَتْ، فَكَأَنَّهَا الْقَمَرُ أَقْبَلَ

عَلَيَّ..

فَلَمَّا جَلَسْتُ.. حَضَرَنِي الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ..

وَكَيْفَ أَغْصِيهِ مَعَ نَصْرَانِيَّةٍ كَافِرَةٍ؟

فَتَرَكْتُهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ..

وَفِي الصَّبَاحِ.. مَضَيْتُ إِلَى دُكَانِي.. وَقَلْبِي مَشْغُولٌ بِهَا..

فَلَمَّا كَانَ الضُّحَى.. مَرَّتْ عَلَيَّ الْمَرْأَةُ وَهِيَ غَضْبَى..

فَلَمَّا رَأَيْتُهَا.. لُمْتُ نَفْسِي عَلَى تَرْكِهَا..

وَبَقِيتُ أَتَحَسَّرُ عَلَيْهَا.. فَسَأَلْتُ الْعَجُوزَ..

فَقَالَتْ: مَا تَفْرَحُ بِهَا.. إِلَّا بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ.. أَوْ تَمُوتَ كَمَدًا..

قُلْتُ: نَعَمْ..

وَعَزَمْتُ عَلَى بَيْعِ دُكَانِي.. وَبِضَاعَتِي.. وَأُعْطِيَهَا الْخَمْسِمِائَةَ

دِينَارٍ..

فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ.. إِذْ مُنَادِي النَّصَارَى يُنَادِي فِي السُّوقِ.. يَقُولُ:

يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ الْهُدْنَةَ الَّتِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ قَدْ انْقَضَتْ..

وَقَدْ أَمَهَلْنَا مَنْ هُنَا مِنَ التُّجَّارِ الْمُسْلِمِينَ أُسْبُوعًا..

فَجَمَعْتُ مَا بَقِيَ مِنْ مَتَاعِي وَخَرَجْتُ مِنَ الشَّامِ، وَفِي قَلْبِي الْحُسْرَةُ

مَا فِيهِ..

ثُمَّ أَخَذْتُ أَجْرِي فِي الْجَوَارِي.. عَسَى أَنْ يَذْهَبَ مَا بِقَلْبِي مِنْ حُبِّ

تِلْكَ مَا فِيهِ..

فَمَضَى لِي عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثُ سِنِينَ..

ثُمَّ جَرْتُ وَقَعَةَ حِطَّيْنٍ.. وَاسْتَعَادَ الْمُسْلِمُونَ بِلَادَ السَّاحِلِ..
وَطَلَبَ مِنِّي جَارِيَةً لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ..

وَكَانَ عِنْدِي جَارِيَةٌ حَسَنَاءُ.. فَاشْتَرَوْهَا مِنِّي بِمِائَةِ دِينَارٍ..
فَسَلَّمُونِي تِسْعِينَ دِينَارًا.. وَبَقِيَتْ لِي عَشْرَةُ دَنَانِيرَ..
فَقَالَ الْمَلِكُ: امْضُوا بِهِ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ الْمَسْبِيَّاتُ مِنْ نِسَاءِ
الْإِفْرَنْجِ.. فَلِيَخْتَرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً بِالْعَشْرَةِ دَنَانِيرَ الَّتِي بَقِيَتْ لَهُ..
الْجَائِزَةُ..

فَلَمَّا فَتَحُوا لِي الدَّارَ.. رَأَيْتُ صَاحِبَتِي الْإِفْرَنْجِيَّةَ.. فَأَخَذْتُهَا..
فَلَمَّا مَضَيْتُ إِلَى بَيْتِي..
قُلْتُ لَهَا: تَعْرِفِينِي؟

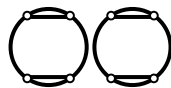
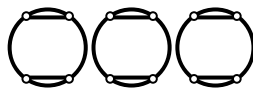
قَالَتْ: لَا..

قُلْتُ: أَنَا صَاحِبُكَ التَّاجِرُ، الَّذِي أَخَذْتَ مِنِّي مِائَةً وَخَمْسِينَ
دِينَارًا، وَقُلْتَ لِي: لَا تَفْرَحْ بِي إِلَّا بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ..
هَآ أَنَا أَخَذْتُكَ مِلْكَاً بِعَشْرَةِ دَنَانِيرَ..

فَقَالَتْ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ..
فَأَسْلَمْتُ وَحَسَنَ إِسْلَامُهَا..

فَتَزَوَّجْتُهَا..

فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَرْسَلْتُ أُمُّهَا إِلَيْهَا بِصُنْدُوقٍ..
 فَلَمَّا فَتَحْنَاهُ فَإِذَا فِيهِ الصُّرَّتَانِ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا..
 فِي الْأُولَى الْخَمْسُونَ دِينَارًا..
 وَفِي الْأُخْرَى الْمِائَةُ دِينَارٍ..
 وَلِبَاسَهَا الَّذِي كُنْتُ أَرَاهَا فِيهِ..
 وَهِيَ أُمُّ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادِ..
 وَهِيَ الَّتِي طَبَخَتْ لَكُمْ الْعِشَاءَ.. انْتَهَى...
نَعَمْ: وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ..



قِصَّةُ الْكِفْلِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

ومنها: مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ
وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ: { كَانَ
الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ.
فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَّأَهَا.
فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَفْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ ارْتَعَدَتْ وَبَكَتُ.
فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟

أَأَكْرَهْتُكَ؟

قَالَتْ: لَا.

وَلَكِنَّهُ عَمِلَ مَا عَمِلْتَهُ قَطُّ.

وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الْحَاجَةُ.

فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ فَأَنَا أُخْرَى؟

اذْهَبِي فَلَكَ مَا أُعْطِيتُكَ.

ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَغْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَدًا.

فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ
فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ}. انتهى...

قِصَّةُ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ مَعَ الْأَعْرَابِيَّةِ

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، فِي الْحَلِيَّةِ: عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: «خَرَجَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ رَفِيقٌ لَهُ حَتَّى نَزَلُوا بِالْأَبْوَاءِ، فَقَامَ رَفِيقُهُ فَأَخَذَ السُّفْرَةَ وَانْطَلَقَ إِلَى السُّوقِ يَبْتَاعُ لَهُمْ وَقَعَدَ سُلَيْمَانُ فِي الْخَيْمَةِ، وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَزْوَاعِ النَّاسِ.

فَبَصُرَتْ بِهِ أَعْرَابِيَّةٌ مِنْ قُلَّةِ الْجَبَلِ وَهِيَ فِي خَيْمَتِهَا. فَلَمَّا رَأَتْ حُسْنَ وَجْهَالِهُ انْحَدَرَتْ وَعَلَيْهَا الْبُرْقُوعُ وَالْقُفَّازَانِ، فَجَاءَتْ فَوْقَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَسْفَرَتْ عَنْ وَجْهِ لَهَا كَأَنَّهُ فِلْقَةُ قَمَرٍ.

فَقَالَتْ: أَهْبَتَنِي؟

فَظَنَّ أَنَّهَا تُرِيدُ طَعَامًا.

فَقَامَ إِلَى فَضْلِ السُّفْرَةِ لِيُعْطِيَهَا.

فَقَالَتْ: لَسْتُ أُرِيدُ هَذَا.

إِنَّمَا أُرِيدُ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى أَهْلِهِ.

فَقَالَ: «جَهَّزَكَ إِلَيَّ إِبْلِيسُ».

ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ بَيْنَ كُفَيْهِ فَأَخَذَ فِي النَّحِيبِ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ سَدَلَتْ الْبُرْقُوعَ عَلَى وَجْهِهَا وَرَفَعَتْ رِجْلَيْهَا بِأَكْوَابٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى خِيَمَتِهَا.

فَجَاءَ رَفِيقُهُ وَقَدْ ابْتَعَ لَهُمْ مَا يَرْفُقُهُمْ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَقَدْ انْتَفَخَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْبُكَاءِ، وَانْقَطَعَ حَلْقُهُ.

قَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟

قَالَ: «خَيْرٌ ذَكَرْتُ صَبِيَّتِي».

قَالَ: لَا، إِنَّ لَكَ قِصَّةً.

إِنَّمَا عَهْدُكَ بِصَبِيَّتِكَ مُنْذُ ثَلَاثٍ أَوْ نَحْوِهَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ رَفِيقُهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ بِشَأْنِ الْأَعْرَابِيَّةِ.

فَوَضَعَ السُّفْرَةَ وَجَعَلَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا.

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: «أَنْتَ مَا يُبْكِيكَ؟».

قَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِالْبُكَاءِ مِنْكَ.

قَالَ: «فَلِمَ؟».

قَالَ: لِأَنِّي أَخْشَى لَوْ كُنْتُ مَكَانَكَ لَمَّا صَبَرْتُ عَنْهَا.

قَالَ: فَمَا زَالَا يَبْكِيَانِ.

قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَى سُلَيْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، وَطَافَ وَسَعَى، أَتَى الْحِجْرَ
وَاحْتَبَى بِثَوْبِهِ فَنَعَسَ، فَإِذَا رَجُلٌ وَسِيمٌ جَمِيلٌ طَوَالٌ شَرَجَبٌ لَهُ شَارَةٌ
حَسَنَةٌ، وَرَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ.

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: «مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ»؟

قَالَ: «أَنَا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ».

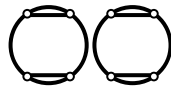
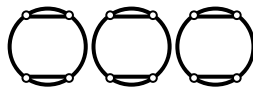
قَالَ: يوسُفُ الصِّدِّيقُ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: «إِنَّ فِي شَأْنِكَ وَشَأْنِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لَشَأْنًا عَجِيبًا».

فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: شَأْنُكَ وَشَأْنُ صَاحِبَةِ الْأُبُوَاءِ أَعْجَبُ..

انْتَهَى....



قِصَّةُ الْحَدَّادِ وَالْمَرْأَةِ الْمُضْطَّرَةِ

وَمِنْهَا: مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي الزَّهْرِ الْفَاتِحِ:

قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: رَأَيْتُ حَدَّادًا وَهُوَ يُخْرِجُ الْحَدِيدَ مِنَ النَّارِ
بِيَدِهِ، وَيُقَلِّبُهَا بِأَصَابِعِهِ.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا عَبْدٌ صَالِحٌ.

فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ.

فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي، بِالَّذِي مَنَّ عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ إِلَّا مَا دَعَوْتَ
اللَّهُ لِي.

فَبَكَى وَقَالَ: يَا أَخِي، مَا أَنَا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَزْعُمُ.

وَلَكِنْ أَحَدْتُكَ أَمْرِي.

وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ كَثِيرُ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ.

فَوَقَعْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا.

فَقَالَتْ لِي: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ لِلَّهِ تَعَالَى.

فَأَخَذَتْ قَلْبِي؟

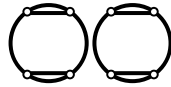
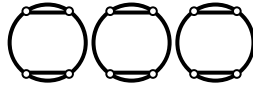
فَقُلْتُ لَهَا أَمْضِي مَعِيَ إِلَى الْبَيْتِ وَأَدْفَعُ لَكَ مَا يَكْفِيكَ.

فَتَرَكْتَنِي وَذَهَبْتَ، ثُمَّ عَادَتْ وَهِيَ تَبْكِي.
 وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَوْجَنِي الْوَقْتُ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ.
 فَأَخَذْتُهَا وَمَضَيْتُ بِهَا إِلَى الْبَيْتِ ثُمَّ أَجْلَسْتُهَا، وَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهَا.
 فَإِذَا هِيَ تَضْطَرِبُ كَالسَّفِينَةِ فِي الرِّيحِ الْعَاصِفِ.
 فَقُلْتُ: مِمَّ اضْطَرَابُكَ؟

فَقَالَتْ: خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَرَانَا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، فَإِنْ تَرَكْتَنِي
 وَلَمْ تُصِبنِي فَلَا أَحْرَقَكَ اللَّهُ بِنَارِهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.
 فَقُمْتُ عَنْهَا، وَدَفَعْتُ لَهَا مَا كَانَ عِنْدِي لِلَّهِ تَعَالَى.
 فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِي، وَأُغْمِي عَلَيَّ.
 فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ امْرَأَةً أَحْسَنَ مِنْهَا.
 فَقُلْتُ لَهَا: مَنْ أَنْتِ؟

فَقَالَتْ: أَنَا أُمُّ الصَّبِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ إِلَيْكَ، هِيَ مِنْ نَسْلِ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ يَا أَخِي جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا
 وَلَا أَحْرَقَكَ اللَّهُ بِنَارِهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.
 فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا فَرِحٌ مَسْرُورٌ، فَأَنَا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَرَكْتُ مَا كُنْتُ
 عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَرَجَعْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. انْتَهَى....

وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ: {وَمَنْ
قَدَرَ عَلَى امْرَأَةٍ أَوْ جَارِيَةٍ حَرَامًا، فَتَرَكَهَا لِلَّهِ مَخَافَةً مِنْهُ، آمَنَهُ اللَّهُ
مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَحَرَّمَهُ عَلَى النَّارِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ وَقَعَهَا
حَرَامًا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَأَدْخَلَهُ النَّارَ}



قِصَّةُ الْهَارِبِ مِنَ النَّارِ

اسْمَعْ يَا مَنْ يَتَهَاوُنُ بِذُنُوبِهِ، وَآثَامِهِ، وَمَعَاصِيهِ، وَيَقُولُ: رَحْمَةُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ.

يَا مَنْ يُسَوِّفُ التَّوْبَةَ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَآثَامِهِ، وَمَعَاصِيهِ.
يَا مَنْ لَا يَغُضُّ بَصَرَهُ عَنْ حُرْمِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَقُولُ: أَنَا قَلْبِي طَاهِرٌ.
يَا مَنْ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ إِلَى حُرْمِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَقُولُ: أَنَا نِيَّتِي سَلِيمَةٌ..
وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةٌ *** لَتَقَطَّعَتْ أَسْفًا مِنَ الْحُرْمَانِ

إِلَيْكُمْ جَمِيعاً هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ:

فَيَا مَنْ أَرَادَ الْخَيْرَ لِنَفْسِهِ اسْتَمِعْ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ: وَانْتَفِعْ بِهَا..

ومنها: مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَمَالِي: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وَكَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ فِي حَاجَةٍ، فَمَرَّ بَبَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأَى امْرَأَةً الْأَنْصَارِيِّ تَغْتَسِلُ.

فَكَرَّرَ النَّظَرَ إِلَيْهَا، وَخَافَ أَنْ يَنْزِلَ الْوَحْيُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ، فَأَتَى جَبَالًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.
فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: { يَا مُحَمَّدُ
إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ الْهَارِبَ مِنْ أُمَّتِكَ بَيْنَ
هَذِهِ الْجِبَالِ يَتَعَوَّذُ بِي مِنْ نَارِي }.

فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { يَا عُمَرُ وَيَا سَلْمَانُ:
انْطَلِقَا فَأَتِيَانِي بِشُعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ }.

فَخَرَجَا فِي أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ، فَلَقِيَهُمَا رَاعٍ مِنْ رُعَاةِ الْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهُ
ذُفَافَةٌ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ذُفَافَةٌ، هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِشَابٍّ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ؟

فَقَالَ لَهُ ذُفَافَةٌ: لَعَلَّكَ تُرِيدُ الْهَارِبَ مِنْ جَهَنَّمَ..؟

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: وَمَا عِلْمُكَ أَنَّهُ هَرَبَ مِنْ جَهَنَّمَ..؟

قَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْجِبَالِ

وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، وَهُوَ يُنَادِي: يَا لَيْتَكَ قَبَضْتَ رُوحِي فِي

الْأَرْوَاحِ، وَجَسَدِي فِي الْأَجْسَادِ، وَلَمْ تُجَرِّدْنِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ.

قَالَ: إِيَّاهُ نُرِيدُ.

فَخَرَجَ بِهِمَا دُفَافَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْجِبَالِ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا لَيْتَكَ قَبَضْتَ رُوحِي فِي الْأَرْوَاحِ، وَجَسَدِي فِي الْأَجْسَادِ، وَلَمْ تُجَرِّدْنِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ..

قَالَ: فَعَدَا عَلَيْهِ عُمَرُ، فَاحْتَضَنَهُ، فَقَالَ: الْأَمَانُ الْأَمَانُ، الْخُلَاصَ مِنَ النَّارِ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.

فَقَالَ: يَا عُمَرُ، هَلْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِذَنْبِي..؟

قَالَ: لَا عِلْمَ لِي، إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَكَ بِالْأَمْسِ فَأَرْسَلَنِي وَسَلَّمَانِ فِي طَلَبِكَ.

فَقَالَ: يَا عُمَرُ، لَا تُدْخِلْنِي عَلَيْهِ إِلَّا وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ بِأَلٍّ يَقُولُ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَفْعَلُ.

فَأَقْبَلُوا بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَافَقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَبَدَرَ عُمَرُ وَسَلْمَانُ الصَّفِّ، فَلَمَّا سَمِعَ ثَغْلَبَةُ
قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي صَلَاتَهُ - قَالَ: { يَا عُمَرُ
وَيَا سَلْمَانُ مَا فَعَلَ ثَغْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ } ..؟
قَالَا: هُوَ ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَحَرَّكَهُ فَاثْبَتَهُ.
فَقَالَ لَهُ: { يَا ثَغْلَبَةُ، مَا غَيَّبَكَ عَنِّي } ..؟

فَقَالَ: ذَنْبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ: { أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى آيَةٍ تَمْحُو وَتُكَفِّرُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا } ..؟
قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: { قُلْ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ }.

قَالَ: ذَنْبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْظَمُ؟

قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { بَلْ كَلَامُ اللَّهِ أَعْظَمُ } ..
فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْإِنْصِرَافِ إِلَى مَنْزِلِهِ
فَمَرَضَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ.

ثُمَّ إِنَّ سَلْمَانَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي ثَعْلَبَةٍ فَإِنَّهُ لِمَا بِهِ؟

فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ}.

فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ.

فَأَخَذَ رَأْسَهُ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ، فَأَزَالَ رَأْسَهُ مِنْ حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {لَمْ أَزَلْ رَأْسَكَ عَنْ حِجْرِي}؟

فَقَالَ: لِأَنَّهُ مِنَ الذُّنُوبِ مَلَانٌ.

قَالَ: {مَا تَجِدُ}؟

قَالَ: أَجِدُ مِثْلَ دَيْبِ النَّمْلِ بَيْنَ جِلْدِي وَعَظْمِي.

قَالَ: {فَمَا تَشْتَهِي}؟

قَالَ: مَغْفِرَةَ رَبِّي.

قَالَ: فَنَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: {يَا أَخِي، إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: لَوْ أَنَّ عَبْدِي هَذَا لَقَيْنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَقَيْتُهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً}.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَفَلَا أُعَلِّمُهُ ذَلِكَ}...؟
قَالَ: بَلَى..؟

فَأَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَصَاحَ صَيْحَةً فَخَرَّ
مَيِّتًا.

فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِغَسْلِهِ وَكَفَّنَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ.
فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ أَقْبَلَ يَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ أَنَامِلِهِ.
فَلَمَّا وَضَعَهُ فِي لَحْدِهِ وَسَوَّى عَلَيْهِ، قَالَ قَائِلٌ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
رَأَيْنَاكَ تَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ أَنَامِلِكَ..؟

فَقَالَ: {وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا قَدَرْتُ أَنْ أَضَعَ رِجْلِي عَلَى الْأَرْضِ
مِنْ كَثْرَةِ أَجْنَحَةٍ مَنْ نَزَلَ يُشَيِّعُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ} .. انْتَهَى....

فَانْظُرِيَا بُنَيَّ: وَاعْتَبِرْ بِقِصَّةِ هَذَا الشَّابِّ الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ حَقًّا
يَبْتَغِدُ عَنِ الْمَعَاصِي كَمَا يَبْتَغِدُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا زَلَّ مَرَّةً مِنَ الْمَرَّاتِ
اضْطَرَبَتْ أَغْصَابُهُ، وَجَعَلَ قَلْبُهُ يَخْفِقُ، وَأَصَابَهُ نَدَمٌ عَظِيمٌ.

وَكُلَّمَا تَذَكَّرَ تِلْكَ الْهَفْوَةَ احْمَرَّ وَجْهُهُ خَجَلًا وَهَاجَتْ عَلَيْهِ أَحْزَانُهُ
وَتَذَكَّرَ عِصْيَانَهُ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَلَا يَزَالُ مُوجِعَ الْقَلْبِ، مِنْكَسِرِ

الْخَاطِرِ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَخَرَجَ مِنْهَا، مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ..

مَعْصِيَةً وَاحِدَةً تُؤَدِّي بِحَيَاتِهِ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ أَنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَقُلْ أَنَا مِنَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَقُلْ أَيْضًا: قَلْبِي طَاهِرٌ. وَلَمْ يَقُلْ نِيَّتِي سَلِيمَةٌ..

فَكَيْفَ بَنَّا وَهِيَ مِائَتُ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، وَنَحْنُ مُتَهَاوِنُونَ بِهَا حَتَّى نَسِينَا اللَّهَ تَعَالَى وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَالْأَهْوَالَ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا فَصِرْنَا نَلْهُو وَنَغْفُلُ وَنَشْتَغِلُ بِمَا لَا يُغْنِينَا. فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْيَقْظَةَ مِنْ هَذِهِ الْغَفْلَةِ.

فِيَا بُنَيَّ: لَا تَتَهَاوَنَ بِالذَّنْبِ لِصِغَرِهِ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنْ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ، إِنَّكَ عَصَيْتَ رَبًّا عَظِيمًا، يُعَاقِبُ عَلَى الصَّغِيرَةِ، وَالْكَبِيرَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

وَكَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ طَالِبًا}.

وَفِي رُؤَايَةٍ أُخْرَى: عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يَأْخُذَ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ}..

فَهَنِيئًا هَنِيئًا: لِلتَّائِبِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُرِيدِينَ وَجَهَ اللَّهُ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَيْسَ مِثْلُهُمْ.

هَنِيئًا: لِمَنْ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ تَوْبَتَهُ، وَمَحَا عَنْهُ ذُنُوبَهُ.

هَنِيئًا: لِمَنْ جَاءَ إِلَى اللَّهِ بِأَصْدَقِ الدَّعَوَاتِ.

هَنِيئًا: لِلتَّائِبِينَ الْمُعْتَزِّفِينَ بِذُنُوبِهِمْ.

هَنِيئًا: لِلْمُسْتَغْفِرِينَ الْمُتَنَبِّهِينَ إِلَى اللَّهِ.

فَكَمْ مِنْ تَائِبٍ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ وَمُسْتَغْفِرٍ مُحِيتْ حَوْبَتُهُ؟

كَمْ مِنْ مُسْتَوْجِبٍ لِلنَّارِ أَجَارَهُ اللَّهُ مِنْهَا وَأَسْعَدَهُ؟

خَلَّ الذُّنُوبَ حَقِيرَهَا وَكَثِيرَهَا فَهُوَ التَّقَى
كُنْ مِثْلَ مَا شِ فَوْقَ أَرْضِ الشَّوْكِ يُحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وَلَقَدْ أَوْرَدْتُ لَكَ نُبْدَةً يَسِيرَةً مِنَ الْقِصَصِ الْوَاقِعِيَّةِ، لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ، الْمُخْلِصِينَ، الْوَارِدَةِ فِي الْعِفَّةِ، الَّتِي تَعَكِسُ جَانِباً مِنْ حَيَاةِ أَوْلِيكَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَتُبَيِّنُ فَضِيلَةَ الْعَفَافِ وَالْانْكِفَافِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، لَا سِيَّمَا بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَالْهَمِّ بِفِعْلِهَا، وَتَرَكُوا ذَلِكَ خَالِصاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ.

لَأَنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ يَكُونُ لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ، وَالتَّذْكِيرِ، وَالْاِعْتِبَارِ، أَكْثَرُ مِمَّا يَكُونُ لِغَيْرِهَا مِنَ الْمَوَاعِظِ، وَالزَّوَاجِرِ، وَالْعِبَرِ....

نَعْمَ يَا بُنَيَّ: إِنَّهُمْ تَجَرَّدُوا عَنِ الْمُكَابَرَةِ، وَنَزَّهُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْ حَضِيضِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، وَالْفُحْشِ، وَالْفَسَادِ، وَالتَّهْتُّكِ وَالرَّذِيلَةِ وَالْانْغِمَاسِ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَذَّاتِ الْخَسِيسَةِ، وَالْانْحِطَاطِ الْخُلُقِيِّ وَضِيَاعِ الْقِيمِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

لَقَدْ عَاشُوا حَيَاتَهُمْ كُلَّهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَانْتَصَرُوا عَلَى الشَّهَوَاتِ فَغَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَحَفِظُوا فُرُوجَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ وَأَيَادِيَهُمْ، وَصَانُوا أَعْرَاضَهُمْ مِنَ الْأَذْنَسِ، وَطَهَّرُوا سَرَائِرَهُمْ مِنْ شَوَائِبِ الذُّنُوبِ، وَفَوَاحِشِ الْعُيُوبِ، وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ صِدْقًا...

نَعْمَ يَا بُنَيَّ: إِنَّهَا قُلُوبٌ عَقَّتْ عَنِ الْحَرَامِ فَعَوَّضَهَا اللَّهُ خَيْرًا
وَأَذَاقَهَا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ.

فَهُمْ قَوْمٌ صَدَقَتْ نِيَّتُهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَقُلُوبُهُمْ
وَأَلْسِنَتُهُمْ، فَغَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَرَاقَبُوا اللَّهَ
تَعَالَى فِي خَلَوَاتِهِمْ، وَفِي سِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، وَفِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ
وَفِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِهِمْ، وَأَحْوَالِهِمْ....

فَلَقَدْ ضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ، وَأَشْرَفَهَا، وَأَجَلَّلَهَا، وَأَسَمَّاَهَا، وَأَعْلَاهَا
وَأَزْكَاهَا، وَأَرْفَعَهَا، فِي الْعِفَّةِ، وَالشَّهَامَةِ، وَالصِّيَانَةِ، وَالنَّزَاهَةِ
وَالطَّهَارَةِ، وَالْاِحْتِشَامِ، وَالْفَضِيلَةِ..

فَنَالُوا بِذَلِكَ الْمَنَازِلَ الرَّفِيعَةَ، وَاسْتَفْتَحُوا الْمَنَاقِبَ الشَّرِيفَةَ، وَسَلِمُوا
مِنَ الْمَعَائِبِ وَالْفَضِيحَةِ....

فَاعْتَبِرْ يَا بُنَيَّ: بِهَذِهِ الْقِصَصِ، وَاتَّعِظْ بِمَا فِيهَا، وَاسْتَلْهِمْ مِنْهَا
الْعِبَرَ، وَاسْتَمِدَّ مِنْهَا الْمَوَاعِظَ، وَاسْتَخْلِصْ مِنْهَا دُرُوسًا تَسْتَنِيرُ بِهَا
فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا، وَعِبْرًا تَنْتَفِعُ بِهَا فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى..

فَمَا أَحْوجَنَا: فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي كَثُرَ فِيهِ الشَّرُّ وَوَسَائِلُهُ، إِلَى مَثَلِ هَذِهِ النَّمَاذِجِ الرَّاقِيَةِ، الْعَطِرَةِ، الْمُضِيئَةِ، مِنَ الْعِفَّةِ، وَالشَّهَامَةِ وَالْاِحْتِشَامِ، وَالْفَضِيلَةِ، لِلْأَنَاسِ بَرَّةٍ أَخْيَارٍ، أَتْقِيَاءَ، مُخْلِصِينَ لِلَّهِ مُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُعَظِّمِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..

مَا أَحْوجَنَا: وَنَحْنُ نَعِيشُ الْآنَ فِي زَمَنِ كَثُرَتْ فِيهِ الْمُغْرِيَاتُ وَتَنَوَّعَتْ فِيهِ الشَّهَوَاتُ، وَزَلَّتْ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْأَقْدَامُ، فَقَارَفُوا الْمَعَاصِيَ وَالْآثَامَ..

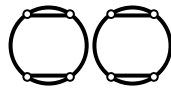
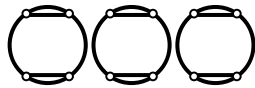
فَضَعُفَ إِيمَانُهُمْ، وَقَوِيَ عَلَيْهِمْ شَيْطَانُهُمْ..

مَا أَحْوجَنَا: وَنَحْنُ فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي قَدْ انْتَشَرَتْ فِيهِ وَسَائِلُ الْفُسَادِ، وَالْإِفْسَادِ، وَالْإِنْحِرَافِ، بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، مِنْ قَنَوَاتِ فُضَائِيَّةٍ، وَشَبَكَاتِ إِنْتَرْنِيَتِ عَالَمِيَّةٍ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُدْمِرَةِ لِلْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْفَاضِلَةِ، وَالْقِيَمِ الْإِيمَانِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ النَّبِيلَةِ وَالْهَدَامَةِ لِلدِّينِ، وَالشَّرَفِ، وَالْفَضِيلَةِ، وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ السَّامِيَةِ وَالْأَعْرَافِ، وَالتَّقَالِيدِ، الْمُسْتَمَدَّةِ مِنْ تَعَالِيمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْقَوِيمِ، أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَوَاعِظِ

وَالْوَصَايَا، وَأَنْ نَسْتَلْهِمْ مِنْهَا الْعِبَرَ، وَنَسْتَنْيرُ بِهَا فِي الْعِفَّةِ
وَالطَّهَارَةِ، وَالْفَضِيلَةِ، وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَالصَّلَاحِ، وَالصُّمُودِ أَمَامَ تَيَّارِ
الشَّهَوَاتِ الْجَارِفِ...

فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اعْتَبَرَ وَادَّكَرَ بِهَذِهِ الْمَوَاعِظِ وَالْوَصَايَا، فَتَابَ إِلَى رَبِّهِ
وَاسْتَغْفَرَهُ مِمَّا اقْتَرَفَهُ مِنَ الْخَطَايَا.

يَا بَنِي: لَنْ أَسْتَطِيعَ فِي هَذِهِ الْعُجَالَةِ أَنْ أُسْهِبَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ
لَكِنَّهَا خَوَاطِرٌ عَاجِلَةٌ، فَإِنْ أَرَدْتَ فَارْجِعْ إِلَى مَا دُوِّنَ فِيهِ مِنْ كُتُبٍ.



قُرْنَاءُ السُّوءِ

يَا بَنِي: وَإِيَّاكَ وَقُرْنَاءِ السُّوءِ، وَمُجَالَسَةِ الْأَشْرَارِ، خَشْيَةٌ أَنْ يُؤَثَّرُوا عَلَيْكَ فِي أَخْلَاقِكَ، أَوْ يُفْتَرُّوا هِمَّتَكَ، وَيُضَعِّفُوا عَزِيمَتَكَ، فِي أَدَاءِ شَعَائِرِ دِينِكَ، وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِ أَسْرَتِكَ.

أَوْ يُسَيِّئُوا سُمُّعَتَكَ، وَقَدْ نَصَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أُمَّتُهُ بِمُجَالَسَةِ الْأَخْيَارِ، وَحَذَرَهُمْ مِنْ مُجَالَسَةِ الْأَشْرَارِ، وَضَرَبَ الْمَثَلَ الْكَرِيمَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّمَا مَثَلُ الْجُلُوسِ الصَّالِحِ، وَالْجُلُوسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً}.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: وَمَعْنَى: {يُحْذِيكَ}، يُعْطِيكَ، وَهُوَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالذَّالِ.

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ فِي شَرْحِهِ: وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ النَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ مَنْ تُوْذِي مُجَالَسَتُهُ، فِي دِينٍ، أَوْ دُنْيَا، وَالتَّرْغِيبُ فِي مُجَالَسَةِ مَنْ تَنْفَعُ مُجَالَسَتُهُ فِيهِمَا.. انْتَهَى....

إِشْتَمَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى الْحَثِّ عَلَى اخْتِيَارِ الْأَصْحَابِ
الصَّالِحِينَ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ ضِدِّهِمْ.

وَمَثَلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِهَذَيْنِ الْمِثَالَيْنِ، مُبَيِّنًا أَنَّ
الْجَلِيسَ الصَّالِحَ: جَمِيعَ أَحْوَالِكَ مَعَهُ وَأَنْتَ فِي مَغْنَمٍ وَخَيْرٍ، كَحَامِلِ
الْمِسْكِ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْمِسْكِ: إِمَّا بِهَبَةٍ، أَوْ بِعَوْضٍ
وَأَقْلُ ذَلِكَ: مُدَّةَ جُلُوسِكَ مَعَهُ، وَأَنْتَ قَرِيرُ الْعَيْنِ، طَيِّبُ النَّفْسِ
مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ، بِرَائِحَةِ الْمِسْكِ.

فَالْخَيْرُ الَّذِي يُصِيبُهُ الْعَبْدُ مِنْ جَلِيسِهِ الصَّالِحِ أَبْلَغُ وَأَفْضَلُ مِنْ
الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يُعَلِّمَكَ مَا يَنْفَعُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ
أَوْ يَهْدِي لَكَ نَصِيحَةً، نَصِيحَةً تَنْفَعُكَ مُدَّةَ حَيَاتِكَ، وَبَعْدَ
وَفَاتِكَ، أَوْ يُحَذِّرُكَ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى مَا يَضُرُّكَ، فَيَحُثُّكَ عَلَى طَاعَةِ
اللَّهِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَيُبَصِّرَكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ
وَيَدْعُوكَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ
وَحَالِهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِصَاحِبِهِ وَجَلِيسِهِ
وَالطَّبَاعِ وَالْأَرْوَاحِ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، يَقُودُ بَعْضُهَا بَعْضًا إِلَى الْخَيْرِ، أَوْ
إِلَى الشَّرِّ.

وَأَقْلُ مَا تَسْتَفِيدُهُ مِنَ الْجُلُوسِ الصَّالِحِ - وَهِيَ فَائِدَةٌ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا -
 - أَنْ تَكْفَ بِسَبَبِهِ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي، رِعَايَةً لِلصُّحْبَةِ
 وَمُنَافَسَةً فِي الْخَيْرِ، وَتَرْفُعًا عَنِ الشَّرِّ، وَأَنْ يَحْفَظَكَ فِي حَضْرَتِكَ
 وَمَغْيَبِكَ، وَأَنْ تَنْفَعَكَ مَحَبَّتُهُ وَدُعَاؤُهُ فِي حَالِ حَيَاتِكَ، وَبَعْدَ
 مَمَاتِكَ، وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْكَ بِسَبَبِ اتِّصَالِهِ بِكَ، وَمَحَبَّتِهِ لَكَ..
 وَفَوَائِدُ الْأَصْحَابِ الصَّالِحِينَ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَحَسَبُ الْمَرْءِ أَنْ
 يُعْتَبَرَ بِقَرِينِهِ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ.
 وَأَمَّا مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ: فَإِنَّهَا بِضِدِّ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا، وَهُمْ مَضَرَّةٌ مِنْ
 جَمِيعِ الْوُجُوهِ عَلَى مَنْ صَاحَبَهُمْ، وَشَرٌّ عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ.
 فَكَمْ هَلَكَ بِسَبَبِهِمْ مِنْ أَقْوَامٍ.
 وَكَمْ قَادُوا أَصْحَابَهُمْ إِلَى الْمَهَالِكِ، مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُونَ، وَمِنْ
 حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.
 وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، أَنْ يُوَفَّقَهُ
 لِصُحْبَةِ الْأَخْيَارِ، وَمِنْ عُقُوبَتِهِ لِعَبْدِهِ، أَنْ يَبْتَلِيَهُ بِصُحْبَةِ الْأَشْرَارِ.
 صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ تُوصِلُ الْعَبْدَ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ
 تُوصِلُهُ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ تُوجِبُ لَهُ الْعُلُومَ النَّافِعَةَ، وَالْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ
وَالْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ.

وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ: تَحْرِمُهُ ذَلِكَ أَجْمَع.

إِنَّهُ مَثَلُ رَائِعٍ يُعَلِّمُنَا كَيْفَ نَخْتَارُ الصَّدِيقَ الَّذِي نَخْتَارُ مُصَادَقَتَهُ
وَمُخَالَطَتَهُ، فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ.

فَإِمَّا أَنْ نَخْتَارَهُ بِوَعْيٍ وَإِدْرَاكِ، فَيَكُونُ لَنَا كَحَامِلِ الْمِسْكِ لَا نَجِدُ
مِنْهُ سِوَى الْخَيْرِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَنَافِخِ الْكَبِيرِ، الَّذِي لَا يَأْتِينَا مِنْ
وَرَائِهِ سِوَى الضَّرَرِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَسَلَّمَ: { مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا
طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ
التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ
كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ
الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، إِنْ لَمْ يُصِيبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ، أَصَابَكَ
مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْكَبِيرِ، إِنْ لَمْ يُصِيبْكَ

مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ}. أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: فِي أَمَالِيهِ، وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ.
أَيُّ: فَجَلِيسُ الْأَخْيَارِ إِمَّا أَنْ يُعْطَى بِمُجَالَسَتِهِمْ مِنَ الْفُيُوضِ الْإِلَهِيَّةِ
أَنْوَاعِ الْهَبَاتِ، حَيَاءً وَعَطَاءً، وَإِمَّا أَنْ يَكْتَسِبَ مِنَ الْمَجَالِسِ خَيْرًا
وَأَدَبًا يَكْتَسِبُهَا عَنْهُ، وَيَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ يَكْتَسِبَ حُسْنَ الثَّنَاءِ
بِمُخَالَاتِهِ، وَمُخَالَطَتِهِ.

وَأَمَّا جَلِيسُ السُّوءِ: فَإِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَ دِينِكَ بِشُؤْمِ مَعَاصِيهِ، كَمَا
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ
خَاصَّةً﴾.

وَإِمَّا أَنْ يُدَنِّسَ صَيْتَكَ بِالسُّوءِ، وَالْقُبْحِ، بِمُصَاحَبَتِهِ.
وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: {لَا تُصَاحِبْ إِلَّا
مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ}.

وَكَامِلُ الْإِيمَانِ هُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ: {وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ
مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ}.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: {لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ}.

وَلَأَنَّ الطَّبَاعَ سَرَّاقَةً، وَمِنْ ثَمَّةَ قِيلَ: صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ تُورِثُ الْخَيْرَ وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ، كَالرَّيْحِ إِذَا مَرَّتْ عَلَى النَّثَنِ حَمَلَتْ نِتْنًا، وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا.
وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَاحْذَرِ مُصَاحِبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّمَا *** شَيْنُ الْكَرِيمِ فُسُؤْلَةُ الْأَصْحَابِ
وَلَقَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبَرْتُهُمْ *** وَعَلِمْتُ مَا مِنْهُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرِّبُ قَاطِعًا *** وَإِذَا الدِّيَانَةُ أَقْرَبُ الْأَسْبَابِ
يَابْنِي: لَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ}.

يَعْنِي: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ فِي الدِّينِ، وَكَذَلِكَ فِي الْخُلُقِ عَلَى قَدْرِ مَنْ يُصَاحِبُ، فَلْيَنْظُرْ مَنْ يُصَاحِبُ، فَإِنْ صَاحَبَ أَهْلُ الْخَيْرِ صَارَ مِنْهُمْ، وَإِنْ صَاحَبَ الْأَشْرَارَ صَارَ مِثْلَهُمْ.

أَيُّ: فَلْيَتَأَمَّلْ وَلْيَتَدَبَّرْ مَنْ يُصَاحِبُ، فَمَنْ رَضِيَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ
صَاحِبَهُ، وَمَنْ لَا فَلَا.

وَأَنَّ الْمَرْءَ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَلَهُ مَا
اِكْتَسَبَ}.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ *** وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرَدَى *** حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ *** إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءَ
وَذُو الْعُرِّ إِذَا احْتَكَّ *** ذَا الصِّحَّةِ أَعْدَاهُ
وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ *** مَقَائِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ *** دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

وَقَدِيمًا قِيلَ:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ * فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ * وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدَى

أَلَا تَرَى يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الشَّبَابِ مَعَ إِدْرَاكِهِ لِهَذَا الْمَعْنَى

وَوُضُوحِهِ لَدَيْهِ يَفْتَقِرُ إِلَى الْمَعَايِيرِ السَّلِيمَةِ فِي اخْتِيَارِ الْأَصْدِقَاءِ؟

فَايَاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ يَا بُنَيَّ: وَقُرْنَاءِ السُّوءِ، وَمُجَالَسَةِ الْأَشْرَارِ، الَّذِينَ

يُرِيدُونَ لَكَ الْفَسَادَ وَالذَّمَّارَ، فَإِنَّ الطَّبْعَ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ.

وَإِيَّاكَ يَا بُنَيَّ: أَنْ تَصْحَبَ الْأَشْرَارَ، فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ هَلَاكٌ تُؤَدِّي

إِلَى الْبَوَارِ، فَإِنَّهُمْ كَالشَّيَاطِينِ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيُزَيِّنُونَ

الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَالْجُرَائِمِ الشَّنِيعَةِ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِالْعِبَادَاتِ

وَالطَّاعَاتِ، وَأَصْحَابُهَا مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالِاسْتِقَامَةِ..

وَإِيَّاكَ: أَنْ تَصْحَبَ جَاهِلًا فَتَجْهَلَ بِصُحْبَتِهِ، أَوْ غَافِلًا عَنْ مَوْلَاهُ

مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ فَيَصُدِّكَ عَنْ سَبِيلِهِ فَتَرْدَى.

فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَصْحَبَ الْأَشْرَارَ، فَإِنَّ الْعَاصِيَ لَا تُأْمَنُ غَائِلَتُهُ، وَلَا

خُدَعَتُهُ، وَلَا سَطَوَتُهُ، وَرُبَّمَا خَفَّفَ عَنْكَ أَمْرُ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ

بِسَبَبِ مُلَازِمَتِكَ لَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ، وَالطَّبْعُ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ الشَّهْوَةَ وَالطَّمَعَ.

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

{وَايَّاكَ:} أَنْ يَنْزَلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقُ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا.

{وَايَّاكَ:} وَمُصَاحَبَةِ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ.

وَوَقَّرَ اللَّهُ وَأَحْبَبَ أَحِبَّاءَهُ، وَاحْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لابنه الحسن عليهم السلام:

{يَا بُنَيَّ:} احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا وَأَرْبَعًا:

لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ {:

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ}؟

فَقَالَ: {اعْلَمْ أَنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ.

وَأَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمُقُ.

وَأَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ.

وَأَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ.

يَا بُنَيَّ:} إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ.

{وَايَّاكَ:} وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ.

وَأَيَّاكَ: وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ.

وَأَيَّاكَ: وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرَّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَيُبْعَدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ { . انْتَهَى ..

وَقَالَ الْإِمَامُ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

{ لَا تُؤَاخِ الْفَاجِرَ: فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيُحِبُّ لَوْ أَنَّكَ مِثْلُهُ، وَيُزَيِّنُ لَكَ أَسْوَأَ خِصَالِهِ، وَمَدْخَلُهُ عَلَيْكَ وَمَخْرَجُهُ مِنْ عِنْدِكَ شَيْنٌ وَعَارٌ. وَلَا الْأَحْمَقَ: فَإِنَّهُ يُجْهِدُ نَفْسَهُ لَكَ وَلَا يَنْفَعُكَ، وَرُبَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ، فَسُكُوتُهُ خَيْرٌ مِنْ نُطْقِهِ، وَبُعْدُهُ خَيْرٌ مِنْ قُرْبِهِ وَمَوْتُهُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ.

وَلَا الْكَذَّابَ: فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ مَعَهُ عَيْشٌ، يَنْقُلُ حَدِيثَكَ، وَيَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَيْكَ، وَإِنْ تَحَدَّثَ بِالصِّدْقِ فَمَا يُصَدِّقُ { .. انْتَهَى ...

وَعَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْظُ رَجُلًا كَانَ كَثِيرُ الْغَزْوِ مَعَهُ وَهُوَ يَقُولُ: { يَا فُلَانُ مَا الْعَدُوُّ إِلَى عَدُوِّهِ أَسْوَأُ صَنِيعًا مِنَ الْأَحْمَقِ إِلَى نَفْسِهِ، احْذَرِ الْأَحْمَقَ فَإِنَّ الْأَحْمَقَ يَرَى نَفْسَهُ مُحْسِنًا وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا، وَيَرَى عَجْزَهُ كَيْسًا وَشَرَّهُ خَيْرًا، إِنْ اسْتَعْنَى بِطَرٍّ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَنَطَ، وَإِنْ ضَحِكَ شَهَقَ

وَإِنْ بَكََا خَارَ، وَإِنْ صَحَبَكَ أَعْجَلَكَ، وَإِنْ اِعْتَزَلَكَ شَتَمَكَ، وَإِنْ
كَانَ فَوْقَكَ حَقَرَكَ، وَإِنْ كَانَ دُونَكَ هَمَزَكَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ.
وَعَلَيْكَ بِالْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ، إِنْ كُنْتَ غَنِيًّا فَأَحْسِنْ، وَإِنْ كُنْتَ
فَقِيرًا فَاصْبِرْ، وَضَعْ نَفْسَكَ لِلْحَقِّ، وَفِرَّ بِهَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا تَتَّكِلْ
فِي مَعِيشَتِكَ عَلَى كَسْبِ غَيْرِكَ تَتَّظِرُ مَتَى يَتَصَدَّقَ عَلَيْكَ}.
انْتَهَى...

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

أَوْصَانِي أَبِي فَقَالَ: «لَا تَصْحَبَنَّ خُمْسَةً: وَلَا تُحَادِثْهُمْ، وَلَا تُرَافِقْهُمْ
فِي طَرِيقٍ».

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا أَبَهْ، مَنْ هَؤُلَاءِ الْخُمْسَةُ؟

قَالَ: «لَا تَصْحَبَنَّ فَاسِقًا، فَإِنَّهُ بَايِعُكَ بِأَكْلَةٍ فَمَا دُونَهَا».

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَهْ وَمَا دُونَهَا؟

قَالَ: «يَطْمَعُ فِيهَا ثُمَّ لَا يَنَالُهَا».

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَهْ وَمَنْ الثَّانِي؟

قَالَ: «لَا تَصْحَبَنَّ الْبَخِيلَ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ بِكَ فِي مَالِهِ أَحْوَجَ مَا كُنْتَ

إِلَيْهِ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَهْ وَمَنْ الثَّالِثُ؟

قَالَ: «لَا تَصْحَبَنَّ كَذَّابًا فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ يُبْعِدُ مِنْكَ الْقَرِيبَ وَيُقَرِّبُ مِنْكَ الْبَعِيدَ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَهْ وَمَنِ الرَّابِعُ؟

قَالَ: «لَا تَصْحَبَنَّ أَحْمَقَ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَهْ، وَمَنِ الْخَامِسُ؟

قَالَ: «لَا تَصْحَبَنَّ قَاطِعَ رَحِمٍ، فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَلْعُونًا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ».. انْتَهَى...

وَرُوي عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ وَهُوَ يُوصِيهِ: «يَا بُنَيَّ: لَا تُصَاحِبْ فَاجِرًا، وَلَا عَاقًا، وَلَا بَخِيلًا، وَلَا كَذَّابًا، فَإِنَّ الْفَاجِرَ قَدْ اسْتَحَقَّ لَعْنَةَ اللَّهِ..

وَإِنَّ الْعَاقَ قَدْ أَذْرَكَتْهُ ظُلَامَةُ أَبِيهِ وَأُمِّهِ..

وَإِنَّ الْبَخِيلَ يَبِيعُكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ..

وَإِنَّ الْكَذَّابَ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعِيدَ، وَيُبْعِدُ لَكَ الْقَرِيبَ».. انْتَهَى...

يَا بُنَيَّ: وَعَلَيْكَ بِصُحْبَةِ الْأَخْيَارِ فَإِنَّهُمْ يُعِينُونَكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَتَأَسَّى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

قَالَ رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِي: أَوْصِنِي:

فَقَالَ: «صَاحِبُ أَهْلِ التَّقْوَى، فَإِنَّهُمْ أَيْسَرُ أَهْلِ الدُّنْيَا مُؤَنَّةً عَلَيْكَ، وَأَكْثَرُهُمْ لَكَ مَعُونَةً». انْتَهَى...

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

{قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبْ عَنَّهُمْ}.
انْتَهَى...

يَا بُنَيَّ: وَعَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ الْأَخْيَارِ، وَأَهْلِ الْفَضْلِ وَالِدِّينِ، مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ، الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ، الْمُصْلِحِينَ الْمُخْلِصِينَ الْقَاصِدِينَ بِعِلْمِهِمْ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ مُجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ، كَمَا يُحْيِي الْمَطَرُ الْوَابِلُ النَّبَاتَ فَتَنْشَرِحُ بِهِمُ الصُّدُورُ الضَّيِّقَةُ، وَتَهْوُنُ بِرُؤْيَتِهِمُ الْأُمُورُ الصَّعْبَةُ.
كَيْفَ لَا؟ وَهُمْ أُمَنَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَخُلَفَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ.

وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةً، وَكَهْفًا لِمَنْ يَأْوِي إِلَيْهِمْ، وَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِمْ، نَصَبَهُمْ هُدَاةً لِلْمُتَحِيرِّينَ، وَنُورًا لِلسَّالِكِينَ.

كَمَا رُوِيَ عَنْ لُقْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: «**يَا بُنَيَّ:** جَالِسِ الْعُلَمَاءَ وَزَاوِحْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي اللَّهُ الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ».

وَلَا سِيَّمَا عُلَمَاءُ الْعِتْرَةِ وَشِيعَتِهِمُ الْأَخْيَارِ، فَهُمْ وَرَثَةُ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ، وَهُدَاةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَوَرَثَةُ عِلْمِ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

فَهُمْ أَيْمَّةُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ
وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، الَّذِينَ بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ، وَبِهِ قَامُوا، وَبِهِمْ نَطَقَ
الْكِتَابُ، وَبِهِ نَطَقُوا، الَّذِينَ وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ مَا بَرَزُوا
بِهِ عَلَى سَائِرِ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَضْلاً عَنْ سَائِرِ الْأُمَمِ، الَّذِينَ أَذْهَبَ
اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً.

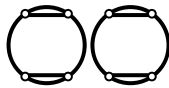
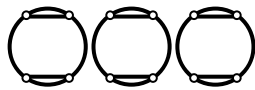
أُولَئِكَ أَيْمَّةُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ طَرِيقِ السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ.
أُولَئِكَ هُمْ قَادَةُ الْبَشَرِيَّةِ، وَخُلَفَاءُ الرُّسُلِ، أَهْلُ الْعِلْمِ الصَّائِبِ
وَالْعَمَلِ الْخَالِصِ، أَهْلُ الْبَصِيرَةِ وَالْيَقِينِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَّةً
يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَالسِّنَةُ الصَّدَقِ، وَشَجَرَةُ النُّبُوَّةِ
وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَعَيْبَةُ الْعِلْمِ
وَمَنَارُ الْهُدَى، وَالْحُجَجُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، خَزَائِنُ أَسْرَارِ الْوَحْيِ
وَالْتَنْزِيلِ، وَمَعَادِنُ جَوَاهِرِ الْعِلْمِ وَالتَّأْوِيلِ، وَالْأُمْنَاءُ عَلَى الْحَقَائِقِ
وَالْخُلَفَاءُ عَلَى الْخُلَائِقِ.

أُولُوا الْأَمْرِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِمْ، وَأَهْلُ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِمَسْأَلَتِهِمْ، وَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ يُهْدَى بِهِمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

وَأَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ، وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، الَّذِينَ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْقُرْآنِ كُلِّهِ تَأْوِيلاً وَتَفْسِيراً..

وَهُمُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ}....



مَحَبَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ مَحَبَّةَ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْوَلَاءَ لَهُمْ، وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَمُؤْمِنَةٍ، وَأَنَّ مَحَبَّتَهُمْ مِنْ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ مَعْرِفَةَ مِقْدَارِهِمْ وَتَوْقِيرَهُمْ، وَحُرْمَتَهُمْ، وَرِعَايَةَ مَا يَجِبُ مِنْ حُقُوقِهِمْ، وَالْبِرَّ لَهُمْ وَالنُّصْرَةَ لَهُمْ كَذَلِكَ مِنْ مُوجِبَاتِ الْجَنَّةِ.

كَمَا أَنَّ بُغْضَهُمْ أَوْ كُرْهَهُمْ مَعْصِيَةٌ تُؤَدِّي بِأَصْحَابِهَا إِلَى النَّارِ وَالْأَدِلَّةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ؟

مِنْهَا: قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

أَيُّ: لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا إِلَّا أَنْ تَوَدُّوا قَرَابَتِي وَأَهْلَ بَيْتِي.

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟

قَالَ: {عَلَيَّ، وَفَاطِمَةُ، وَأَبْنَاؤُهُمَا}.

فَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْمُحْكَمَةُ بِلَا التَّبَاسِ، فَضَلَ آلِ الْبَيْتِ
وَأَنَّهُمْ مُطَهَّرُونَ مِنَ الْأَرْجَاسِ.

وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ
فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ، رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ
ثَقَلَيْنِ:

أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ
وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ}.

قَالَ الرَّاوي - فَحَتَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَبَ فِيهِ.
ثُمَّ قَالَ: {وَأَهْلَ بَيْتِي أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي
أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي}.

الكَلَامُ عَلَى آيَةِ الْمَوَدَّةِ - رُوَاةُ تَفْسِيرِهَا

قَالَ الْإِمَامُ، الْحُجَّةُ: مُحَمَّدُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورِ الْمُؤَيَّدِيِّ
رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ: فِي لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ:

«هَذَا، وَمِمَّا خَصَّهُمُ اللَّهُ . جَلَّ جَلَالُهُ . بِهِ مِنَ الْفَضْلِ الْمُبِينِ
جَعَلَهُمْ أُولَى قُرْبَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، الْمُرَادِينَ بِإِجَابِ مَوَدَّتِهِمْ عَلَى
التَّعْيِينِ، الْمُسْتَلْزِمَةِ لِعِصْمَتِهِمْ، وَلُزُومِ مُتَابَعَتِهِمْ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ
وَالْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ الْإِكْرَامِ وَالْإِعْظَامِ، بِكَوْنِهِ أَجْرًا لِسَيِّدِ الْأَنَامِ، عَلَى

تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَإِنْقَاذِ الْأُمَّةِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَدُعَائِهِ الْعِبَادَ إِلَى الْهُدَايَةِ
الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْإِنْعَامِ، وَأُبْلَغُ الْمَنَنِ الْجِسَامِ، فَقَالَ . جَلَّ وَعَلَا :
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾.

قَالَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ: صَاحِبَ الْجِيلِ وَالِدَيْلِمِ، النَّاصِرُ لِلْحَقِّ الْأَقْوَمِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْمَوَدَّةِ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَابَتُكَ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {هُمُ عَلَيٌّ، وَفَاطِمَةُ
وَأَبْنَاؤُهُمَا}.

وَفِي أَمَالِي الْإِمَامِ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: فِي خَبَرِ الْمُنَاشَدَةِ هَلْ فِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ
أَمَرَ اللَّهُ بِمَوَدَّتِهِ مِنَ السَّمَاءِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، غَيْرِي؟
قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا نَعْلَمُهُ... إلخ.

وَقَالَ الْحَسَنُ السَّبْطِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي خُطْبَتِهِ: «وَنَحْنُ الَّذِينَ
افْتَرَضَ اللَّهُ مَوَدَّتَنَا، وَوَلَايَتَنَا، فَقَالَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿١٠﴾»، أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمَالِيهِ.

وَقَالَ أَيْضًا: «وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ افْتَرَضَ اللَّهُ مَوَدَّتَهُمْ فَقَالَ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾»، رَوَاهُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّفَّارُ، وَالْكَنَجِيُّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، وَرَوَاهُ الدُّوْلَابِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَرَوَاهُ عَنْهُ الْبَزَّازُ، وَالطَّبْرَانِيُّ.

وَفِي شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ: بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ . قَالَ: {فِينَا آلُ مُحَمَّدٍ آيَةٌ، لَا يَحْفَظُ مَوَدَّتَنَا إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ، ثُمَّ تَلَا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾}، انْتَهَى.

وَرَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ، إِلَّا أَنَّ مَكَانَ آلِ مُحَمَّدٍ، آلُ حَم. وَأَخْرَجَ: الطَّبْرَانِيُّ عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ قَالَ لِلشَّامِيِّ: «أَمَا قَرَأْتَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟».

قَالَ: وَأَنْتُمْ هُمْ؟.

قَالَ: نَعَمْ.

وَرَوَى الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِسَنَدِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ قَرَابَتُكَ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟
قَالَ: {عَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ، وَابْنَاهُمَا}.

وَرَوَاهُ فِي الْكَشَّافِ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ الْحَسَكَانِيُّ فِي الشَّوَاهِدِ، مُسْنَدًا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ نَحْوِ ثَمَانِ طُرُقٍ.

قَالَ أَيَّدَهُ اللَّهُ فِي التَّخْرِيجِ: وَأَخْرَجَهُ الْكُنْجِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَالَ: هَكَذَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ، وَكَذَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَفَادَهُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي التَّخْرِيجِ. انْتَهَى.

وَفِي شَرْحِ الْهُدَايَةِ لِلسَّيِّدِ الْإِمَامِ الْأَوْحَدِ، صَلَاحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْمُهْدِيِّ الْمُؤَيَّدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْحَاكِمُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.. انْتَهَى. يَعْنِي بِلَفْظِ: {عَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ، وَابْنَاهُمَا}.

وَرَوَاهُ إِمَامُ الشَّيْعَةِ، أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْكُوفِيُّ، قَاضِي الْإِمَامِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَلْمِيزُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ

الْمُرَادِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: فِي مَنَاقِبِهِ، بِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَرَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَابْنُ الْمَغَازِلِيِّ الشَّافِعِيُّ فِي مَنَاقِبِهِ
وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ، وَهُوَ فِي رِوَايَةِ الْحَاكِمِ مِنْ
ثَلَاثِ طُرُقٍ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ تَفْسِيرَ
الْقُرْبَى فِي الْآيَةِ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

قَالَ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّخْرِيجِ: وَرَوَى الْكُنْجِيُّ بِإِسْنَادِهِ، قَالَ:
جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَسَاقَ إِلَى أَنْ قَالَ: بَعْدَ عَرْضِ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ: تَسْأَلُنِي عَلَيْهِ أَجْرًا؟
قَالَ: {لَا: إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}.

فَقَالَ: قَرَابَتِي أَوْ قَرَابَتَكَ.

قَالَ: {قَرَابَتِي}.

قَالَ: هَاتِ أَبَايُكَ، فَعَلَى مَنْ لَا يُحِبُّ قَرَابَتَكَ لَعَنَهُ اللَّهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {آمِينَ}.

وَرَوَى الْحَاكِمُ . قُلْتُ: أَيُّ: الْحُسكَانِي كَمَا فِي الْإِعْتِصَامِ . بِإِسْنَادِهِ

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، وَرَوَى ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ نَحْوَهُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الدُّنْيَا

مِنْ أَشْجَارِ شَتَّى، وَخُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَنَا أَصْلُهَا وَعَلِيٌّ فَرْعُهَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثَمَارُهَا، وَأَشْيَاعُنَا أَوْرَاقُهَا، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا نَجَا، وَمَنْ زَاغَ هَوَى، وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبْدَ اللَّهِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَلْفَ عَامٍ، ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ، ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ، حَتَّى يَصِيرَ كَالشَّنِّ الْبَالِي، ثُمَّ لَمْ يُدْرِكْ مَحَبَّتَنَا، لَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى مِنْخَرِيهِ فِي النَّارِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. انتهى..

انتهى كلام الإمام، الحجة: محمد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، رحمه الله تعالى ورضوانه عليه. لوامع الأنوار، ج/١/ص/١٧١..

وَمِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ الْكَثِيرَةِ، وَالْمَنَاقِبِ الْوَفِيرَةِ: مَا أَخْرَجَهُ أَعْلَامُ الْأُئِمَّةِ، وَحَفَاطُ الْأُمَّةِ:

مِنْهَا: حَدِيثُ التَّمَسُّكِ بِالثَّقَلَيْنِ الْمُتَوَاتِرُ: الَّذِي رَوَتْهُ طَوَائِفُ الْمُسْلِمِينَ: وَحَكَمُوا بِصِحَّتِهِ، وَهُوَ مِنْ أَخْبَارِ السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَالْحُجَجِ الْمُنِيرَةِ الْقَاهِرَةِ، الْقَاضِيَةِ بِوُجُوبِ اتِّبَاعِ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، وَلُزُومِ الْإِتِّمَامِ بِهِمْ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِمْ وَتَقْدِيمِهِمْ، وَالْإِهْتِدَاءِ

بِهَدْيِهِمْ، وَالتَّمَسُّكِ بِطَرِيقَتِهِمْ، عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فِي جَمِيعِ
مَعَالِمِ الدِّينِ.

وَهُوَ قَوْلُهُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ مَا إِنْ
تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا مِنْ بَعْدِي أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ
بَيْتِي، إِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي، أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ
الْحَوْضَ}.

فَانْظُرِيَا بُنَيَّ: كَيْفَ جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:
النَّجَاةَ مِنَ الضَّلَالَةِ فِي التَّمَسُّكِ بِهَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ فَقَطْ لَا ثَالِثَ لَهُمَا.
فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُوصِي أُمَّتَهُ، وَخُصُوصًا
صَحَابَتَهُ، فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، وَيَسْتَخْلِفُهُمْ فِيهِمْ، وَيُلْزِمُهُمُ التَّمَسُّكَ بِهِمْ
وَيُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ كُلِّيَّةَ التَّوَكُّيدِ، وَيُشَدِّدُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ غَايَةً
التَّشْدِيدِ...

فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الْمُسْلِمِينَ
بِالتَّمَسُّكِ بِهِمْ، وَقَرَنَ التَّمَسُّكَ وَالْهُدَايَةَ بِهِمْ، بِالتَّمَسُّكِ وَالْهُدَايَةَ
بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَنَّ التَّمَسُّكَ بِهِمَا مُنْقِذٌ مِنَ الضَّلَالِ، وَأَنََّّهُمَا لَنْ
يَفْتَرِقَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَى لِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ بِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ

ذَلِكَ وَخَطَبَ بِهِ فِي مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْحُجَّةُ: مُحَمَّدُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ الْمُؤَيَّدِيِّ، رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ: فِي لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ: ج/١/ص/٨٣:

«وَقَدْ أَخْرَجَ أَخْبَارُ الثَّقَلَيْنِ وَالتَّمَسُّكِ أَعْلَامُ الْأَئِمَّةِ، وَحُقَاقِظُ الْأُئِمَّةِ: فَمِنْ أُئِمَّةِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَالْإِمَامُ نَجْمُ آلِ الرَّسُولِ الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَفِيدُهُ إِمَامُ الْيَمَنِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ، وَالْإِمَامُ الرَّضَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الْكَاضِمِ، وَالْإِمَامُ النَّاصِرُ الْأَطْرُوشُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَالْإِمَامُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ، وَالْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ، وَالسَّيِّدُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَالْإِمَامُ الْمُؤَفَّقُ بِاللَّهِ، وَوَلَدُهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ، وَالْإِمَامُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَالْإِمَامُ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَزَةَ، وَالسَّيِّدُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ صَاحِبُ الْجَمَاعِ الْكَافِي وَالْإِمَامُ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ، وَأَخُوهُ النَّاصِرُ لِلْحَقِّ حَافِظُ الْعِثْرَةِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَالْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ لِدِينِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى، وَالْإِمَامُ الْهَادِي لِدِينِ اللَّهِ عِزُّ الدِّينِ بْنُ الْحَسَنِ، وَالْإِمَامُ

الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَوَلَدُهُ إِمَامُ التَّحْقِيقِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَلَفِهِمْ وَخَلْفِهِمْ.

وَمِنْ أَوْلِيَائِهِمْ: إِمَامُ الشَّيْعَةِ الْأَعْلَامُ، قَاضِي إِمَامِ الْيَمَنِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ، مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَوَاهُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ سِتِّ طُرُقٍ، وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ مِنْ ثَلَاثٍ، وَعَنْ حُذَيْفَةَ وَصَاحِبِ الْمُحِيطِ بِالْإِمَامَةِ الشَّيْخِ، الْعَالِمِ الْحَافِظِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَالْحَاكِمِ الْجُشَمِيُّ، وَالْحَاكِمِ الْحُسكَانِيُّ، وَالْحَافِظُ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ عُقْدَةَ، وَأَبُو عَلِيٍّ الصَّقَّارُ، وَصَاحِبُ شَمْسِ الْأَخْبَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَعَلَى الْجُمْلَةِ: كُلُّ مَنْ أَلْفَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: وَاتَّبَاعِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فِي هَذَا الشَّأْنِ، يَزْوِيهِ وَيَحْتَجُّ بِهِ عَلَى مُرُورِ الْأَزْمَانِ.

وَمِنْ الْعَامَّةِ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ، وَوَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالْحَطِيبُ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ، وَالْكَنَجِيُّ الشَّافِعِيَّانِ، وَالسَّمْهُودِيُّ الشَّافِعِيُّ، وَالْمُفَسِّرُ الثَّعْلَبِيُّ، وَمُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقَشِيرِيُّ، فِي صَحِيحِهِ، رَوَاهُ فِي خُطْبَةِ الْغَدِيرِ مِنْ طُرُقٍ، وَلَمْ يَسْتَكْمِلْهَا، بَلْ ذَكَرَ خَبَرَ الثَّقَلَيْنِ وَطَوَى الْبَقِيَّةَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو

يَعْلَى، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ، وَالضِّيَاءُ فِي الْمُخْتَارَةِ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي
 الْحَلِيَّةِ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَأَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ فِي الصَّحَابَةِ، وَأَبُو
 الْفُتُوحِ الْعِجْلِيُّ فِي الْمَوْجِزِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهَ، وَالِدُؤَلَايُ فِي
 الذَّرِّيَّةِ الطَّاهِرَةِ، وَالْبَزَّازُ، وَالزَّرَنْدِيُّ الشَّافِعِيُّ، وَابْنُ الْبَطْرِيقِ فِي
 الْعُمَدَةِ، وَالْجَعَابِيُّ فِي الطَّالِبِينَ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمُ
 السَّلَامُ)، وَغَيْرِهِمْ.....

الرُّوَاةُ لِخَبَرِ الثَّقَلَيْنِ وَالتَّمَسُّكِ مِنَ الصَّحَابَةِ

وَرُفِعَتْ رَوَايَاتُهُ إِلَى الْجَمِّ الْغَفِيرِ، وَالْعَدَدِ الْكَثِيرِ.
 مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَبِي ذَرٍّ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ
 وَأَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأُمِّ هَانِئٍ
 وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَجَابِرٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، وَزَيْدَ بْنِ أَرْقَمَ وَزَيْدَ
 بْنِ ثَابِتٍ، وَضَمْرَةَ الْأَسْلَمِيِّ، وَخُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، وَسَهْلَ بْنَ سَعْدٍ
 السَّاعِدِيِّ، وَعَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، وَأَبِي أَيُّوبَ
 الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيِّ، وَأَبِي قُدَامَةَ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي لَيْلَى

وَأَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ، وَغَيْرِهِمْ، هَكَذَا سَرَدَ أَسْمَاءَهُمُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ تَبِعَهُ.

وَزَادَ فِي نَشْرِ الدُّرِّ الْمَكْنُونِ، جَمَاعَةٌ نَذَرُوهُمْ، وَإِنْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ بَعْضِ الْمُخْرَجِينَ، لِأَجْلِ مَنْ لَمْ يَسْبِقْ مِنَ الرَّاوِيْنَ وَهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَابْنُ مَاجَةَ عَنِ الْبَرَاءِ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ جَرِيرٍ، وَأَبُو نُعَيْمٍ عَنْ جُنْدَعٍ، وَالْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَابْنُ قَانِعٍ، عَنْ حَبَشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ، وَالضَّيَّاءُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالشَّيْرَازِيُّ فِي الْأَلْقَابِ عَنْ عُمَرَ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، وَابْنُ عُقْدَةَ فِي الْمُوَالَاةِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ بُدَيْلٍ بْنِ وَرْقَاءَ، وَقَيْسِ بْنِ ثَابِتٍ، وَزَيْدِ بْنِ شَرَحْبِيلٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَالْحَطِيبُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَالْحَاكِمُ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ طَلْحَةَ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، وَأَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ حَبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَالضَّيَّاءُ عَنْ بُرَيْدَةَ، وَالنَّسَائِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَاثْنِي عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ». انْتَهَى كَلَامُ الْإِمَامِ، الْحُجَّةُ: مُحَمَّدُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ

الْمُؤَيَّدِي، رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ. لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ..
ج/١/ص/١٠٠/.

فَهُمْ أَيْمَةُ الدِّينِ، أُولُوا الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ.
وَمِنْهَا: حَدِيثُ السَّفِينَةِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ: {مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَّى
وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ وَهَوَى}.

قَالَ الْإِمَامُ، الْحُجَّةُ: مُحَمَّدُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الْمُؤَيَّدِي،
رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ: فِي لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ:

خَبَرِي السَّفِينَةِ:

«هَذَا، وَفِي مَعْنَى مَا تَقَدَّمَ إِيخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: بِأَنَّ
أَهْلَ بَيْتِهِ فِي أُمَّتِهِ كَسَفِينَةِ نُوحٍ، وَبَابِ حِطَّةٍ، وَبَابِ السَّلَامِ.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ
مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَّى، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ وَهَوَى}.
رَوَاهُ إِمَامُ الْيَمَنِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَحْكَامِ، وَهُوَ
خَبَرٌ مَعْلُومٌ بِالتَّوَاتُرِ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ، بَيْنَ الْأُمَّةِ.

وَرَوَاهُ مِنْ أَيْمَةِ الْعِتْرَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى
الْكَاضِمِ فِي الصَّحِيفَةِ، وَالْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ، وَالْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ فِي
أَمَالِيهِمَا، وَالْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤَفَّقُ بِاللَّهِ الْجُرْجَانِيُّ، وَالْإِمَامُ
الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَزَةَ فِي الشَّافِيِّ، وَغَيْرُهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
كَثِيرٌ.

قَالَ: الْإِمَامُ يَحْيَى شَرَفُ الدِّينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدِيثُ: {أَهْلُ بَيْتِي
كَسَفِينَةِ نُوحٍ}، أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ مِنْ وَجْهَيْنِ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ.

وَلَفْظُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {مَثَلُ
أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِهِ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَّى، وَمَنْ
تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَمَثَلُ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ}.

وَفِي الْوَجْهِ الْآخِرِ بِدُونِ: {وَمَثَلُ بَابِ حِطَّةٍ}... إلخ.

قُلْتُ: وَأَخْرَجَهُ عَنْهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلَفْظٍ: {وَمَنْ
تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ}، وَالْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَلِكَ
بِدُونِ: {وَمَثَلُ بَابِ حِطَّةٍ} إلخ.

قَالَ الْإِمَامُ شَرَفُ الدِّينِ: وَأَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ، وَالطَّبْرَانِيُّ
فِي الصَّغِيرِ، وَالْأَوْسَطِ، مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الْفَقِيمِيِّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ كَذَلِكَ

وَأَبُو يَعْلَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَيْضًا: وَالْبَزَّازُ، وَابْنُ الْمَغَازِلِيِّ
 أَبُو الْحَسَنِ، وَزَادَ: {مَنْ قَاتَلَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَكَأَنَّمَا قَاتَلَ مَعَ
 الدَّجَالِ}، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ، وَالْبَزَّازُ، وَغَيْرُهُمْ
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ عَنْهُ،
 وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ: وَالْأَوْسَطِ، أَيْضًا: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ
 الْحَذْرِيِّ. انْتَهَى.

مِنَ الْاِعْتِصَامِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَفِي ذَخَائِرِ الْعُقَبِيِّ عَنْ
 عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمُ: {مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَّى، وَمَنْ
 تَعَلَّقَ بِهَا فَازَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زُحَّ فِي النَّارِ}.
 قَالَ: أَخْرَجَهُ ابْنُ السَّرِيِّ.

وَفِيهَا أَيْضًا: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمُ: {مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ
 نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَّى، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ}.

قَالَ: أَيُّ: صَاحِبِ الذَّخَائِرِ: أَخْرَجَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي سِيرَتِهِ.

قُلْتُ: وَأَخْرَجَ الرَّوَّائِثَيْنِ بِلَفْظِهِمَا: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي كِتَابِ الْجَوَاهِرِ لِلْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
الْيَمَنِيِّ الشَّقِيفِيِّ.

قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
وَقَوْلُهُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ عَنْ عِلْمٍ
تُنَوِّسُ مِنْ أَصْلَابِ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ، حَتَّى صَارَ فِي عِثْرَةِ
نَبِيِّكُمْ}.

رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْغَيْثِ مَرْفُوعًا، وَوَقَّفَهُ عَلَى
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْهُرًا. انْتَهَى.

الكَلَامُ عَلَى حَدِيثِ السَّفِينَةِ - مَخْرَجُهُ

وَقَالَ فِي دَلَائِلِ السُّبُلِ: وَقَدْ أَخْرَجَهُ . أَيُّ: خَبَرِ السَّفِينَةِ . مِنْ
الْمُحَدِّثِينَ الْحَاكِمِ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، وَابْنِ الْأَثِيرِ فِي نَهَائَتِهِ، وَالْخَطِيبُ
ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ فِي مَنَاقِبِهِ، وَالْكَنْجِيُّ فِي مَنَاقِبِهِ، وَأَبُو يَعْلَى الْمُحَدِّثُ
فِي مُسْنَدِهِ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ، وَالسَّمْعُودِيُّ فِي جَوَاهِرِ الْعِقْدَيْنِ
وَأَخْرَجَهُ الْأَسْيُوطِيُّ فِي جَامِعِيهِ، وَأَخْرَجَهُ الْمُلَّا، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي
شَيْبَةَ، وَمُسَدَّدٌ، وَهُوَ فِي كِتَابِ الْجَوَاهِرِ لِلْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْيَمَنِيِّ
الْمَعْرُوفِ بِالشَّقِيفِيِّ، وَهُوَ فِي ذَخَائِرِ الْمُحِبِّ الطَّبْرِيِّ الشَّافِعِيِّ.

وَأَخْرَجَهُ غَيْرُهُمْ، مِمَّنْ يَكْثُرُ تَعْدَادُهُمْ، وَأَكْثَرُهُمْ أَخْرَجَهُ بِطُرُقٍ
كَثِيرَةٍ، عَنْ عِدَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ: عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَابْنُ
عَبَّاسٍ، وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، وَسَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ.
قُلْتُ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ.

وَأَخْرَجَهُ عَنْ عَمَّارٍ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَعَنْ أَنَسٍ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ
وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ الطَّبْرَانِيُّ، أَفَادَهُ السُّيُوطِيُّ.
هَذَا، وَقَدْ تَحَصَّلَ هُنَا . بِحَمْدِ اللَّهِ . مِنَ الطُّرُقِ مَا فِيهِ الْكِفَايَةُ، وَإِنْ
وَقَعَ التَّكْرِيرُ فِي بَعْضٍ فَلَا يَخْلُو عَنْ الْفَائِدَةِ.

قَالَ فِي الدَّلَائِلِ: وَلَمْ يَكُنْ قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
مَرَّةً، بَلْ مَرَّاتٍ، فَلِهَذَا فِي لَفْظِ بَعْضِهِ: {وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا هَلَكَ}
وَفِي بَعْضِهَا: {وَمَنْ تَرَكَهَا غَرِقَ}، وَفِي بَعْضِهَا: {وَمَنْ رَكِبَهَا نَجَا}
وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهَا فَازَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زُحَّ فِي النَّارِ}، وَفِي بَعْضِهَا
زِيَادَةٌ: {وَمَنْ قَاتَلَنَا آخِرَ الزَّمَانِ فَكَأَنَّمَا قَاتَلَ مَعَ الدَّجَالِ} يَعْنِي:
مَنْ قَاتَلَنَا فِي كُلِّ زَمَانٍ.

قَالَ فِي صِحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ: وَقَوْلُهُمْ: لَا أَفْعَلُهُ آخِرَ اللَّيَالِي، أَيُّ: أَبَدًا
انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ.

وَقَدْ وَضَحَ الْبُرْهَانَ، بِمَا وَرَدَ فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، عَلَى أَبْلَغِ الْبَيَانِ
مِنْ وُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِهِمْ، وَقَصَرَ النَّجَاةَ عَلَى رُكُوبِ سَفِينَتِهِمْ
وَأَنَّهُمْ قُرْنَاؤُ الْقُرْآنِ، وَحُجَّةُ اللَّهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ».

انْتَهَى كَلَامُ الْإِمَامِ، الْحُجَّةُ: مُحَمَّدُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ
الْمُؤَيَّدِيِّ، رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ. لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ..
ج/١/ص/١٨٣/..

نَعْمَ يَا بُنَيَّ: فَالْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي فَضَائِلِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ
وَوُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِهِمْ، وَقَصَرَ النَّجَاةَ عَلَى رُكُوبِ سَفِينَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ
قُرْنَاؤُ الْقُرْآنِ، وَحُجَّةُ اللَّهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَمَا خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ
الْعِلْمِ، وَالْفَهْمِ، وَالْفَضْلِ، وَالْفَقْهِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
التَّشْرِيفِ، وَالتَّكْرِيمِ، مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ كَثِيرَةٌ جَدًّا، مِمَّا نَطَقَ بِهِ
الْكِتَابُ، وَتَوَاتَرَتْ بِهِ السُّنَّةُ، مِمَّا لَا يُحْصَرُ، وَتَتَقَاصَرُ عَنْهُ أَقْوَالُ
الْبَشَرِ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ﴾.

وَلَوْ أَرَدْنَا اسْتِقْصَاءَ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَوُجُوبِ
اتِّبَاعِهِمْ، وَإِكْرَامِهِمْ، وَالْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِمْ، وَالتَّمَسُّكِ بِطَرِيقَتِهِمْ

لَا حَتَجْنَا إِلَى عِدَّةٍ مُجَلَّدَاتٍ ضَخْمَةً، وَلَطَالَ الْخِطَابُ فَإِنَّ دَلَائِلَ
هَذَا كَثِيرَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالْآنَ أَوَدُّ أَنْ أَنْقُلَ لَكَ بَعْضَ مَا قَالَهُ، وَصَرَّحَ بِهِ نُجُومُ الْإِهْتِدَاءِ
وَهُدَاةِ الْأُمَّةِ، وَعُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَرِفٌ
بِفَضْلِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَبِوُجُوبِ مَوَدَّتِهِمْ، وَأَجْمَعُوا كُلَّهُمْ
عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ، وَمَشَارِبِهِمْ، وَبُلْدَانِهِمْ، عَلَى وَجُوبِ
مَوَدَّتِهِمْ، وَمَزِيدِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْتِرَامِهِمْ، وَإِكْرَامِهِمْ وَتَأْدِيَةِ
حُقُوقِهِمْ...

وَإِنْ كُنْتُ لَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَ عَلَيْكَ، وَلَكِنَّكَ قَدْ تَكُونُ بِحَاجَةٍ إِلَى
الْمَعْرِفَةِ، بِمَا خَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْفَهْمِ، وَالْفَضْلِ
وَالْفِقْهِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَفَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ، حَتَّى تَقِفَ
عَلَى الْحَقِيقَةِ لِتَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ خَطِيرَةٌ
جِدًّا، إِنَّهَا مَسْأَلَةُ حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ، وَهُدًى أَوْ ضَلَالٍ، إِنَّهَا قَضِيَّةٌ
بِنَجَاةٍ أَوْ هَلَاكِ...

لِأَنَّ حُبَّ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مِنْ
الْإِيمَانِ، وَبُغْضُهُمْ مِنَ النِّفَاقِ...

وإِلَيْكَ بَعْضُ مَا قَالَهُ أَيْمَةُ الْإِسْلَامِ، وَسَادَاتُ الْأَيْمَةِ، وَعُلَمَاءُ
الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي وُجُوبِ مَحَبَّةِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَوُجُوبِ
اتِّبَاعِهِمْ، وَإِكْرَامِهِمْ، وَالْعِنَايَةِ بِهِمْ، وَالْاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِمْ، وَالْاهْتِدَاءِ
بِهَدْيِهِمْ، وَالتَّمَسُّكِ بِطَرِيقَتِهِمْ.....

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّهُ قَدْ تَوَاتَرَ النَّقْلُ عَنْ أَيْمَةِ الْعِثْرَةِ، وَسَائِرِ عُلَمَاءِ
الْأُمَّةِ، جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، وَقَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ، عَلَى اخْتِلَافِ أَزْمَانِهِمْ
وَبُلْدَانِهِمْ، وَمَذَاهِبِهِمْ: بِوُجُوبِ مَحَبَّةِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَوُجُوبِ اتِّبَاعِهِمْ، وَإِكْرَامِهِمْ، وَالْعِنَايَةِ بِهِمْ
وَحِفْظِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ، وَنَصُّوا
عَلَى ذَلِكَ فِي أَصُولِهِمُ الْمُعْتَمَدَةِ.

وَلَعَلَّ كَثْرَةَ الْمُصَنَّفَاتِ الَّتِي أَلْفُوهَا فِي فَضَائِلِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَنَاقِبِهِمْ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ..

وإِلَيْكَ طَائِفَةٌ مِنْ أَقْوَالِهِمْ فِي ذَلِكَ..

أُولَاهَا: أَقْوَالُ الْإِمَامِ عَلِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

مِنْهَا: مَا فِي أَمَالِي الْإِمَامِ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِإِسْنَادِهِ عَنْ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: فِي خَبَرِ الْمُنَاشَدَةِ هَلْ فِيكُمْ مِنْ

أَحَدٍ أَمَرَ اللَّهُ بِمَوَدَّتِهِ مِنَ السَّمَاءِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، غَيْرِي؟

قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا نَعْلَمُهُ...إِلخ. انتهى..

وَفِي شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ: بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ . قَالَ: فِينَا آلُ مُحَمَّدٍ آيَةٌ، لَا يَحْفَظُ مَوَدَّتَنَا إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ، ثُمَّ تَلَا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، انتهى.

وَرَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ، إِلَّا أَنَّ مَكَانَ آلِ مُحَمَّدٍ، آلَ حَم.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْعِثْرَةِ فِي خَبَرٍ: {كِتَابَ اللَّهِ، وَعِشْرَتِي}: أَنَا وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَالْأَيْمَةُ إِلَى الْمَهْدِيِّ، لَا يُفَارِقُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يُفَارِقُهُمْ، حَتَّى يَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَوْضَهُ.

أَخْرَجَهُ: أَبُو جَعْفَرٍ الْقُمِّيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ.

**وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي
نَهْجِ الْبَلَاغَةِ:**

{ نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ
الْعِلْمِ، وَينابيعُ الْحُكْمِ، ناصِرُنَا وَمُجِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةُ، وَعَدُونَا
وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ }.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: { أَلَا إِنَّ
مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كَمَثَلِ بُحُومِ السَّمَاءِ، إِذَا
خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ } . نَهْجِ الْبَلَاغَةِ...

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: { انْظُرُوا أَهْلَ
بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزُمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ
هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا
فَانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا } ..
انْتَهَى كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. نَهْجِ الْبَلَاغَةِ.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: { قَالَ فِينَا
فِي آلِ مُحَمَّدٍ، فِي حِمِّ آيَةٍ لَا يَحْفَظُ مَوَدَّتَنَا إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ، ثُمَّ قَرَأَ:
﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ... }

وثانيها: أقوال الإمام الحسن السبط صلوات الله عليه:

وقال الحسن السبط صلوات الله عليه: - في خطبته: { وَنَحْنُ الَّذِينَ افترضَ الله مودَّتَنَا وَوَلَايَتَنَا فَقَالَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ }.

أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه.

وقال أيضاً: { وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ افترضَ الله مودَّتَهُمْ فَقَالَ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ }، رواه أبو علي الصفار، والكنجي عن أبي الطفيل، ورواه الدؤلابي عن زيد بن الحسن، ورواه عنه البزار، والطبراني. انتهى..

خطبة الحسن بن علي عليهم السلام:

وفي أمالي المرشد بالله عليه السلام الاثني عشر: عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: خطب الحسن بن علي عليهما السلام: بعد وفاة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

فحمد الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين علياً عليه السلام خاتم الأوصياء، ووصي خاتم الأنبياء، وأمير الصديقين والشهداء.

ثُمَّ قَالَ: {أَيُّهَا النَّاسُ، وَاللَّهِ لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ
بِعِلْمٍ، وَلَا يُدْرِكُهُ الْآخِرُونَ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ يُعْطِيهِ الرَّايَةَ فَيُقَاتِلُ جَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ
يَسَارِهِ، فَمَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ قَبِضَهُ اللَّهُ فِي
الْلَّيْلَةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا وَصِيُّ مُوسَى، وَعُرِجَ بِرُوحِهِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي
عُرِجَ فِيهَا بِرُوحِ عِيسَى، وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُنْزِلَ فِيهَا الْقُرْآنُ، وَاللَّهُ مَا
تَرَكَ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً إِلَّا شَيْئًا عَلَى صَبِيٍّ لَهُ، وَمَا تَرَكَ فِي بَيْتِ الْمَالِ
إِلَّا سَبْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ دِرْهَمًا فَضَلْتُ مِنْ عَطَائِهِ، أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا
خَادِمًا لِأُمِّ كُلْثُومٍ}.

ثُمَّ قَالَ: {مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ
مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ قَوْلَ
يُوسُفَ: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾}.

ثُمَّ أَخَذَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: {أَنَا ابْنُ الْبَشِيرِ، وَأَنَا ابْنُ
النَّذِيرِ، وَأَنَا ابْنُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَأَنَا ابْنُ السَّرَاجِ الْمُنِيرِ، وَأَنَا
ابْنُ الَّذِي أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ
اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ
جَبْرِيلُ يَنْزِلُ فِيهِمْ، وَمِنْهُمْ يَعْرُجُ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ

اَفْتَرَضَ اللّٰهُ وَلَايَتَهُمْ وَمَوَدَّتَهُمْ، فَقَالَ: فِيمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى
 اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
 الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، وَافْتَرَأُ الْحَسَنَةَ
 مَوَدَّتُنَا. . اَنْتَهَى..

وَتَالِثُهَا: قَوْلُ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ
 عِبَادِنَا﴾، [فاطر: ٣٢] قَالَ: {نَحْنُ أَوْلَيْكَ} .. اَنْتَهَى...
وَرَابِعُهَا: قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ:

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «إِنَّ لِهَذَا الْأُمَّةِ فِرْقَةً وَجَمَاعَةً، فَجَامِعُوهَا إِذَا
 اجْتَمَعَتْ، فَإِذَا افْتَرَقَتْ فَارْقُبُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، فَإِنْ سَأَلُمُوهَا
 فَسَالِمُوهَا، وَإِنْ حَارَبُوهَا فَحَارِبُوهَا، فَإِنَّهُمْ مَعَ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ مَعَهُمْ، لَا
 يُفَارِقُهُمْ وَلَا يُفَارِقُونَهُ».

وَخَامِسُهَا: قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
 عَنْ رَزِينِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
 فَأَتَى زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَرْحَبًا بِالْحَبِيبِ بْنِ الْحَبِيبِ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي
الْفَضَائِلِ.

وَسَادِسُهَا: قَوْلُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى جِنَازَةِ أُمِّهِ فَقُرِّبَتْ لَهُ
بَغْلَتُهُ لِيَرْكَبَ فَأَخَذَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِرِكَابِهِ.

فَقَالَ: «خَلِّ عَنْهَا يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلِّمْ».

فَقَبَّلَ زَيْدُ يَدَهُ، وَقَالَ: «هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا».
انْتَهَى.. الطَّبَقَاتُ لِابْنِ سَعْدٍ.

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: قَالَ: «أَنْزِلُوا آلَ مُحَمَّدٍ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ
الْجَسَدِ، وَبِمَنْزِلَةِ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ، فَإِنَّ الْجَسَدَ لَا يَهْتَدِي إِلَّا
بِالرَّأْسِ، وَإِنَّ الرَّأْسَ لَا يَهْتَدِي إِلَّا بِالْعَيْنَيْنِ».. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ فِي
الْآيَةِ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ....

وسابحها: قَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَفِي أَمَالِي الْمُرْشِدِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْإِثْنَيْنِيَّةُ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، [آل عمران: ٦٣] .

قَالَ: الْأَبْنَاءُ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَنِسَاءَنَا: فَاطِمَةُ، وَأَنْفُسَنَا: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ: فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾، إِلَى وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

وثامنها: قَوْلُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ بْنُ أَسْمَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ ذَكَرَتْ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَكْثَرَتِ التَّرْحِمَ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ فَأَخْرَجَ عَنِّي كُلَّ خُصِيٍّ وَحَرَسِيٍّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا بِنْتَ عَلِيٍّ، وَاللَّهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ بَيْتٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي..

وَعَنِ الْحَسَنِ - يَعْنِي الْبَصْرِيِّ - قَالَ: «قُتِلَ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَاللَّهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَهْلُ بَيْتٍ يُشَبِّهُونَهُمْ».

قَالَ سُفْيَانُ: وَمَنْ يَشْكُ فِي هَذَا؟.

وَتَاسِعُهَا: قَوْلُ الْإِمَامِ الْقَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: وَكُلَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي السُّورِ فَلَهُ وَجْوهٌ مُتَصَرِّفَةٌ، يَعْرِفُهَا مَنْ عَرَفَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا.

إِلَى قَوْلِهِ: فَلَيْسَ أَسْأَلُ عَنْهَا وَلَيْطَلُبَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْهَا عِنْدَ وَرَثَةِ الْكِتَابِ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ مَعْدِنَ مَا خَفِيَ فِيهِ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}

[فاطر: ٣٢].

إِلَى قَوْلِهِ: وَلْيَكُنْ مُسَاءَلَتُهُ مِنْهُمْ لِلْسَّابِقِينَ بِالْخَيْرَاتِ، فَإِنَّ أَوْلَيْكَ أَمْنًاؤَ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْخَفِيَّاتِ، مِنْ مُنْزَلِ وَحْيِ كِتَابِهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ خَفِيٍّ عَجَائِبِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل]. انْتَهَى كَلَامُ الْإِمَامِ الْقَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

وعاشرها: قَوْلُ الْإِمَامِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

{ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا }

وَقَالَ: { هُمَا إِمَامَانِ قَامَا أَوْ قَعَدَا }.

وَأَجْمَعُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { إِنِّي تَارِكُ

فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا مِنْ بَعْدِي أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ

وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، إِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي، أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى

يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ }.

فَكَمَا لَا يَجُوزُ تَرْكُ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ تَرْكُ

التَّمَسُّكِ بِالْعِثْرَةِ، لِأَنَّ الْكِتَابَ يَدُلُّ عَلَى الْعِثْرَةِ، وَالْعِثْرَةُ تَدُلُّ عَلَى

الْكِتَابِ، وَلَا يَقُومُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا

نَجَّى، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ وَهَوَى }.

مَعَ مَا جَاءَ فِيهِمْ وَفِي أَبِيهِمْ مِنْ تَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ وَتَظَاهُرِهَا، عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ. انْتَهَى كَلَامُ الْإِمَامِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

و(١١): قَوْلُ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَقَالَ الْإِمَامُ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فِي (الرِّسَالَةِ النَّاصِحَةِ) وَقَدْ ذَكَرَ حَدِيثُ: السَّفِينَةِ فَقَالَ: وَمِنْ (مَنَاقِبِ الْفَقِيهِ ابْنِ الْمَغَازِلِيِّ) رَفَعَهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَّى، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ }.

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَهَذَا الْخَبَرُ مِمَّا تَلَقَّيْتُهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ فَصَحَّ أَنْ يُحْتَجَّ بِهِ، وَإِذَا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أُمَّةَ نُوحٍ كُلَّهَا هَلَكَتْ إِلَّا مَنْ رَكِبَ السَّفِينَةَ، فَكَذَلِكَ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَهْلِكُ إِلَّا مَنْ تَمَسَّكَ بِالْعِثْرَةِ، وَجَبَ عَلَى الْأُمَّةِ الرُّجُوعُ إِلَيْهِمْ، انْتَهَى كَلَامُ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ....

و(١٢): قَوْلُ الْإِمَامِ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَقَالَ الْإِمَامُ يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِنْتِصَارِ:

الطَّرِيقَةُ الْأُولَى مِنْهَا: وَرُودُ الشَّنَاءِ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ جِهَةِ رَسُولِهِ.

أَمَّا مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

وَوَجْهُ الْإِسْتِدْلَالِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى فَضْلِهِمْ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا كَانَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ عَلَى الْخَلْقِ وَأَجَلَّهَا، وَأَعْلَاهَا، وَأَكْمَلَهَا، هُوَ بَعَثَ الرَّسُولَ لِهَدَايَةِ الْخَلْقِ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى السَّعَادَةِ الْآخِرَوِيَّةِ وَإِرَاحَتِهِمْ عَنِ الْعَمَى، وَهَدَايَتِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْهَدَايَةِ، فَمَا يَكُونُ فِي مُقَابَلَةِ هَذِهِ النِّعْمَةِ يَكُونُ لَا مُحَالَةَ جَلِيلُ الْقَدْرِ، عَظِيمُ الْمَنْزِلَةِ لِكُونِهِ جَعَلَ فِي مُقَابَلَتِهِ هَذِهِ النِّعْمَةَ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ فِي مُقَابَلَةِ النِّعْمَةِ بِالرَّسُولِ، وَالْجَزَاءِ عَلَى عِنَايَتِهِ فِي الْخَلْقِ، هُوَ الْمَوَدَّةُ وَالْمَحَبَّةُ لِمَنْ كَانَ قَرِيبًا إِلَيْهِ، وَمَا هَذَا حَالُهُ فَلَيْسَ يَخْفَى مَزِيدُ فَضْلِهِ، وَعُلُوُّ حَالِهِ وَأَمْرِهِ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهَا وَارِدَةً فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ

والتَّنبِيهِ عَلَى مَزِيدِ فَضْلِ الْقَرَابَةِ، وَعُلُوِّ قَدْرِهِمْ، وَاهْتِمَامِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِمْ، حَتَّى قَالَ عَنْهُمْ مَا قَالَهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فَظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ دَالٌّ عَلَى إِذْهَابِ الرِّجْسِ عَنْهُمْ، وَتَطْهِيرُهُمْ مِنْ سَائِرِ الْأَذْنَانِ عَلَى جِهَةِ الْمُبَالِغَةِ، حَيْثُ صَدَّرَ الْآيَةَ بِإِنَّمَا وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلتَّحْقِيقِ فِي الْجُمْلَةِ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا إِذْهَابَ الرِّجْسِ عَنْكُمْ، وَلِأَنَّهُ أَكَّدَ الْفِعْلَ بِالْمَصْدَرِ حَيْثُ قَالَ: {يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}.

كَأَنَّهُ قَالَ: تَطْهِيرًا لَا زِيَادَةَ فَوْقَهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِذْهَابِ الرِّجْسِ، وَتَطْهِيرُهُ عَنْ مَكْرُوهِهِ، فَلَا مَرِيَّةَ فِي اخْتِصَاصِهِ بِالْفَضْلِ عَلَى غَيْرِهِ.

وَأَهْلُ الْبَيْتِ هُمْ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَأَوْلَادُهُمَا فِي كُلِّ عَصْرِ، بِدَلِيلِ خَبَرِ الْكِسَاءِ حَيْثُ خَصَّهُمْ بِهِ، وَقَالَ: {اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي}.

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَاهُ:

فَهَاتَانِ الْآيَتَانِ: قَدْ دَلَّتَا عَلَى فَضْلِهِمْ، وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِمْ، مِنْ الْوَجْهِ
الَّذِي لِحَصْنَاهُ، وَأَشْرُنَا إِلَيْهِ.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ السُّنَّةِ: فَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ نَذَرُهَا:

أُولَاهَا: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ
تَضَلُّوا مِنْ بَعْدِي أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، إِنَّ اللَّطِيفَ
الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي، أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ}.

ثُمَّ ذَكَرَ عِشْرِينَ حَدِيثًا.

ثُمَّ قَالَ: فَهَاتَانِ الْآيَتَانِ اللَّتَانِ تَلَوْنَاهُمَا وَالْأَخْبَارِ الَّتِي أَوْرَدْنَا، كُلُّهَا
دَالَّةٌ عَلَى فَضْلِهِمْ، وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى كَوْنِهِمْ
أَحَقُّ بِالْمُتَابَعَةِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الثَّنَاءِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ جِهَةِ رَسُولِهِ
عَلَيْهِمْ، وَعَلَى التَّحْذِيرِ عَنْ مُخَالَفَتِهِمْ، وَكَمَا هِيَ دَالَّةٌ عَلَى مَا
ذَكَرْنَاهُ، فَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى كَوْنِ إِجْمَاعِهِمْ حُجَّةً فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.
وَقَدْ قَرَّرْنَاهُ فِي الْكُتُبِ الْأُصُولِيَّةِ.

فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا: فَوَجْهُ الاستِدْلَالِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ
هُوَ وُجُودُ الثَّنَاءِ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ جِهَةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِمُ

وإِبَانَةِ فَضْلِهِمْ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى تَزْكِيَّتِهِمْ، وَإِظْهَارِ عَدَالَتِهِمْ، وَلَا تَزْكِيَّةَ أَعْظَمَ مِنْ تَزْكِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَزْكِيَّةِ رَسُولِهِ.

وَأَدْنَى الدَّرَجَاتِ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ، كَوْنُهُمْ أَحَقُّ بِالْمُتَابَعَةِ، وَأَوْلَى بِالتَّقْلِيدِ فِي أُمُورِ الدِّينِ مِنْ غَيْرِهِمْ، مِنْ سَائِرِ الْفِرَقِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْأُمُورِ النَّقْلِيَّةِ.

انْتَهَى. كَلَامُ الْإِمَامِ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ....

و(١٣): قَوْلُ الْإِمَامِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَزِيرِ:

وَقَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَزِيرِ فِي إِثَارِ الْحَقِّ عَلَى الْخَلْقِ...

خَاتِمَةٌ: فِي حُبِّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَرَ بِحُبِّهِ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالصَّحَابَةِ، وَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ الْجَمَّةُ، الْمُتَوَاتِرَةُ عَلَى وُجُوبِ مَحَبَّتِهِمْ، وَمُؤَالَاتِهِمْ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ فِي الصَّحِيحِ: {لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا}، وَفِيهِ: {الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ}..

وَمَّا يَخُصُّ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿١﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ﴿٢﴾. كَمَا رَوَى تَفْسِيرُهَا مَرْفُوعًا إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْمُلاَّ فِي سِيرَتِهِ، وَالطَّبْرَانِيُّ، فِي مُعْجَمَيْهِ الْكَبِيرِ، وَالْأَوْسَطِ، مِنْ حَدِيثِ حَبْرِ الْأُمَّةِ وَبَحْرُهَا، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.. وَيَعْضُدُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾.

وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، وَتَوَاتُرُ الْأَخْبَارِ بِشَرْعِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ فِي تَشْهَدِ الصَّلَاةِ، وَاخْتِصَاصِهِمْ بِهِ.

أَوْ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى دُخُولِهِمْ فِيهِ فَيَجِبُ لِذَلِكَ حُبُّهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ وَتَوْقِيرُهُمْ، وَاحْتِرَامُهُمْ، وَالاعْتِرَافُ بِمَنَاقِبِهِمْ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ آيَاتِ الْمُبَاهَلَةِ، وَالْمَوَدَّةِ، وَالتَّطْهِيرِ، وَأَهْلُ الْمَنَاقِبِ الْجَمَّةِ، وَالْفَضْلِ الشَّهِيرِ.

وَقَدْ ذَكَرَ مَنَاقِبَهُمْ إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ فِي عَصْرِهِ، الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ كِتَابَهُ ذَخَائِرُ الْعُقَبَى فِي مَنَاقِبِ ذَوِي

الْقُرْبَى، وَيَا لَهُ مِنْ كِتَابٍ وَافَقَ اسْمُهُ مُسَمَّاهُ، وَصِدْقٍ لَفْظِهِ
وَمَعْنَاهُ... انْتَهَى كَلَامُ الْحَافِظِ: مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَزِيرِ...

قَوْلُ الْمُنَاوِي:

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ فِي فَيْضِ الْقَدِيرِ شَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ:
{ إِنَّ مَثَلَ أَهْلِ بَيْتِي } فَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ وَابْنَيْهِمَا، وَبَنِيهِمَا أَهْلُ الْعَدْلِ
وَالدِّينَانَةِ: { فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا
هَلَكَ }.

وَجْهُ التَّشْبِيهِ أَنَّ النِّجَاةَ ثَبَتَتْ لِأَهْلِ السَّفِينَةِ: مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَأُثْبِتَ
الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ بِالتَّمَسُّكِ بِأَهْلِ بَيْتِهِ
النِّجَاةَ، وَجَعَلَهُمْ وَصْلَةً إِلَيْهَا.

وَمَحْصُولُهُ الْحُثُّ عَلَى التَّعَلُّقِ بِحُبِّهِمْ، وَحَبْلِهِمْ، وَإِعْظَامِهِمْ شُكْرُ
النِّعْمَةِ مشرفهم والأخذ بهدي علمائهم، فَمَنْ أَخَذَ بِذَلِكَ نَجَا مِنْ
ظُلُمَاتِ الْمُخَالَفَةِ، وَأَدَّى شُكْرَ النِّعْمَةِ الْمُتَرَادِفَةِ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ
غَرِقَ فِي بَحَارِ الْكُفْرَانِ، وَتَيَّارِ الطُّغْيَانِ، فَاسْتَحَقَّ النَّيْرَانَ، لَمَّا أَنَّ
بُغْضَهُمْ يُوجِبُ النَّارَ، كَمَا جَاءَ فِي عِدَّةِ أَخْبَارٍ.

كَيْفَ وَهُمْ أَبْنَاءُ أَيْمَّةِ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، الَّذِينَ احْتَجَّ اللَّهُ
بِهِمْ عَلَى عِبَادِهِ، وَهُمْ فُرُوعُ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَبَقَايَا الصَّفْوَةِ
الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ، وَطَهَّرَهُمْ، وَبَرَّاهُمْ مِنَ الْآفَاتِ
وافتَرَضَ مَوَدَّتَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ، وَهُمْ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَمَعْدِنُ
التُّقَى..

وَأَعْلَمُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ، فِي هَذَا الْمَقَامِ الْعُلَمَاءُ مِنْهُمْ إِذْ لَا
يَحْتَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِغَيْرِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا يُفَارِقُونَ الْكِتَابَ
وَالسُّنَّةَ، حَتَّى يَرِدُوا مَعَهُ عَلَى الْحَوْضِ.. انْتَهَى كَلَامُ الْمُنَاوِي....

قَوْلُ السُّيُوطِيِّ:

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْشُورِ:

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالطَّبْرَانِيُّ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، عَنْ أُمِّ
سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْتَهَا عَلَى مَنَامَةٍ لَهُ
عَلَيْهِ كِسَاءٌ خَيْبَرِيٌّ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِبُرْمَةٍ فِيهَا
خَزِيرَةٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {ادْعِي زَوْجَكَ
وَابْنَيْكَ حَسَنًا، وَحُسَيْنًا}.

فَدَعَتْهُمْ فَبَيْنَمَا هُمْ يَأْكُلُونَ إِذْ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِفَضْلَةٍ إِزَارِهِ فَعَسَّاهُمْ إِيَّاهَا
ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ مِنَ الْكِسَاءِ، وَأَوْمَأَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: {اللَّهُمَّ
هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ
تَطْهِيرًا}، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي فِي السِّتْرِ فَقُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا مَعَكُمْ فَقَالَ: {إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ} مَرَّتَيْنِ.
وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ
فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى أَبِيهَا بِشَرِيدٍ لَهَا تَحْمِلُهَا فِي طَبَقٍ لَهَا حَتَّى
وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَالَ لَهَا: {أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ}؟
قَالَتْ: هُوَ فِي الْبَيْتِ.

قَالَ: { اذْهَبِي فَاذْعِيهِ وَابْنِيكَ }، فَجَاءَتْ تَقُودُ ابْنَيْهَا، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي يَدٍ، وَعَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْشِي فِي أَثَرِهَا، حَتَّى دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَجْلَسَهُمَا فِي حَجَرِهِ وَجَلَسَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ يَمِينِهِ، وَجَلَسَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ يَسَارِهِ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَخَذَتْ مِنْ تَحْتِ كِسَاءٍ كَانَ بِسَاطِنًا عَلَى الْمَنَامَةِ فِي الْبَيْتِ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: { ائْتِينِي بِزَوْجِكَ وَابْنَيْهِ، فَجَاءَتْ بِهِمَا }.

فَأَلْقَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَ كِسَاءً فَدَكِيًّا ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ قَالَ: { اَللّٰهُمَّ اِنَّ هٰؤُلَاءِ اَهْلُ مُحَمَّدٍ }، وَفِي لَفْظٍ: { آلُ مُحَمَّدٍ - فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا جَعَلْتَهَا عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ }.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَرَفَعْتُ الْكِسَاءَ لَأَدْخُلَ مَعَهُمْ فَجَذَبَهُ مِنْ يَدَيَّ، وَقَالَ: { إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ }.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْذَوَيْهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي بَيْتِي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وَفِي الْبَيْتِ سَبْعَةٌ: جَبْرَائِيلُ، وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَنَا عَلَى بَابِ الْبَيْتِ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ.
قَالَ: {إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ}.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْذَوَيْهِ، وَالْحَاطِبُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ يَوْمَ أُمِّ سَلَمَةَ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَنَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِحَسَنِ وَحُسَيْنٍ وَفَاطِمَةَ، وَعَلِيٍّ، فَضَمَّهُمْ إِلَيْهِ وَنَشَرَ عَلَيْهِمُ الثَّوبَ، وَالْحِجَابُ عَلَى

أُمِّ سَلَمَةَ مَضْرُوبٌ، ثُمَّ قَالَ: {اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا}.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ.

قَالَ: {أَنْتِ عَلَى مَكَانِكَ، وَإِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ}.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ، مِنْ طُرُقٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: فِي بَيْتِي نَزَلَتْ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، وَفِي الْبَيْتِ فَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، فَجَلَّلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِكِسَاءٍ كَانَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: {هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا}.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي خَمْسَةٍ: فِيَّ، وَفِي عَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ وَحَسَنٍ، وَحُسَيْنٍ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾}.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ
وَالْحَاكِمُ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَجَّلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ
وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَدْخَلَهُمَا مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ
مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا﴾.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَالْحَاكِمُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: نَزَلَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيُ فَأَدْخَلَ عَلِيًّا
وَفَاطِمَةَ، وَابْنَيْهِمَا تَحْتَ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: {اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وَأَهْلُ
بَيْتِي}.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي
حَاتِمٍ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ وَائِلَةَ
بْنِ الْأَسْقَعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى فَاطِمَةَ وَمَعَهُ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ، وَعَلِيٌّ، حَتَّى دَخَلَ
فَأَذْنَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ، فَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسَ حَسَنًا
وَحُسَيْنًا، كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ، وَأَنَا

مُسْتَدْبِرُهُمْ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمُرُّ بَبَابِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذَا خَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَيَقُولُ: {الصَّلَاةَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ الصَّلَاةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾}.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي}.
فَقِيلَ: لَزَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟
أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟

قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ
آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ..

وَأَخْرَجَ الْحَكِيمُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَأَبُو نَعِيمٍ
وَالْبَيْهَقِيُّ مَعًا فِي الدَّلَائِلِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الْخَلْقَ

قِسْمَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا قِسْمًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَصْحَابُ
الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧]، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١].

فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.
ثُمَّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ أَثْلَاثًا، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا ثُلثًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:
﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا
أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠٨].

فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ، وَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ.
ثُمَّ جَعَلَ الْأَثْلَاثَ قَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قَبِيلَةً، وَذَلِكَ قَوْلُهُ:
﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فَأَنَا أَتَقَى وَلَدِ آدَمَ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا فَخْرَ.
ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بَيْتًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.
فَأَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي مُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ {.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي
قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيرًا ﴿١٧٩﴾، قَالَ: هُمْ أَهْلُ بَيْتِ طَهْرِهِمُ اللَّهُ مِنَ الشُّوْءِ، وَاخْتَصَّصَهُمْ بِرَحْمَتِهِ.

قَالَ: وَحَدَّثَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: {نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ طَهْرِهِمُ اللَّهُ مِنْ شَجَرَةِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَبَيْتِ الرَّحْمَةِ، وَمَعْدِنِ الْعِلْمِ}.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا دَخَلَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا إِلَى بَابِهَا، يَقُولُ: {السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ الصَّلَاةُ رَحِمَكُمْ اللَّهُ: ﴿١٨٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١٨١﴾، أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ، أَنَا سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ}.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبِي الْحُمَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ بِالْمَدِينَةِ، لَيْسَ مِنْ مَرَّةٍ يَخْرُجُ إِلَى صَلَاةِ الْغَدَاةِ إِلَّا أَتَى إِلَى بَابِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَنْبَيْ الْبَابِ، ثُمَّ قَالَ:

{ الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ }.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: شَهِدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ بَابَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ فَيَقُولُ: {السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَهْلَ الْبَيْتِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ}، كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ..

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي الْحُمْرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي بَابَ عَلِيِّ وَفَاطِمَةَ، سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَيَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. انْتَهَى. كَلَامُ السُّيُوطِيِّ....

قَوْلُ الْأَحْوَذِيِّ:

وَقَالَ صَاحِبُ ثُخْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ: قَالَ الطَّبَّيُّ: فِي قَوْلِهِ: {إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ}، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ التَّوَّامِينَ، الْخَلَفَيْنِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ يُوصِي الْأُمَّةَ بِحُسْنِ الْمُخَالَقَةِ

مَعَهُمَا، وَإِثَارِ حَقِّهِمَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، كَمَا يُوصِي الْأَبُ الْمُشْفِقُ
النَّاسَ فِي حَقِّ أَوْلَادِهِ، وَيُعْضِّدُهُ مَا فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عِنْدَ
مُسْلِمٍ: {أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي}، كَمَا يَقُولُ: الْأَبُ الْمُشْفِقُ
اللَّهُ اللَّهُ فِي حَقِّ أَوْلَادِي.

{وَلَنْ يَتَفَرَّقَا}.

أَيُّ: كِتَابُ اللَّهِ وَعِشْرَتِي، فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ
بِتَشْدِيدِ النُّونِ الْحَوْضِ، أَيُّ: الْكَوْثَرِ.

إِلَى قَوْلِهِ: قَالَ الطَّبِيُّ: لَعَلَّ السَّرَّ فِي هَذِهِ التَّوْصِيَةِ، وَاقْتِرَانَ الْعِثْرَةِ
بِالْقُرْآنِ، أَنَّ إِجَابَ مَحَبَّتِهِمْ لَائِحٌ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

فَإِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ شُكْرَ إِنْعَامِهِ وَإِحْسَانِهِ، بِالْقُرْآنِ مَنْوُطًا بِمَحَبَّتِهِمْ
عَلَى سَبِيلِ الْحَضَرِ، فَكَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُوصِي الْأُمَّةَ
بِقِيَامِ الشُّكْرِ، وَقِيلَ: تِلْكَ النِّعْمَةُ بِهِ وَيُحَذِّرُهُمْ عَنِ الْكُفْرَانِ، فَمَنْ
أَقَامَ بِالْوَصِيَّةِ، وَشَكَرَ تِلْكَ الصَّنِيعَةَ، بِحُسْنِ الْخِلَافَةِ فِيهِمَا، لَنْ
يَفْتَرِقَا، فَلَا يُفَارِقَانِهِ فِي مَوَاطِنِ الْقِيَامَةِ، وَمَشَاهِدِهَا حَتَّى يَرِدَ
الْحَوْضَ، فَشَكَرَا صَنِيعَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
فَحِينئذٍ هُوَ بِنَفْسِهِ يُكَافِئُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجَازِيهِ بِالْجَزَاءِ الْأَوْفَى وَمَنْ

أَضَاعَ الْوَصِيَّةَ وَكَفَرَ النِّعْمَةَ فَحُكِّمَهُ عَلَى الْعَكْسِ وَعَلَى هَذَا
التَّأْوِيلِ حَسُنَ مَوْقِعُ قَوْلِهِ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا، وَالنَّظَرُ
بِمَعْنَى التَّأَمُّلِ، وَالتَّفَكُّرِ، أَي: تَأَمَّلُوا وَاسْتَغْمِلُوا الرِّوْيَةَ فِي اسْتِخْلَافِي
إِيَّاكُمْ هَلْ تَكُونُونَ خَلْفَ صِدْقٍ أَوْ خَلْفَ سُوءٍ...

قَالَ الْقَارِي: وَالْمُرَادُ بِالْأَخْذِ بِهِمُ التَّمَسُّكُ بِمَحَبَّتِهِمْ وَمُحَافَظَةُ
حُرْمَتِهِمْ وَالْعَمَلُ بِرَوَايَتِهِمْ وَالاعْتِمَادُ عَلَى مَقَالَتِهِمْ.
وَقَالَ ابْنُ الْمَلِكِ: التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ الْعَمَلُ بِمَا فِيهِ وَهُوَ الْإِتِمَارُ
بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَالْإِنْتِهَاءُ عَنْ نَوَاهِيهِ، وَمَعْنَى التَّمَسُّكِ بِالْعِتْرَةِ مَحَبَّتُهُمْ
وَالْاهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ.. انْتَهَى. تُحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ..

قَوْلُ الْإِمَامِ الْقُرْطُبِيِّ:

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ: عَنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: {أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي}...

وَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ وَهَذِهِ التَّأَكِيدُ الْعَظِيمُ يَقْتَضِي وَجُوبَ احْتِرَامِ أَهْلِهِ
وَإِبْرَارِهِمْ، وَتَوْقِيرِهِمْ، وَمَحَبَّتِهِمْ، وَجُوبَ الْفُرُوضِ الْمُؤَكَّدَةِ، الَّتِي لَا
عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهَا، هَذَا مَعَ مَا عَلِمَ مِنْ خُصُوصِيَّتِهِمْ
بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبِأَنَّهُمْ جُزْءٌ مِنْهُ، فَإِنَّهُمْ

أُصُولُهُ الَّتِي نَشَأَ عَنْهَا، وَفُرُوعُهُ الَّتِي نَشَتْ عَنْهُ، كَمَا قَالَ: {فَاطِمَةُ
بُضْعَةٌ مِنِّي يُرِيْبُنِي مَا يَرِيْبُهَا}.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَابَلَ بَنُو أُمِّيَّةَ عَظِيمَ هَذِهِ الْحُقُوقِ بِالْمُخَالَفَةِ وَالْعُقُوقِ
فَسَفَكُوا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ دِمَاءَهُمْ، وَسَبَّوْا نِسَاءَهُمْ، وَأَسْرَوْا
صِغَارَهُمْ، وَخَرَّبُوا دِيَارَهُمْ، وَجَحَدُوا شَرَفَهُمْ، وَفَضَلَهُمْ، وَاسْتَبَاحُوا
سَبَّهُمْ، وَلَعَنَهُمْ، فَخَالَفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي
وَصِيَّتِهِ، وَقَابَلُوهُ بِنَقِيضِ مَقْصُودِهِ وَأُمْنِيَّتِهِ.
فَوَا خَجَلَهُمْ إِذَا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَيَا فَضِيحَتَهُمْ يَوْمَ يُعْرَضُونَ عَلَيْهِ.. انْتَهَى كَلَامُ الْقُرْطُبِيِّ...

قَوْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ:

وَقَالَ بَنُ تَيْمِيَّةَ:

مَحَبَّتُهُمْ عِنْدَنَا فَرَضٌ وَاجِبٌ يُوجِرُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَنَا فِي
صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِغَدِيرِ يُدْعَى حُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَقَالَ:
{أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ}.

فَذَكَرَ كِتَابَ اللَّهِ وَحَضَّ عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: {وَعَتَرْتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي}.

قُلْتُ لِمُقَدِّمٍ: وَنَحْنُ نَقُولُ فِي صَلَاتِنَا كُلِّ يَوْمٍ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

قَالَ مُقَدِّمٌ: فَمَنْ يُبْغِضُ أَهْلَ الْبَيْتِ؟

قُلْتُ: مَنْ أَبْغَضَهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا.

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:

وَاتَّبَاعُ الْقُرْآنِ وَاجِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ، بَلْ هُوَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، وَهُدَى اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ.

وَكَذَلِكَ أَهْلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَبُّ مُحَبِّثُهُمْ، وَمُؤَالَاتُهُمْ، وَرِعَايَةُ حَقِّهِمْ.

وَهَذَانِ الثَّقَلَانِ: اللَّذَانِ وَصَّى بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِغَدِيرِ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ} - وَفِي رِوَايَةٍ: {أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ - كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ} فَرَعَّبَ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: {هُوَ حَبْلُ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى الضَّلَالَةِ، وَعِشْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي}.

فَقِيلَ لَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟

قَالَ: أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حَرَّمَ الصَّدَقَةَ: آلُ الْعَبَّاسِ، وَآلُ عَلِيٍّ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَقِيلٍ. وَالنُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى اتِّبَاعِ الْقُرْآنِ أَعْظَمُ مَنْ أَنْ تُذَكَرَ هُنَا.

وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ وُجُوهِ حَسَانٍ أَنَّهُ قَالَ: عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ: {وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُجِبُّوكُمْ مِنْ أَجْلِي}.

وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَطَهَّرَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الَّتِي هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَجَعَلَ لَهُمْ حَقًّا فِي الْخُمْسِ، وَالْفَيْءِ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: {إِنَّ اللَّهَ
 اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى
 قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ
 بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خَيْرُكُمْ نَفْسًا، وَخَيْرُكُمْ نَسَبًا}..

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:

فَإِنَّ بَنِي هَاشِمٍ أَفْضَلُ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشًا أَفْضَلُ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبَ أَفْضَلُ
 بَنِي آدَمَ.

كَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مِثْلُ قَوْلِهِ فِي
 الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى كِنَانَةَ
 مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ
 مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ}.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: {أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي
 أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي}..
 وَفِي السُّنَنِ: أَنَّهُ شَكَاَ إِلَيْهِ الْعَبَّاسُ: أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يُحَقِّرُونَهُمْ
 فَقَالَ: {وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ
 وَلِقَرَابَتِي}..

وَإِذَا كَانُوا أَفْضَلَ الْخَلْقِ فَلَا رَيْبَ أَنَّ أَعْمَاهُمْ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ.

وَكَانَ أَفْضَلُهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا عَدْلَ لَهُ مِنَ الْبَشَرِ، فَفَاضِلُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ فَاضِلٍ مِنْ سَائِرِ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ، بَلْ وَمِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ. انْتَهَى..

وَقَالَ: فِي مِنْهَاجِ السُّنَّةِ: وَلَا رَيْبَ أَنَّ لَالَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَقًّا عَلَى الْأُمَّةِ لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ، وَيَسْتَحِقُّونَ مِنْ زِيَادَةِ الْمَحَبَّةِ، وَالْمُؤَالَاةِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُ قُرَيْشٍ مِنَ الْقَبَائِلِ كَمَا أَنَّ قُرَيْشًا يَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَالْمُؤَالَاةِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُ قُرَيْشٍ مِنَ الْقَبَائِلِ، كَمَا أَنَّ جَنْسَ الْعَرَبِ يَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمُؤَالَاةِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ سَائِرُ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ.

وَهَذَا عَلَى مَذْهَبِ الْجُمْهُورِ الَّذِينَ يَرَوْنَ فَضْلَ الْعَرَبِ عَلَى غَيْرِهِمْ وَفَضْلَ قُرَيْشٍ عَلَى سَائِرِ الْعَرَبِ، وَفَضْلَ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى سَائِرِ قُرَيْشٍ.

وَهَذَا هُوَ الْمَنْصُوصُ عَنِ الْأَئِمَّةِ كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ. انْتَهَى... مِنْهَاجِ السُّنَّةِ..

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:

وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَحَبَّةَ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَاجِبَةٌ... انْتَهَى. كَلَامُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ...

قَوْلُ ابْنِ كَثِيرٍ:

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ:

وَلَا تُنْكِرُ الْوَصَاةَ بِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَالْأَمْرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْتِرَامُهُمْ
وَإِكْرَامُهُمْ، فَإِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ طَاهِرَةٍ، مِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ وَجَدَ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ، فَخْرًا وَحَسَبًا وَنَسَبًا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانُوا مُتَّبِعِينَ لِلْسُّنَّةِ
النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيلَةِ، كَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ
كَالْعَبَّاسِ وَبَنِيهِ، وَعَلِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.
وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بِغَدِيرِ خُمٍّ: {إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ
وَعَشْرَتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ}. انْتَهَى. كَلَامُ
ابْنِ كَثِيرٍ...

قَوْلُ الْهَيْثَمِيِّ:

وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ: فِي الصَّوَاعِقِ الْمُخْرِقَةِ: وَقَدْ جَاءَتْ الْوَصِيَّةُ الصَّرِيحَةُ
بِهِمْ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ.

مِنْهَا: حَدِيثُ: {إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا
بِعَدِي الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ

مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِثَرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا
 عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تُخْلِفُونِي فِيهِمَا {
 قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ غَرِيبٌ: وَأَخْرَجَهُ آخَرُونَ.
 وَلَمْ يُصِبْ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي إِيرَادِهِ فِي الْعِلَلِ الْمُتَنَاهِيَةِ.

كَيْفَ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، فِي خُطْبَتِهِ قُرْبَ رَابِعِ مَرْجَعِهِ مِنْ
 حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِنَحْوِ شَهْرٍ: {إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ
 أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ}، ثُمَّ قَالَ: {وَأَهْلُ بَيْتِي
 أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي
 أَهْلِ بَيْتِي}، ثَلَاثًا فَقِيلَ لَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: رَاوِيَهُ، مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟
 أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟

قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ.
 قِيلَ: وَمَنْ هُمْ؟

قَالَ هُمْ: آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ.

قِيلَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ؟
 قَالَ: نَعَمْ.

وَفِي رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ { كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ
فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَكْذُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَعَثَرْتِي }، أَيْ: بِالْمُثَنَاءِ، { فَانْظُرُوا كَيْفَ تُخْلِفُونِي فِيهِمَا فَإِنَّهُمَا لَنْ
يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ حَوْضِي }، وَفِي رِوَايَةٍ { وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى
يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ سَأَلْتُ رَبِّي ذَلِكَ لَهُمَا فَلَا تَقْدُمُوهُمَا، فَتَهْلِكُوا
وَلَا تَقْصِرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا، وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ }.
وَلِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ، عَنْ بَضْعٍ وَعِشْرِينَ صَحَابِيًّا لَا حَاجَةَ
لَنَا إِلَى بَسْطِهَا.

وَفِي رِوَايَةٍ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ: { اخْلِفُونِي فِي أَهْلِي }
وَسَمَّاهُمَا ثَقَلَيْنِ إِعْظَامًا لِقَدَرِهِمَا إِذْ يُقَالُ لِكُلِّ خَطِيرٍ شَرِيفٍ ثَقْلًا
أَوْ لِأَنَّ الْعَمَلَ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ مِنْ حُقُوقِهِمَا ثَقِيلٌ جَدًّا..
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (الْمُرْسَل ٥).
أَيْ: لَهُ وَزْنٌ وَقَدْرٌ لِأَنَّهُ لَا يُودَى إِلَّا بِتَكْلِيفٍ مَا يَثْقُلُ.
وَسَمِّيَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ثَقَلَيْنِ لِاخْتِصَاصِهِمَا بِكُونِهِمَا قُطَّانُ الْأَرْضِ
وَبِكُونِهِمَا فُضَّلًا بِالتَّمْيِيزِ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانِ.
وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ سِيَمَا قَوْلُهُ: { انْظُرُوا كَيْفَ تُخْلِفُونِي فِيهِمَا.
{ وَأَوْصِيَكُمْ بِعَثَرَتِي خَيْرًا }.

{وَأُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي}.

الْحَثُّ الْأَكِيدُ عَلَى مَوَدَّتِهِمْ، وَمَزِيدِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاخْتِرَامِهِمْ
وَإِكْرَامِهِمْ وَتَأْذِيَةِ حُقُوقِهِمْ، الْوَاجِبَةِ وَالْمَنْدُوبَةِ.
كَيْفَ وَهُمْ أَشْرَفُ بَيْتٍ وُجِدَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَخْرًا وَحَسَبًا
وَنَسَبًا.

وَلَا سِيَّمًا إِذَا كَانُوا مُتَّبِعِينَ لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، كَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ
كَالْعَبَّاسِ وَبَنِيهِ، وَعَلِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَعُقَيْلٍ وَبَنِيهِ، وَبَنِي جَعْفَرٍ.
وَفِي قَوْلِهِ: {لَا تَقْدُمُوهُمَا، فَتَهْلِكُوا، وَلَا تَقْصِرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا
وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ} دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ تَاهَلَ مِنْهُمْ
لِلْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ، وَالْوُظَائِفِ الدِّينِيَّةِ، كَانَ مُقَدَّمًا عَلَى غَيْرِهِ.
وَيَدُلُّ لَهُ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ فِي كُلِّ قُرَيْشٍ كَمَا مَرَّ فِي الْأَحَادِيثِ
الْوَارِدَةِ فِيهِمْ.

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا الْجُمْلَةَ قُرَيْشٍ فَأَهْلُ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ الَّذِينَ هُمْ غُرَّةُ
فَضْلِهِمْ، وَمَحْتَدُ فَخْرِهِمْ، وَالسَّبَبُ فِي تَمِيزِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ بِذَلِكَ
أُخْرَى وَأَحَقُّ وَأَوْلَى. انْتَهَى.. مِنَ الصَّوَاعِقِ الْمُحْرِقَةِ.

قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعَثِيمِينَ:

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَثِيمِينَ فِي تَفْسِيرِهِ:

وَقَدْ وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
فِيمَا صَحَّ عَنْهُ، وَتَوَاتَرَ، وَرَوَاهُ عَنْهُ عَشْرَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رِجَالاً
وَنِسَاءً، وَدَوْنَتْهُ عَنْهُ أُمَّهَاتُ السَّنَةِ.

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: عِنْدَ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَصَحَّحَهُ
وَصَحِّحُ الْحَاكِمِ، وَسُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ، وَغَيْرُهُمْ قَالَتْ: "فِي بَيْتِي نَزَلَتْ:
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾. وَفِي الْبَيْتِ
فَاطِمَةُ، وَعَلِيٌّ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَجَلَّلَهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِكِسَاءٍ كَانَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: { هَؤُلَاءِ
أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً }.

وَرَوَتْهُ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ أَحْمَدَ فِي الْمُسْنَدِ، وَمُسْلِمٍ فِي
الصَّحِيحِ، وَرَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، عِنْدَ مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ، وَسَعْدُ
عِنْدَ صَحِيحِ الْحَاكِمِ، وَوَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ عِنْدَ أَحْمَدَ فِي الْمُسْنَدِ
وَالْحَاكِمِ فِي الصَّحِيحِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ، وَغَيْرُهُمْ، وَأَنْسُ عِنْدَ
جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ وَصَحَّحَهُ، وَمُسْنَدَ أَحْمَدَ، وَصَحِّحِ الْحَاكِمِ

وغيرهم، وزيد بن أرقم عند صحيح مسلم، وابن عباس في معجم الطبراني ودلائل أبي نعيم، ودلائل البيهقي، وأبو الحمراء عند تفسير ابن جرير، وتفسير ابن مردويه.

قال الترمذي: وفي الباب عن معقل بن يسار، فهو برواته العشر متواتر قال أبو العباس ابن تيمية: «وقد أوجب الله على جميع الخلق رعاية حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في أهل البيت والأصحاب، بما لا خفاء به على أحد من علماء المؤمنين».

فحرمتهم حرمة رسول الله، ومحبتهم محبة لرسول الله، والأدب معهم أدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومن مثلهم أو مثل واحد منهم لم يحترم رسول الله، ولم يحبّه، ولم يتأدّب معه، وكان من العصاة المستهزئين، وعليه ما على العصاة والجناة من أدبٍ وتعزير.

وآل البيت قد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهم وقرن التمسك والهداية بهم، بالتمسك والهداية بكتاب الله، وأن التمسك بهما منقذ من الضلال، وإنهما لن يفترقا إلى يوم

الْقِيَامَةِ، إِلَى لِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ بِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ ذَلِكَ وَخَطِبَ بِهِ فِي مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ.
وَرَوَاهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَرَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حُبَّهُ بِحُبِّ اللَّهِ، وَحُبُّ آلِ الْبَيْتِ بِحُبِّهِ.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا: أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ، كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تُخْلِفُونِي فِيهِمَا} .؟.

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي السُّنَنِ وَحَسَّنَهُ.

وَرَوَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي} . أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي السُّنَنِ وَحَسَّنَهُ وَقَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَحُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي}. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي السُّنَنِ وَحَسَنَهُ، وَالْحَاكِمُ فِي الصَّحِيحِ. انْتَهَى. كَلَامُ الْعِثِمِينَ....

قَوْلُ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَجَرِيِّ:

وَقَالَ: الْأَجَرِيُّ فِي كِتَابِهِ الشَّرِيعَةِ:

وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَمُؤْمِنَةٍ، مَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَبَنُو هَاشِمٍ: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَوَلَدُهُ وَذُرِّيَّتُهُ، وَفَاطِمَةُ، وَوَلَدُهَا وَذُرِّيَّتُهَا، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَأَوْلَادُهُمَا وَذُرِّيَّتُهُمَا، وَجَعْفَرُ الطَّيَّارُ وَوَلَدُهُ وَذُرِّيَّتُهُ، وَحَمْزَةُ وَوَلَدُهُ، وَالْعَبَّاسُ وَوَلَدُهُ وَذُرِّيَّتُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: وَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَحَبَّتُهُمْ، وَإِكْرَامُهُمْ وَاحْتِمَالُهُمْ، وَحُسْنُ مُدَارَاتِهِمْ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ، وَالِدُّعَاءُ لَهُمْ. انْتَهَى. كَلَامُ الْأَجَرِيِّ...

حِكَايَةُ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ:

وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَالْبَيْهَقِيُّ.
عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: اجْتَمَعُوا عِنْدَ الْحَجَّاجِ فَذَكَرَ
الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ.

فَقَالَ الْحَجَّاجُ: لَمْ يَكُنْ مِنْ ذُرِّيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
وَعِنْدَهُ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ.

فَقَالَ لَهُ: كَذَبْتَ أَتَيْهَا الْأَمِيرُ.

فَقَالَ: لَتَأْتِيَنِي عَلَى مَا قُلْتَ بَيِّنَةً وَمِصْدَاقٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ أَوْ لَا أَقْتُلَنَّكَ قَتْلًا.

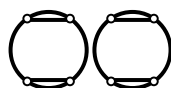
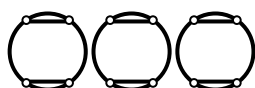
فَقَالَ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى﴾، إِلَى
قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾.

فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ عِيسَى مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ بِأُمِّهِ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ
عَلِيٍّ مِنْ ذُرِّيَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأُمِّهِ.
قَالَ: صَدَقْتَ.

فَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَكْذِيبِي فِي مَجْلِسِي.

قَالَ: مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ﴿لِيُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾
 قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾
 قَالَ: فَنَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ. انْتَهَى..

وَعَلَى الْجُمْلَةِ: وَلَوْ ذَهَبْنَا نَذْكُرُ أَقْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ مِنَ
 السَّلَفِ وَالْخَلَفِ لاحتجنا إلى عِدَّةِ أَسْفَارٍ، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ....



الحَسَدُ

يَا بَنِي: إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّهُ يُفْسِدُ الدِّينَ، وَيُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُذْهِبُ الْمُرُوءَةَ.

قال الإمام عز الدين عليه السلام: في كنز الرِّشَادِ وَزَادِ الْمَعَادِ:

الْحَسَدُ هُوَ: كَرَاهَةُ وَصُولِ النِّعَمِ، أَوْ بَقَائِهَا لِلْغَيْرِ، لَا لَوَجْهِ يَقْتَضِي ذَلِكَ، مِنْ عَدَاوَةٍ، أَوْ غَيْرِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَسَدُ عَلَى ارْتِفَاعِ شَأْنِ الْغَيْرِ، أَوْ حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مِنَ النِّعَمِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ شَرْعًا بِالْإِجْمَاعِ، وَبِالنَّصِّ. انْتَهَى..

يَا بَنِي: فَإِيَّاكَ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّهُ يَتَبَيَّنُ فِيكَ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ فِي عَدُوِّكَ. وَاعْلَمْ: أَنَّ الْحَسَدَ خُلِقَ ذَمِيمٌ مَعَ إِضْرَارِهِ بِالْبَدَنِ، وَفَسَادِهِ لِلدِّينِ حَتَّى لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، وَنَاهَيْكَ بِحَالِ ذَلِكَ شَرًّا.

فَقَدْ قِيلَ: الْحَسَدُ دَاءُ الْجَسَدِ، الْحُسُودُ لَا يَسُودُ، الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ.

يَعْنِي: حَسَدَ إِبْلِيسَ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ.

يَعْنِي: حَسَدَ ابْنِ آدَمَ لِأَخِيهِ حَتَّى قَتَلَهُ..

لَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ، مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ الْحَسُودِ نَفْسٌ دَائِمٌ، وَهَمٌّ لَا زِمٌ، وَقَلْبٌ هَائِمٌ، حَاسِدُ النِّعَمَةِ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا.

قَالَ أَبُو اللَّيْثِ: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الشَّرِّ أَضَرَّ مِنَ الْحَسَدِ، يَصِلُ إِلَى الْحَاسِدِ بِهِ خَمْسُ عُقُوبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَحْسُودِ مَكْرُوهٌ:

الْأُولَى: غَمٌّ لَا يَنْقَطِعُ.

الثَّانِيَةُ: مُصِيبَةٌ لَا يُوجَرُ عَلَيْهَا.

الثَّالِثَةُ: مَذَمَّةٌ لَا يُحْمَدُ بِهَا.

الرَّابِعَةُ: يَسْخَطُ عَلَيْهِ الرَّبُّ.

الْحَامِسَةُ: يُغْلَقُ عَلَيْهِ بَابُ التَّوْفِيقِ».

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وَأَيَّاكَ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ لِلْحَسَدِ نَفْرَةً عَلَى صَاحِبِهِ مُضِرَّةً، فَأَبْرَدُهُ عِنْدَ اضْطِرَامِ تَسْعُرِهِ، بِكَثْرَةِ التَّبْكِيَتِ، وَتَعْرِيفُهُ صِغَرِ صَاحِبِهِ الْمَمْقُوتِ.

يَابْنِي: فَإِنَّ الْحَاسِدَ لَا يُدْرِكُ فِي حَسَدِهِ نَقِيرًا، وَلَوْ أُزِيحَ عَنِ

الْمَحْسُودِ مَا حَسَدَهُ عَلَيْهِ لَمْ يَظْفَرْ مِنْهُ قِطْمِيرًا، وَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ

مِنَ الْمَخْلُوقِينَ إِلَّا وَعَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ أَوْ مُكْتَتِمَةٌ، أَصْنَافُ

مُقْتَسَمَةً، صَغِيرَ مَا يُؤَلِي اللَّهُ الْعَبْدَ مِنْهَا وَيُبْلِيهِ، وَيَهَبُ لَهُ وَيُعْطِيهِ
مِنْ صِحَّتِهِ، وَطُولِ عَافِيَتِهِ، وَمَا يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الْبَلَوِي، خَيْرٌ لَهُ
مِنْ مَا بَيْنَ الْأَرْضِ، وَالسَّمَاءِ.

يَا بَنِي: وَكَمْ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ، يَحْسُدُهُ مَنْ دُونَهُ عَلَى نِعْمَةٍ
مُنْتَكِدَةٍ، وَلَوْ أَشْعَرَ نَفْسَهُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ شُكْرِ الْمُنْعَمِ، كَانَ
ذَلِكَ أَزِيدَ لِلنِّعَمِ وَأَصْرَفَ لِلْمِلْمِ.

وَفِي الْحَسَدِ سِتٌّ خِصَالٍ:

طُولُ الْاِغْتِمَامِ بِمَا لَا يُجْدِي.

وَكثْرَةُ الْاهْتِمَامِ بِمَا لَا يُغْنِي.

وَتَكْدِيرُ الْمَعَاشِ.

وَالْحَسَاسَةُ عِنْدَ الْأَخْيَارِ وَالْأَوْبَاشِ.

وَحُرْقَةُ الْقَلْبِ.

وَمُضَادَّةُ الرَّبِّ». انْتَهَى كَلَامُ الْإِمَامِ الْقَاسِمِ...

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ لِنِعَمِ اللَّهِ أَعْدَاءً}.

قِيلَ وَمَنْ أُولَئِكَ؟

قَالَ: {الَّذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ}.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ، مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا}.

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهٍ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا مُوسَى: لَا تَحْسُدِ النَّاسَ عَلَى مَا آتَيْتُهُمْ مِنْ فَضْلِي وَنِعْمَتِي فَإِنَّ الْحَاسِدَ عَدُوٌّ لِنِعْمَتِي، رَادٌّ لِقَضَائِي، سَاخِطٌ لِقِسْمِي الَّذِي قَسَمْتُ بَيْنَ عِبَادِي، وَمَنْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ».

وَرُوي أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا تَعَجَّلَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَأَى فِي ظِلِّ الْعَرْشِ رَجُلًا فَغَبَطَهُ بِمَكَانِهِ، وَقَالَ: «إِنَّ هَذَا لَكَرِيمٌ عَلَى رَبِّهِ» فَسَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُخْبِرَهُ بِاسْمِهِ، فَلَمْ يُخْبِرْهُ بِاسْمِهِ وَقَالَ: {أُحَدِّثُكَ مِنْ عَمَلِهِ بِثَلَاثِ:

كَانَ لَا يَحْسُدُ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.
وَكَانَ لَا يَعُوقُ وَالِدَيْهِ.

وَكَانَ لَا يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ}..

وَأَعْلَمِيَا بُنَيَّ: أَنَّ الْحَاسِدَ مَذْمُومٌ.

فَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْحَاسِدَ لَا يَنَالُ فِي الْمَجَالِسِ إِلَّا نَدَامَةً.

وَلَا يَنَالُ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا لَعْنَةً وَبَغْضَاءً.

وَلَا يَنَالُ فِي الْخُلُوةِ إِلَّا جَزَعًا وَغَمًّا.

وَلَا يَنَالُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا حُزْنًا وَاحْتِرَاقًا.

وَلَا يَنَالُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا وَمَقْتًا..

وَالْحَاسِدُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، حَيْثُ أَتَعَبَ نَفْسَهُ وَأَحْزَنَهَا، وَأَوْقَعَهَا فِي

الِإِثْمِ، وَلِغَيْرِهِ حَيْثُ لَمْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَلِذَا قَالَ أَبُو

الطَّيِّبِ:

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ كَانَ حَاسِدًا *** لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

وَأَعْلَمِيَا بُنَيَّ: أَنَّ دَاءَ الْحَسَدِ مِنَ أَعْظَمِ الْأَدْوَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءُ بِهِ مِنْ

أَشَدِّ الْبَلَوَى، يَحْمِلُ صَاحِبُهُ عَلَى مَرْكَبٍ صَعْبٍ، وَيُبْعِدُهُ عَنِ

التَّقْوَى، وَيُرْكِبُهُ الْأَهْوَاءَ، فَيَظِلُّ وَيَغْوَى، يَضِيقُ صَدْرَ الْحُسُودِ

وَيَنْفَطِرُ قَلْبُهُ إِذَا رَأَى نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَيُعَانِي مِنَ

الْبُؤْسِ وَاللَّأْوَى، مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبُتَّ مَعَهُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْحُزَنِ

وَالْقَلْقِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الشَّكْوَى، إِلَّا إِلَى الشَّيْطَانِ وَنَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ

بِالسُّوءِ، أَوْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْحَسَدِ، فَقَاتَلَ اللَّهُ الْحُسُودَ لَا يَفْعَلُ
الْخَيْرَ وَلَا يُجِبُّهُ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، غَايَةَ أُمْنِيَّتِهِ زَوَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْ
عِبَادِهِ إِنَّهُ سَالِكَ طَرِيقِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ.

فَمَا أَوْقَعَ الشَّيْطَانُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا حَسَدُهُ لِأَيِّنَا آدَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: وَامْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ بَعْدَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ.

وَمَا حَمَلَ قَابِيلَ عَلَى قَتْلِ أَخِيهِ هَابِيلَ إِلَّا حَسَدُهُ لِأَخِيهِ حَيْثُ
تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ قُرْبَانَهُ الَّذِي أَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ.

وَمَا حَمَلَ إِخْوَةَ يُوسُفَ عَلَى مَا فَعَلُوا بِيُوسُفَ إِلَّا الْحَسَدُ: ﴿إِذْ قَالُوا
لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ﴾.

وَمَا مَنَعَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُتَرَفِينَ مِنْ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ إِلَّا الْحَسَدُ وَالْكِبْرُ.
وَمَا حَمَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى كَرَاهَةِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَصَرْفِ
الْمُسْلِمِينَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَالْإِيمَانِ بِسَيِّدِ الرُّسُلِ وَخَاتَمِهِمْ إِلَّا مَا
ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ
إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
الْحَقُّ﴾، الْآيَةُ.

وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ الْحَاسِدَ مُيَسَّرٌ لِلْعُسْرِ، لَا تُجْدِي مَعَهُ
الْمَوَاعِظُ وَالنَّصَائِحُ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ بِضَاعَةَ إِبْلِيسَ خَمْسَةُ أَصْنَافٍ: يَبِيعُهَا مِنْ قَوْمٍ
مَعْرُوفِينَ.

وَهِيَ الْحَسَدُ: وَأَهْلُهُ الْعُلَمَاءُ، وَأَهْلُ الْحِرْفَةِ الْوَاحِدَةِ، أَيُّ: كُلُّ مَنْ
يَتَّفِقُ عَمَلُهُمْ، مُسْلِمِينَ أَوْ غَيْرَ مُسْلِمِينَ.

وَالْكِبَرُ: وَأَهْلُهُ الْأَنْذَالُ وَالسَّفَلَةُ، وَالسُّفَهَاءُ، وَالْحُمَقَاءُ، وَمَنْ لَا
خَيْرَ فِيهِ، مِنْ الْمُحْتَرِفِينَ الْمُنْحَرِفِينَ.

وَالْجَوْرُ وَالطُّغْيَانُ: وَأَهْلُهُ الْمُلُوكُ، وَالْأَمْرَاءُ، وَالْوُزَرَاءُ، وَالْعُظَمَاءُ
وَأَعْوَانِهِمْ مِنَ الْفَسَقَةِ وَالْمُجْرِمِينَ.

وَالْكَيْدُ: وَأَهْلُهُ النِّسَاءُ، وَالنَّمَامِينَ.

وَبُسَّتِ الْبِضَاعَةُ بِضَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَيَا حَسْرَةَ الْمُشْتَرِينَ، وَيَا
نَدَامَتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ﴾.

يَا بُنَيَّ الْحَبِيبُ:

تَأَمَّلْ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْحَسَدِ؟

وَكَيْفَ يَنْعَكِسُ ضَرَرُهُ عَلَى الْحَاسِدِ؟

وَكَيْفَ يَعُودُ ضَرَرُهُ وَوَبَالُهُ عَلَى الْحَاسِدِ فِي الدِّينِ، وَالْدُنْيَا
وَالْآخِرَةِ...؟

أَمَّا ضَرَرُهُ فِي الدِّينِ: فَإِنَّ الْحَاسِدَ قَدْ سَخِطَ قَضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى
فَكَرِهَ نِعْمَتَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَهَذَا قَذَى فِي بَصَرِ الْإِيمَانِ، وَيَكْفِيهِ أَنَّهُ
شَارَكَ إِبْلِيسَ فِيهِ.

ثُمَّ إِنَّ الْحَسَدَ يَحْمِلُ عَلَى إِطْلَاقِ اللِّسَانِ فِي الْمَحْسُودِ بِالشَّتْمِ
وَالْتَحِيلِ عَلَى أَذَاهُ.

وَأَمَّا ضَرَرُهُ فِي الدُّنْيَا: فَإِنَّ الْحَاسِدَ يَتَأَلَّمُ وَلَا يَزَالُ فِي كَمَدٍ
وَيَكُونُ سَبَبًا لِمَحَقِّ الْبَرَكَةِ لَهُ فِيمَا يَتَعَاطَاهُ، وَإِذَا انْتُرِجَتِ الْبَرَكَةُ
حَلَّ مَحَلَّهَا الْفَشَلُ.

وَأَمَّا ضَرَرُهُ فِي الْآخِرَةِ: فَحَسَبُ الْحَاسِدِ أَنَّ الْحَسَدَ يُطْفِئُ نُورَ
الْحَسَنَاتِ، وَأَنَّهُ يَخْسِرُ حَسَنَاتِهِ، وَأَنَّهُ يُجْبِطُ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ.

كَمَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إِيَّاكُمْ
وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ}.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: {الْغُلُّ وَالْحَسَدُ يَأْكُلَانِ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ}.

فَالْحَاسِدُ قَدْ جَمَعَ خُسْرَانِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ صَدِيقٌ لِلْمَحْسُودِ، عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ.
لَأَنَّهُ يُضِيفُ حَسَنَاتِهِ إِلَى حَسَنَاتِ الْمَحْسُودِ، وَيَتَحَمَّلُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَاسِدِ حَسَنَاتٌ.

فَأَيُّ: خَسَارَةٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ الْخَسَارَةِ..
أَيُّ: خَسَارَةٍ أَعْظَمَ مِنْ خَسَارَةِ الْحَسَنَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ..
مَعَ أَنَّ الْحَاسِدَ، لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ الْمَحْسُودَ.
بَلْ رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لانتشار فضائل المحسود، وعُلوِّ منزلته.
وَالَيْكَ يَا بُنَيَّ: هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ النَّفْعِ لِمَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَيْنَ
بَصِيرَتِهِ، وَلَمْ يُعْمِهِ الْهَوَى..

فَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ دُرُوسٌ وَعِبَرٌ كَثِيرَةٌ، لِكُلِّ مُسْلِمٍ حَرِيصٍ عَلَى
دِينِهِ.

رُوي أَنَّ بَعْضَ الصُّلَحَاءِ: كَانَ يَجْلِسُ بِجَانِبِ مَلِكٍ يَنْصَحُهُ
وَيَقُولُ لَهُ:

«أَحْسِنُ إِلَى الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ فَإِنَّ الْمُسِيءَ سَتَكْفِيهِ إِسَاءَتُهُ».
فَحَسَدَهُ عَلَى قُرْبِهِ مِنَ الْمَلِكِ بَعْضُ الْجَهْلَةِ، وَأَعْمَلَ الْحِيلَةَ عَلَى قَتْلِهِ.

فَسَعَى بِهِ لِلْمَلِكِ، وَكُنَّا يَعْرِفُ أَنَّ الْمُلُوكَ تَغْضَبُ غَضَبَ الصَّبِيِّ وَتَبْطِشُ بَطْشَ الْأَسَدِ.

فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ فُلَانًا هَذَا الَّذِي يَقُومُ بِحَذَائِكَ، وَيَقُولُ مَا يَقُولُ، يَزْعُمُ أَنَّكَ أَبْخَرُ.

فَقَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ عِنْدِي..؟

قَالَ: تَدْعُوهُ إِلَيْكَ وَتُدْنِيهِ، فَإِنَّهُ إِذَا دَنَا مِنْكَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: انصَرِفْ حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ.

فَخَرَجَ هَذَا الرَّجُلُ الْحَاسِدُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ فَدَعَا ذَلِكَ الرَّجُلَ الطَّيِّبَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَطْعَمَهُ ثُومًا.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ وَجَاءَ لِلْمَلِكِ.

وَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِهِ السَّابِقِ: أَحْسِنُ لِلْمُحْسِنِ كَعَادَتِهِ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَدُنْ مِنِّي يَا فُلَانُ.

فَدَنَا مِنْهُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ مَخَافَةً أَنْ يَشُمَّ الْمَلِكُ مِنْهُ رَائِحَةَ الثُّومِ.

فَقَالَ الْمَلِكُ فِي نَفْسِهِ: مَا أَرَى فُلَانًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ.
وَكَانَ الْمَلِكُ لَا يَكْتُبُ بِخَطِّهِ إِلَّا بِجَائِزَةٍ أَوْ صِلَةٍ.
فَكَتَبَ لَهُ بِخَطِّهِ لِبَعْضِ عُمَّالِهِ: إِذَا أَتَاكَ صَاحِبُ كِتَابِي هَذَا فَادْبَحْهُ
وَأَسْلُخْهُ وَاحْشُ جِلْدَهُ تَبْنًا وَابْعَثْ بِهِ إِلَيَّ.
فَأَخَذَ الْكِتَابَ وَخَرَجَ فَلَقِيَهُ ذَلِكَ الْحَاسِدُ الَّذِي سَعَى بِهِ.
فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الْكِتَابُ؟
فَقَالَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ: خَطَّ الْمَلِكُ لِي بِصِلَةٍ.
فَقَالَ: هَبْهُ لِي.
فَقَالَ: هُوَ لَكَ.
فَأَخَذَهُ وَمَضَى إِلَى الْعَامِلِ.
فَقَالَ الْعَامِلُ: فِي كِتَابِكَ أَنْ أَذْبَحَكَ وَأَسْلُخَكَ.
فَقَالَ: إِنَّ الْكِتَابَ لَيْسَ هُوَ لِي، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَمْرِي حَتَّى أُرَاجِعَ
الْمَلِكَ.
قَالَ: لَيْسَ لِكِتَابِ الْمَلِكِ مُرَاجَعَةٌ.
فَذَبَحَهُ وَسَلَخَهُ وَحَشَا جِلْدَهُ تَبْنًا وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ.
فَلَمَّا رَأَاهُ الْمَلِكُ، تَعَجَّبَ غَايَةَ الْعَجَبِ.
وَبَعَثَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ الطَّيِّبِ وَسَأَلَهُ: مَا فَعَلَ الْكِتَابُ...؟

فَقَالَ: لَقِينِي فَلَانٌ فَاسْتَوْهَبَهُ مِنِّي فَوَهَبْتُهُ لَهُ.
فَأُلْقِي فِي رُوعِ الْمَلِكِ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَجْرِي عَلَى هَذَا النَّحْوِ إِلَّا بِتَدْبِيرٍ
مِنَ اللَّهِ.

فَقَالَ الْمَلِكُ: إِنَّهُ ذَكَرَ لِي أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنِّي أَبْخَرُ.
فَقَالَ الرَّجُلُ: مَعَاذَ اللَّهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا قُلْتُ ذَلِكَ.
فَقَالَ: الْمَلِكُ: فَلِمَ كُنْتَ تَضَعُ يَدَكَ عَلَى فَمِكَ وَأَنْفِكَ وَأَنْتَ
تُحَدِّثُنِي..؟

فَقَالَ: إِنَّهُ أَطْعَمَنِي ثُومًا فَكَرِهْتُ أَنْ تَشُمَّهُ.
هُنَا قَالَ الْمَلِكُ: الْآنَ حَصَّحَصَ الْحَقُّ، صَدَقْتَ وَاللَّهِ إِرْجِعْ إِلَى
مَكَانِكَ فَقَدْ كَفَى الْمُسِيءِ إِسَاءَتُهُ.
فَاعَادَهُ الْمَلِكُ إِلَى مَكَانِهِ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.
انْتَهَتْ الْقِصَّةُ.....

فَانْظُرِيَا بُنَيَّ: كَيْفَ دَارَتْ عَلَى الْبَاغِي الدَّوَائِرُ.
وَاسْأَلْ رَبَّكَ أَنْ يُعَافِيكَ مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْفَتَّاكَةِ.
فَتَأْمَلْ رَحِمَكَ اللَّهُ شُومَ الْحَسَدِ وَمَا جَرَّ إِلَيْهِ..؟

تَعْلَمُ سِرَّ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {لِلَّهِ دَرُّ الْحَسَدِ
مَا أَعْدَلَهُ بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ}.

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْحَاسِدِينَ فَإِنَّهُمْ * قَدْ اسْتَوْجَبُوا مِنَّا عَلَى فِعْلِهِمْ شُكْرًا
أَذَاعُوا لَنَا ذَمًّا فَأَفْشَوْا مَكَارِمًا *** وَقَدْ قَصَدُوا ذَمًّا فَصَارَ لَنَا فُخْرًا
هَكَذَا يَصْنَعُ الْحَسَدُ بِأَصْحَابِهِ.

وَهَكَذَا الْحُسُودُ الْحُقُودُ، فَإِنَّ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ تَعُودُ، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ
السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ..

فَقَاتَلَ اللَّهُ الْحَسَدَ، أَوَّلَ مَا يَفْتِكُ يَفْتِكُ بِصَاحِبِهِ...

يَابْنِي: إِنِّي أَنْهَى نَفْسِي وَنَفْسُكَ عَنِ الْحَسَدِ رَحْمَةً بِي وَبِكَ
قَبْلَ أَنْ نَرْحَمَ الْآخَرِينَ، لِأَنَّنَا بِحَسَدِنَا لَهُمْ نُطْعِمُ الْهَمَّ الْحُومَنَا
وَنَسْقِي الْغَمَّ دِمَاءَنَا، وَنُوزِّعُ نَوْمَ جُفُونِنَا عَلَى الْآخَرِينَ.

إِنَّ الْحَاسِدَ يُشْعِلُ فِرْنَا سَاحِنًا ثُمَّ يَقْتَحِمُ فِيهِ.

التَّغْيِصُ وَالْكَدَرُ وَالْهَمُّ الْحَاضِرُ، أَمْرَاضٌ يُوَلِّدُهَا الْحَسَدُ لِتَقْضِي
عَلَى الرَّاحَةِ وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْجَمِيلَةِ.

بَلِيَّةُ الْحَاسِدِ أَنَّهُ خَاصَمَ الْقَضَاءِ، وَاتَّهَمَ الْبَارِي فِي الْعَدْلِ، وَأَسَاءَ
الْأَدَبَ وَخَالَفَ الشَّرْعَ....

الغيبه

يَابْنِي: إِيَّاكَ وَالْغَيْبَةَ، فَإِنَّهَا إِدَامُ كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، وَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنِ الْغَيْبَةِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَشَبَّهَ صَاحِبَهُ بِأَكِلِ لَحْمِ الْمَيِّتَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

يَابْنِي: لَقَدْ صَوَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ الَّذِي يَغْتَابُ إِخْوَانَهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَبْشَعِ صُورَةٍ، فَمَثَّلَهُ بِمَنْ يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا، وَيَكْفِي قُبْحًا أَنْ يَجْلِسَ الْإِنْسَانُ عَلَى جِيْفَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَقْطَعُ مِنْ لَحْمِهِ وَيَأْكُلُ..

فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الزَّوَاجِرِ عَنِ الْغَيْبَةِ..
وَاعْلَمْ: أَنَّ الْغَيْبَةَ هِيَ كَمَا فَسَّرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟}

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: {ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ}.

قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟

قَالَ: {إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهْتَهُ}.
فَبَيَّنَ لِأُمَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْغَيْبَةَ أَنْ تَعِيبَ أَخَاكَ بِمَا
فِيهِ، أَمَّا إِذَا اغْتَبْتَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَإِنَّ ذَلِكَ جَامِعٌ لِمَفْسَدَتَيْنِ الْبُهْتَانُ
وَالْغَيْبَةُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: «الْغَيْبَةُ ثَلَاثَةٌ أَوْجِهٍ كُلُّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى:
الْغَيْبَةُ، وَالْإِفْكَ، وَالْبُهْتَانُ.

فَأَمَّا الْغَيْبَةُ: فَهُوَ أَنْ تَقُولَ فِي أَخِيكَ مَا هُوَ فِيهِ.

وَأَمَّا الْإِفْكَ: فَإِنْ تَقُولَ فِيهِ مَا بَلَغَكَ عَنْهُ.

وَأَمَّا الْبُهْتَانُ: فَإِنْ تَقُولَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ».....

وَاعْلَمْ: أَنَّ الْغَيْبَةَ مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ، وَأَكْثَرِهَا انْتِشَارًا فِي النَّاسِ، حَتَّى
لَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ عَامٌّ
سَوَاءً كَانَ فِي بَدَنِهِ، أَوْ دِينِهِ، أَوْ دُنْيَاهُ، أَوْ نَفْسِهِ.

يَا بُنَيَّ الْحَبِيبُ: وَيَا فَلَذَةَ كَبِدِي:

هَلْ تَعْلَمُ؟

مَا الَّذِي شَتَّتَنَا؟

وَمَا الَّذِي مَزَّقَ كَيَانَنَا؟

وَمَا الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا؟

وَمَا الَّذِي دَمَّرَ مُجْتَمَعَاتِنَا؟

وَمَا الَّذِي أَضَرَّنَا وَهَزَّ وُجُودَنَا إِلَّا هَذَا اللِّسَانُ؟

إِلَّا هَذِهِ الْمُضْغَةُ الَّتِي لَا تَرَعَى فِي مُسْلِمٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً؟.

بُنَيَّ الْحَبِيبُ: كَمْ أَفْسَدَتِ الْغَيْبَةُ مِنْ أَعْمَالِ الصَّالِحِينَ؟

وَكَمْ أَحْبَطَتْ مِنْ أَجُورِ الْعَامِلِينَ؟

وَكَمْ جَلَبَتْ مِنْ سَخَطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟

فَالْغَيْبَةُ عَادَةٌ مَرْدُودَةٌ، وَالْغَيْبَةُ فَكِيهَةٌ الْأَرْذَلِينَ، وَسِلَاحُ الْعَاجِزِينَ..

وَالْغَيْبَةُ مَرَضٌ خَطِيرٌ، وَشَرُّ مُسْتَطِيرٍ يَفْتِكُ بِالْأُمَّةِ، وَيُبْتُ الْعَدَاوَةَ

وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ أَفْرَادِهَا، وَهَذَا الْمَرَضُ لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا

مَنْ رَحِمَ اللَّهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنْ أَكْلِ الرَّبَا.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ هَشِيمٍ فِي شُعَبِ

الْإِيمَانِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلَّمَ: قَالَ: {الرَّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ

الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرَّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ}.

وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّازُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: {إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرَّبَا الاسْتِطَالَةَ فِي عَرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ}.

وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: {أَخْبِرُونِي مَا أَرْبَى الرَّبَا؟}».

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: {فَإِنَّ أَرْبَى الرَّبَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اسْتِحْلَالُ عَرْضِ الْمُسْلِمِ}.

ثُمَّ قرأ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّنا.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ فِي الْأَمَالِي، وَالْإِمَامُ الْمُؤَفَّقُ بِاللَّهِ فِي الْاِعْتِبَارِ وَسَلْوَةِ الْعَارِفِينَ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: {الْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزَّنا}..

قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ الرَّجُلَ يَزْنِي ثُمَّ يَتُوبُ فَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ}.

قَالَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {الْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا}، هُوَ مَا فَسَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الزِّنَا يُلْزَمُ الْمُكَلَّفَ عِنْدَهُ أَمْرٌ وَاحِدٌ وَهُوَ التَّوْبَةُ، وَالْغَيْبَةُ يُلْزَمُ عِنْدَهَا أَمْرَانِ: التَّوْبَةُ وَالْإِعْتِذَارُ إِذَا بَلَغَتْ صَاحِبَهَا.

يَا بُنَيَّ الْحَبِيبُ: وَيَا فَلَذَةَ كِبْدِي:

وَهَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْغَيْبَةَ: خَسَارَةٌ كَبِيرَةٌ فِي حَسَنَاتِكَ..؟

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْمُنْذِرِيُّ: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ الرَّجُلَ لِيُؤْتَى كِتَابُهُ مَنْشُورًا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ فَأَيْنَ حَسَنَاتُ كَذَا وَكَذَا عَمِلْتُهَا لَيْسَتْ فِي صَحِيفَتِي..؟}

فَيَقُولُ لَهُ: مُحِيتْ بِاِغْتِيَابِكَ النَّاسَ}..

وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْأَصْبَهَانِيُّ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {الْغِيْبَةُ وَالنَّمِيْمَةُ يَحْتَنَانِ الْإِيْمَانَ كَمَا يَعْضُدُّ
الرَّاعِي الشَّجَرَةَ}. .

وَقَالَ الْحَسَنُ: «وَاللَّهِ لِلْغِيْبَةِ أَسْرَعُ فَسَادًا فِي دِينِ الْمَرْءِ مِنَ الْآكِلَةِ
فِي الْجَسَدِ»....

وَأَعْلَمُ يَا بَنِي: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ تَجِدُهُ يُتَعَبُ نَفْسَهُ، وَيُجْهِدُهَا
وَيُسَهِّرُ لَيْلَهُ، وَيُفْنِي عُمُرَهُ، فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَيَشْتَغِلُ بِالطَّاعَاتِ
وَالْعِبَادَاتِ، مِنْ صَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَحَجٍّ، وَجِهَادٍ، وَصَدَقَةٍ
وَقِرَاءَةٍ، وَتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَيَفْعَلُ
ذَلِكَ الْمُسْكِينُ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّهُ قَدْ أَحْبَطَ
حَسَنَاتِهِ الصَّالِحَةَ بِسَبَبِ انْتِهَاكِهِ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَهُوَ لَجْهَلِهِ
لَا يَدْرِي أَنَّهُ قَدْ تَعَرَّضَ لِمَقْتِ اللَّهِ تَعَالَى وَغَضَبِهِ.

وَهُوَ لَجْهَلِهِ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ تَعَرَّضَ بِسَبَبِ الْغِيْبَةِ لِسَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى
وَعُقُوبَتِهِ.

لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الْغِيْبَةَ تَلْتَهُمْ كُلَّ مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ مِنْ عِبَادَاتٍ
وَحَسَنَاتٍ، وَتَعَرَّضُ صَاحِبُهَا لِلْإِفْلَاسِ، ثُمَّ يُقَذَفُ بِهِ فِي النَّارِ
وَبُئْسَ الْقَرَارُ.

فَهَذَا الْمُسْكِينُ لَا يَدْرِي أَنَّهُ قَدْ يَتَعَبُ عَلَى تَحْصِيلِ الْحَسَنَاتِ، ثُمَّ يُفَرِّقُهَا عَلَى مَنْ اغْتَابَهُمْ بَدَلًا عَمَّا اسْتَبَاحَهُ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي مُفْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَذِهِ هِيَ الْخُسَارَةُ، هَذَا الَّذِي خَسِرَ نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذِهِ هِيَ الْخُسَارَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ، وَخَسِرَتْ تِجَارَتُهُ، وَطَالَتْ نَدَامَتُهُ، فَيَا لَهَا مِنْ خُسَارَةٍ لَا تُشَبِّهُهَا خُسَارَةٌ، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْمَصَائِبِ، فَمَا أَشَدَّهَا مِنْ مُصِيبَةٍ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، وَحَبِطَ عَمَلُهُ وَكَانَ مِنَ الْمُفْلِسِينَ.

فَيَا حَسْرَةَ الْمُغْتَابِ، وَيَا خِيْبَةَ آمَالِهِ، وَيَا حَسْرَةَ قَلْبِهِ. فَأَيُّ حَسْرَةٍ أَشَدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُضَيِّعَ أَجْرَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، وَزَكَاتِهِ، وَحَجَّهِ، وَصَدَقَتِهِ، وَنَفَقَتِهِ، وَسَائِرِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ وَيُبْطِلَ حَسَنَاتَهُ.

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: { أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ }؟

قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ

هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ {...

وَالْغِيْبَةُ هِيَ الصَّاعِقَةُ الْمُهْلِكَةُ لِلطَّاعَاتِ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «مَثَلُ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ كَمَثَلِ مَنْ نَصَبَ مَنْجَنِيْقًا يَرْمِي حَسَنَاتِهِ يَمِيْنًا وَشِمَالًا، شَرْقًا وَغَرْبًا يَغْتَابُ وَاحِدًا خُرَاسَانِيًّا وَآخَرَ حِجَازِيًّا وَآخَرَ تُرْكِيًّا فَيُفَرِّقُ حَسَنَاتِهِ وَيَقُوْمُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ»...

فَاَحْذَرِيَا بُنَيَّ: أَنْ تَكُونَ الْغِيْبَةُ سَبِيْلًا لِفَنَاءِ حَسَنَاتِكَ، وَزِيَادَةِ سَيِّئَاتِكَ، فَتَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ...

فَلِلَّهِ دُرٌّ أَقْوَامٍ حَرَسُوا بِالتَّقَى أَعْمَالَهُمْ، وَصَانُوْهَا عَنِ الضِّيَاعِ وَحَفِظُوا أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ الْغِيْبَةِ، وَالنَّمِيْمَةِ، وَالْكَذِبِ، وَخَوَاطِرُهُمْ عَنِ الرِّيَاءِ، وَبَوَاطِنُهُمْ عَنِ الْحَرَامِ، وَأَلْسِنَتَهُمْ عَنِ الْهَذْيَانِ بِأَنْوَاعِ الْفُضُولِ، وَالْخَوْضِ فِيْمَا لَا يَغْنِيهِمْ، وَمَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ بِهِمْ....

قِصَّةُ مَا عِزَّ بْنِ مَالِكٍ

وَإِلَيْكُمْ هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ:

لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُكُمْ بِهَا...

فِيَا مَنْ أَرَادَ الْخَيْرَ لِنَفْسِهِ اسْتَمِعْ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ وَانْتَفِعْ بِهَا..

رُويَ أَنَّ مَا عِزَّ بْنَ مَالِكٍ أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ.

فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي زَنَيْتُ فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ.

فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى ذَكَرَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ:

فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّكَ قَدْ قُلْتَهَا أَرْبَعَ

مَرَّاتٍ، فَبِمَنْ؟}

قَالَ: بِفُلَانَةٍ.

قَالَ: {هَلْ ضَا جَعْتَهَا؟}

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: {هَلْ بَا شَرْتَهَا؟}

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: {هَلْ جَا مَعْتَهَا؟}

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.

فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُولُ: أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ انْظُرْ إِلَى هَذَا الَّذِي سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَهَتَكَ نَفْسَهُ حَتَّى رُجِمَ كَمَا يُرْجَمُ الْكَلْبُ.

فَسَكَتَ عَنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: حَتَّى أَجَازَا بِحَيْفَةِ حِمَارٍ شَاغِرٍ بِرَجْلِهِ، فَقَالَ لَهُمَا: {انْزِلَا فَأَصِيْبَا مِنْ هَذَا الْحِمَارِ}.

فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا كُلُّ الْمَيِّتَةِ؟

فَقَالَ: {لِمَا أَصَبْتُمَا مِنْ صَاحِبِكُمَا آتِئاً أَعْظَمُ مِنْ إِصَابَتِكُمَا مِنْ هَذِهِ الْجَيْفَةِ، إِنَّهُ الْآنَ لَيَنْغَمِسُ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ}.

فَالْغِيْبَةُ عَادَةٌ مَرْدُودَةٌ، كَثِيرًا مَا تَقْطَعُ الصَّلَاةَ بَيْنَ النَّاسِ، وَتُثِيرُ الْأَحْقَادَ، وَتُثَبِّتُ الشَّمْلَ، ثُمَّ هِيَ مَعَ ذَلِكَ مَضِيْعَةٌ لِلْوَقْتِ بِالِاشْتِغَالِ بِمَا يَضُرُّ الْإِنْسَانَ، وَلَا يَنْفَعُهُ.

فَهَلَّا كَفَفْنَا أَلْسِنَتَنَا عَنْ نَهْشِ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَكْلِ لُحُومِهِمْ؟

هَلَّا كَفَفْنَا أَلْسِنَتَنَا عَنْ تَمْزِيقِ أَعْرَاضِ النَّاسِ؟

فَكَمْ أَفْسَدَتِ الْغِيْبَةُ مِنْ أَعْمَالِ الصَّالِحِينَ؟

وَكَمْ أَحْبَطْتُ مِنْ أَجُورِ الْعَامِلِينَ؟

وَكَمْ جَلَبْتُ مِنْ سَخَطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟

فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَذِهِ الْخَصْلَةِ الذَّمِيمَةِ، وَالسَّيِّئَةِ
الْقَبِيحَةِ الْمُنْكَرَةِ..

شِعْرًا:

يُشَارِكُكَ الْمُعْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ
فَيَا أَيُّهَا الْمُعْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِيَ
فَعَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَبِيتُ عَدُوَّهُ
وَيَحْمِلُ وَزْرًا عَنْكَ ظَنٌّ بِحَمَلِهِ
فَلَا تَعْجَبُوا مَنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاخِطًا
وَيَحْمِلُ مَنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
فَمَنْ يَحْتَمِلُ يَسْتَوْجِبُ الْأَجْرَ وَالثَنَّا
وَمَنْ يَنْتَصِفُ يَنْفَخُ ضِرَامًا قَدْ انْطَفَى
فَلَا صَالِحٌ يُجْزَى بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
يُظَلُّ أَخُو الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
وَلَا يَسْتَحِي مِمَّنْ يَرَاهُ وَيَدَّعِي
وَقَدْ أَكَلَا مِنْ لَحْمِ مَيِّتٍ كِلَاهُمَا
تَسَاوَيْتُمَا أَكْلًا فَأَشْقَاكُمَا بِهِ
وَمَا لِكَلَامٍ مَرَّ كَالرَّيْحِ مَوْقِعٌ

وَيُعْطِيكَ أَجْرَى صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
ثَوَابُ صَلَاةٍ أَوْ زَكَاةٍ فَهَاتِهِ
يُعَامِلُ عَنْهُ اللَّهُ فِي غَفَلَاتِهِ
عَنِ النَّجْبِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ
بِإِمْعَانِهِ فِي نَفْعِ بَعْضِ عُدَاتِهِ
عَلَى رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ
وَيَهْلِكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ
وَيُحْمَدُ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ
وَيَجْمَعُ أَسْبَابَ الْمَسَاوِي لِذَاتِهِ
وَلَا حَسَنٌ يُثْنَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ
كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَالُ مَمَاتِهِ
بِأَنَّ صِفَاتِ الْكَلْبِ دُونَ صِفَاتِهِ
وَلَكِنْ دَعَا الْكَلْبَ اضْطِرَّارُ اقْتِيَاتِهِ
غَدًا مَنْ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ تَبْعَاتِهِ
فَيَبْقَى عَلَى الْإِنْسَانِ بَعْضُ سِمَاتِهِ

النَّمِيمَةُ

وَايَّاكَ يَا بُنَيَّ: وَالنَّمِيمَةَ، فَإِنَّهَا أَحَدُ مِنَ السَّيْفِ، وَإِنَّهَا تَزْرَعُ الضَّغِينَةَ، وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ.

يَا بُنَيَّ: إِيَّاكَ وَالنَّمَائِمَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الضَّغَائِنَ، وَتُنْبِتُ الشَّحَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ.

قَالَ فِي النَّهَايَةِ: **النَّمِيمَةُ**: نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ وَالشَّرِّ، وَقَدْ نَمَّ الْحَدِيثَ يَنْمُهُ نَمًّا فَهُوَ نَمَّامٌ، وَالْإِسْمُ النَّمِيمَةُ.

نَعَمْ يَا بُنَيَّ: إِنَّهَا النَّمِيمَةُ هِيَ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُأَجِّجُ وَتُلْهَبُ نَارَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ، وَالْأَهْلِ، وَالْأَقَارِبِ، وَالْأَصْحَابِ وَالْأَصْدِقَاءِ، وَتُهْدِمُ الْبُيُوتَ، وَتُخَرِّبُ الْأَوْطَانَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

تِلْكَ الْكَلِمَاتُ: الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْجُمَاعَاتِ.

تِلْكَ الْكَلِمَاتُ: الَّتِي تُورِثُ الْبَغْضَاءَ، وَالْعَدَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ وَتَقْطَعُ الْمَوَدَّةَ.

تِلْكَ الْكَلِمَاتُ: الَّتِي تَصْطَلِي بِهَا الْقُلُوبَ بِنَارِ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ.

تِلْكَ الْكَلِمَاتُ: الَّتِي تُورِثُ بَيْنَ النَّاسِ الْمَفَاسِدَ، حَتَّى تُسْفِكَ الدَّمَاءَ، وَتُنْتَهَكَ الْأَعْرَاضَ، وَتُسْتَبَاحَ الْمُحَرَّمَاتِ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ النَّمِيمَةَ خُلِقَ ذَمِيمٌ، تَقْطَعُ أَوَاصِرَ الْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَقْطَعُ وَشَائِجَ الصَّلَةِ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْجِيرَانِ وَهِيَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَهِيَ سَبَبٌ لِلْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، وَمِنْ أَسْبَابِ حِرْمَانِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ النَّمِيمَةَ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَمُحَرَّمَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.

أَمَّا الْكِتَابُ: فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنَمِيمٍ﴾، وَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ، مِنْ تَعْظِيمِ قُبْحِ النَّمِيمَةِ..

وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، قَالَ: «هُوَ الْمَشَاءُ لِلنَّمِيمَةِ، وَالْمُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَمْعِ، الْمُغْرِي بَيْنَ الْإِخْوَانِ».

وَأَمَّا السُّنَّةُ:

فَمِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ: الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ حُذَيْفَةَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ}.

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ، وَأَحْمَدُ، وَالبُخَارِيُّ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ}. وَالْقَتَاتُ النَّمَّامُ.

فَالنَّمِيمَةُ: سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ حِرْمَانِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ..

وَمِنْهَا: أَنَّ النَّمَّامَ مِنْ شَرَارِ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا...
فَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ}؟
قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: {شِرَارِكُمْ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ}.

وَمِنْهَا: أَنَّ النَّمَّامَ مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

كَمَا رُويَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ}.

وَمِنْهَا: أَنَّ النَّمِيمَةَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، كَمَا رُويَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ: الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ، زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: {عَذَابُ الْقَبْرِ مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنَ الْبُولِ، وَالذَّنِّ، وَالنَّمِيمَةِ}.

وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ، وَغَيْرُهُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ حَوَائِطِ الْغَابَةِ فَإِذَا بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ صَاحِبِي هَذَيْنِ الْقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي غَيْرِ كَبِيرٍ}.

أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ.

وَأَمَّا الْآخَرُ: فَكَانَ لَا يَسْتَنْزُهُ مِنَ الْبَوْلِ، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطِبَةً فَكَسَرَهَا، فَجَعَلَ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نِصْفًا، وَقَالَ: لَعَلَّهُ يُرْفَقُهُ عَنْهُمَا مَا دَامَتَا رَطْبَتَيْنِ { .

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ...

وَأَمَّا الإجماعُ: عَلَى تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ، فَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَلَى أَنَّ النَّمِيمَةَ مُحَرَّمَةٌ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِجِلِّهَا أَوْ جَوَازِهَا. فَقَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ، وَأَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.....



الصدق

وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِالصِّدْقِ، فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ،
وَاتَّخِذْهُ ذُخْرًا لِيَوْمٍ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ.

وَلَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالصِّدْقِ، وَأَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصَّادِقِينَ فِي مَوَاضِعَ
كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

فَالصِّدْقُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ أَسُّ الْفَضَائِلِ، كَمَا أَنَّ الْكَذِبَ وَالنِّفَاقَ
أَسُّ الرِّذَائِلِ.

وَالصِّدْقُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ، وَحَلِيَّةُ اللِّسَانِ، وَزِينُ الْإِنْسَانِ، وَتُرْجُمَانُ
الشَّرَفِ، وَعُنْوَانُ الْفَضْلِ، وَالسَّعَادَةِ، وَعُنْوَانُ الْكَرَمِ، وَكَنْزُ السُّؤْدُدِ
وَكَبْتُ الْحَسَدِ.

وَبِالصِّدْقِ: يُوقَّرُ الصَّغِيرُ، وَبِالْكَذِبِ يُحَقَّرُ الْكَبِيرُ.
وَالصِّدْقُ: دِعَامَةُ الْفَضَائِلِ، وَعُنْوَانُ الرِّقِّيِّ، وَدَلِيلُ الْكَمَالِ، وَمَظْهَرُ
مِنْ مَظَاهِرِ السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ النَّظِيفِ...

فَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، تَنْجُو مَعَ النَّاجِينَ غَدًا، فَإِنَّ
الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رَيْبَةٌ.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَمَالِي: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: {دَعُ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ، فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِييَةٌ}. {

قَوْلُهُ: {مَا يَرِيئُكَ}، هُوَ بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ، اتْرُكْ مَا تَشْكُ فِيهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، وَاعْدِلْ إِلَى مَا لَا تَشْكُ فِيهِ مِنَ الْحَلَالِ الْبَيِّنِ، لِأَنَّ مَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ... قَوْلُهُ: {فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ}، أَيُّ: إِنَّ الصَّدَقَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَيَسْكُنُ.

وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّ الْكَذِبَ رِييَةٌ}، بِكَسْرِ الرَّاءِ، وَحَقِيقَتُهَا قَلَقُ النَّفْسِ وَاضْطِرَابُهَا، فَإِنَّ كَوْنَ الْأَمْرِ مَشْكُوكًا فِيهِ مِمَّا يَثْقُلُ لَهُ النَّفْسُ وَكَوْنُهُ صَحِيحًا صَادِقًا مِمَّا تَطْمَئِنُّ لَهُ.

وَالصَّدَقُ: فَضِيلَةٌ، وَطُمَأْنِينَةٌ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَلَيْكَ بِالصَّدَقِ فِي كُلِّ أَحْوَالِكَ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَمَالِي: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: {عَلَيْكُمْ

بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ
وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا}.

وَالْبِرُّ: بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ، أَصْلُهُ التَّوَسُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَهُوَ اسْمٌ
جَامِعٌ لِلْخَيْرَاتِ كُلِّهَا، وَيُطْلَقُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ تَحَرَّى الصَّدَقَ فِي أَقْوَالِهِ صَارَ لَهُ
سَجِيَّةٌ.

فَالصَّدَقُ: مُسْتَلَزِمٌ لِلْبِرِّ، كَمَا أَنَّ الْكَذِبَ مُسْتَلَزِمٌ لِلْفُجُورِ.

وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ شَأْنِ الصَّدَقِ، وَأَنَّهُ يَنْتَهِي بِصَاحِبِهِ إِلَى
الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مَا لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الصَّدُوقَ مَقْبُولٌ
الْحَدِيثِ عِنْدَ النَّاسِ، مَقْبُولُ الشَّهَادَةِ عِنْدَ الْحُكَّامِ، مَحْبُوبٌ مَرْغُوبٌ
فِي أَحَادِيثِهِ...

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: {تَحَرَّوْا الصَّدَقَ
وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَتَجَنَّبُوا الْكَذِبَ وَإِنْ
رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ}.

وَاعْلَمُوا يَا بُنَيَّ: أَنَّ الصَّدَقَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الصَّدَقَ مِنَ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ الَّتِي تُوصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ..

فَالصِّدْقُ: بَرِيدُ الْإِيمَانِ وَدَلِيلُهُ، وَمَرْكَبُهُ وَسَائِقُهُ، وَقَائِدُهُ وَحَلِيَّتُهُ
وَلِبَاسُهُ، بَلْ هُوَ لُبُّهُ وَرُوحُهُ.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ
رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، مَا عَمَلُ الْجَنَّةِ؟

قَالَ: {الصِّدْقُ، وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرًّا، وَإِذَا بَرَّ آمَنَ، وَإِذَا آمَنَ
دَخَلَ الْجَنَّةَ}.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

عَوْدٌ لِسَانَكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ *** إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ يَعْتَادُ
مُؤَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ *** فِي الصِّدْقِ وَالْكَذْبِ فَاَنْظُرْ كَيْفَ يَرْتَادُ
فَالصِّدْقُ فِي الْوَعْدِ، وَفِي الْعَهْدِ، مِنْ فَضَائِلِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَتَحَلَّى
بِهَا الْمُؤْمِنُونَ.

وَقَالَ: الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وَأَوْصِيكُمْ يَا بَنِيَّ: بِالصِّدْقِ فِي الْوَعْدِ وَالْأَخْبَارِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ عِنْدَ
اللَّهِ مِنْ كَرَمِ صَالِحِ الْأَبْرَارِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالصِّدْقِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ
مِنَ الْقُرْآنِ، وَوَصَفَ أَهْلَ الصَّلَاحِ وَالْإِيمَانِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ

الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴿١٠﴾.

فَجَعَلَ سُبْحَانَهُ الصَّدَقَ صِفَةً لِصَالِحِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَدَلِيلًا عَلَى
الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ مِنْ أَشْرَفِ الصِّفَاتِ، وَجَعَلَ الصَّدَقَ لِلْإِسْلَامِ
وَالْإِيمَانِ عَلَامَةً ثَانِيَةً مِنَ الْعَلَامَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: وَهُوَ يَصِفُ
حُدُودَ صِفَاتِ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.

فَجَعَلَ الصَّدَقَ سُبْحَانَهُ وَالصَّبْرَ وَالْقُنُوتَ، وَهُوَ الدُّعَاءُ مِنَ الدَّاعِي
قَائِمًا لِلَّهِ، وَالْإِنْفَاقَ فِيمَا رُزِقَ، وَتَرَكَ الْبُخْلَ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ
الْأَبْرَارِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ الصَّدَقَ بِالرِّضَا مِنْهُ، وَالْوَصِيَّةَ مِنْهُ بِهِ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ
تَكَرُّارَ بَعْدَ تَكَرُّارٍ، وَذَكَرَ صَدَقَ الْوَعْدِ فَرِيضَةً، وَجَعَلَهُ مِنْ فَاضِلِ
الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، الَّتِي مَدَحَ بِهَا إِسْمَاعِيلَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾، فَكَانَ صَدَقَ الْوَعْدِ مِمَّا رَضِيَ بِهِ عَنْ

إِسْمَاعِيلَ نَبِيَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجَعَلَهُ لَهُ مَذْحًا شَرِيفًا، سَنِيًّا».
 أَنْتَهَى. كَلَامُ الْإِمَامِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ...

وَفِي أَمَالِي الْإِمَامِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {تَقَبَّلُوا لِي بِسِتٍّ أَتَقَبَّلُ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ}.

قَالُوا: وَمَا هِيَ؟

قَالَ: {إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يَخْلِفْ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ فَلَا يَخُنْ، غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ}.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَحْكَامِ:

«هَذِهِ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي ذَلِكَ مَا بَلَّغْنَا عَنْ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {اضْمَنُوا لِي سِتًّا أَضْمَنَ لَكُمْ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةُ:

أَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمِنْتُمْ، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ}.

وَتَصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾.

وَقَالَ: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.
وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي أَدَاءِ الْأَمَانَةِ: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى
أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا
يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

وَقَالَ فِي الصَّدَقِ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾، ثُمَّ قَالَ
فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾... انْتَهَى
كَلَامُ الْإِمَامِ الْهَادِي...

وَقِيلَ لِلْقَمَّانِ الْحَكِيمِ: مَا بَلَغَ بِكَ مَا نَرَى؟ يُرِيدُونَ الْفَضْلَ.
فَقَالَ لُقَمَّانُ: «صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكُ مَا لَا
يَعْنِينِي».

وَعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَامَلَ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ بِالصَّدَقِ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحِكْمَةَ»...
وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: «لِيَكُنْ مَرْجِعُكَ إِلَى الْحَقِّ، وَمَنْزَعُكَ إِلَى
الصَّدَقِ، فَالْحَقُّ أَقْوَى مُعِينٍ، وَالصَّدَقُ أَفْضَلُ قَرِينٍ».

فَالصِّدْقُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ، كَمَا أَنَّ الْكَذِبَ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ.
 وَلِهَذَا كَانَ أَصْلُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ كُلِّهَا الصِّدْقُ، وَأُضْدَادُهَا مِنَ
 الرِّيَاءِ، وَالْعُجْبِ، وَالْكِبْرِ، وَالْفَخْرِ، وَالْخِيَلَاءِ، وَالْبَطَرِ، وَالْأَشْرِ
 وَالْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْمَهَانَةِ، وَغَيْرِهَا أَصْلُهَا الْكَذِبُ، فَكُلُّ
 عَمَلٍ صَالِحٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ الصِّدْقُ، وَكُلُّ عَمَلٍ فَاسِدٍ
 ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ الْكَذِبُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَاقِبُ الْكَذَّابَ بِأَنْ
 يُقْعِدَهُ وَيُثَبِّطَهُ عَنِ مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ، وَيُثَبِّبُ الصَّادِقَ بِأَنْ يُوفِّقَهُ
 لِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ.

فَمَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الصِّدْقِ، وَلَا مَفَاسِدُهُمَا
 وَمَضَارُّهُمَا بِمِثْلِ الْكَذِبِ.....

الكذب:

يَا بَنِيَّ: إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا، وَيَسْتَقِرَّ الْفُجُورُ فِي قَلْبِهِ، فَلَا يَكُنْ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعُ إِبْرَةٍ لَيْسَتْ قَرَرٌ فِيهَا.

وَأَعْلَمْ يَا بَنِيَّ: أَنَّ الْكَذِبَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ، وَهُوَ مِنْ قَبَائِحِ الْأُمُورِ وَرَذَائِلِهَا، وَفَوَاحِشِ الْعُيُوبِ، وَهُوَ جَمَاعُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَصْلُ كُلِّ ذَمٍّ، لِسُوءِ عَوَاقِبِهِ، وَخُبْثِ نَتَائِجِهِ، لِأَنَّهُ يُنْتِجُ النَّمِيمَةَ، وَالنَّمِيمَةُ تُنْتِجُ الْبَغْضَاءَ، وَالْبَغْضَاءُ تُؤَوِّلُ إِلَى الْعَدَاوَةِ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلَا رَاحَةٌ.

وَلِذَلِكَ قِيلَ: «مَنْ قَلَّ صِدْقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ».

وَالْكَذِبُ رَذِيلَةٌ مُحْضَةٌ، مِنْ أَرْدَلِ الرَّذَائِلِ، يُنبِئُ عَنْ تَغْلُغْلِ الْفَسَادِ فِي نَفْسٍ صَاحِبِهَا، وَعَنْ سُلُوكِ يُنْشِئُ الشَّرَّ إِنْشَاءً.

فَالْكَذِبُ يَتَصَدَّعُ بِهِ بُنْيَانُ الْمَجْتَمَعِ، وَبِهِ يَحْتَلُّ سَيْرُ الْأُمُورِ وَيُسْقِطُ صَاحِبَهُ مِنَ الْعُيُونِ، وَلَا يُوثَقُ فِي قَوْلِهِ، وَلَا يُوثَقُ بِهِ فِي عَمَلٍ، وَلَا يَرْغَبُ لَهُ بِمَجْلِسٍ، وَأَحَادِيثُهُ عِنْدَ النَّاسِ مَتْرُوكَةٌ، وَشَهَادَتُهُ مَرْدُودَةٌ...

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:
 { إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ عَنْهُ الْمَلَكُ مِيلًا مِنْ نَتْنٍ مَا جَاءَ بِهِ } .
 وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى قُبْحِ الْكَذِبِ، وَأَنَّ الْكَذِبَ يُؤْذِي الْمَلَائِكَةَ
 حَتَّى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَبَاعَدُ عَنْهُ مِنْ نَتْنٍ رَائِحَةِ الْكَذِبِ الْكَرِيهَةِ..
 وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
 { يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خُلَّةٍ غَيْرِ الْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ } .
وَاعْلَمُ: يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ، وَأَنَّ
الْكَذِبَ نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ: الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«فَمِمَّا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ وَزَجَرَ: الْكَذِبَ فِي الْقَوْلِ وَالشَّهَادَةِ وَالْخَبَرِ
 فَلَا تَقُولُ يَا بُنَيَّ: زُورًا، وَلَا كَذِبًا، وَلَا تُخْبِرُ خَبْرًا بَاطِلًا، فَإِنَّ اللَّهَ
 يَمُقِّتُ الْبَاطِلَ، وَالْكَذِبَ وَقَوْلَهُ، وَلَا يُحِبُّ وَلَا يَهْدِي أَهْلَهُ، يَقُولُ
 اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَذْكُرُ مَا يَحِلُّ بِمَنْ كَذَبَ مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ:
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ:
 ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْكَاذِبُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْكَذِبِ وَشَهَادَةِ الزُّورِ
 وَهُوَ يَصِفُ عِبَادَهُ النَّاجِينَ، وَيُخْبِرُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْكَذِبِ

أَحَدُ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ الَّتِي يُعَذَّبُ عَلَيْهَا الْمُعَذَّبِينَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، وَلَكَفَى بِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، نَهْيًا عَنِ الْكَذِبِ لِمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ مِنْ أُولِي الْأَلْبَابِ، فَلَوْ لَمْ يُنْزَلِ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ نَهْيًا لَكَانَ الْكَذِبُ مُنْكَرًا، قَوْلًا كَانَ الْكَذِبُ أَوْ شَهَادَةً أَوْ خَبْرًا وَلَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتْرَكَهُ مَنْ كَانَ ذَا نَسَبٍ وَحَسَبٍ حُرًّا. انْتَهَى كَلَامُ الْإِمَامِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ.....

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: {وَأَيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا}.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ حَتْ عَلَى تَحَرِّي الصَّدَقِ، وَالِاعْتِنَاءِ بِهِ، وَعَلَى التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ، وَالتَّسَاهُلِ فِيهِ، فَإِنَّهُ إِذَا تَسَاهَلَ فِيهِ كَثُرَ مِنْهُ فَيُعْرِفُ بِهِ...

وَرُوي: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَمَلُ الْجَنَّةِ؟

قَالَ: {الصَّدْقُ، وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرًّا، وَإِذَا بَرَّ آمَنَ، وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ}.

وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَمَلُ النَّارِ؟

قَالَ: {الْكُذْبُ إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ فَجَرَ، وَإِذَا فَجَرَ كَفَرَ، وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ النَّارَ}.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ.

وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ.

وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ}.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَالَ: {ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ، وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ:

مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ.

وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ.

وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ}.

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: «مَنْ كَذَبَ ذَهَبَ مَاءٌ وَجْهَهُ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ
كَثُرَ غَمُّهُ، وَنَقْلُ الصُّخُورِ مِنْ مَوَاضِعِهَا أَيْسَرُ مِنْ إِفْهَامِ مَنْ لَا
يَفْهَمُ»..

وَأَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ وَلَدَهُ: فَقَالَ: «إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يُزْرِئُ
بِقَائِلِهِ وَإِنْ كَانَ شَرِيفاً فِي أَصْلِهِ، وَيُذِلُّهُ وَإِنْ كَانَ شَرِيفاً عَزِيزاً فِي
أَهْلِهِ»...

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: «الْكَذَّابُ لَصٌّ، لِأَنَّ اللَّصَّ يَسْرِقُ مَالَكَ
وَالْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَكَ».

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «الْخَرَسُ خَيْرٌ مِنَ الْكَذِبِ، وَصِدْقُ اللِّسَانِ
أَوَّلُ السَّعَادَةِ».

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: «الصَّادِقُ مُصَانٌّ خَلِيلٌ، وَالْكَاذِبُ مُهَانٌ
ذَلِيلٌ».

قِيلَ فِي بَعْضِ الْحِكَمِ:

مَنْ صَدَقَتْ لَهُجَّتُهُ ظَهَرَتْ حُجَّتُهُ.

الصَّدُوقُ بَيْنَ الْمَهَابَةِ وَالْمَحَبَّةِ.

الصَّدْقُ يُنْجِي، وَالْكَذِبُ يُشْجِي.

الصِّدْقُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ الْعَدْلُ، وَالْكَذِبُ مِكيَالُ
الشَّيْطَانِ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ الْجُورُ.

وَمَنْ عَدِمَ فَضِيلَةَ الصِّدْقِ مِنْ مَنْطِقِهِ، فَقَدْ فُجِعَ بِأَكْرَمِ أَخْلَاقِهِ.
وَالصِّدْقُ دَلِيلُ التَّقْوَى، وَجَمَالُ النَّجْوَى، وَكَمَالُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.
فَمَنْ أَرَادَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا، فَعَلَيْهِ بِالصِّدْقِ لَا يَتَجَاوَزُهُ أَبَدًا...



الكِبَرُ:

وَايَاكَ يَا بُنَيَّ: وَالْكِبَرُ فَإِنَّ صَاحِبَهُ فِي مَقْتِ اللَّهِ مُتَقَلِّبٌ، وَإِلَى سَخَطِهِ مُنْقَلَبٌ.

إِنَّ الْكِبَرُ مَرَضٌ خَطِيرٌ، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ يَفْتِكُ بِالْإِنْسَانِ، وَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ كَانَ مُرَاقِبًا لِلَّهِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ..

حَقِيقَةُ الْكِبَرِ:

قَالَ الْإِمَامُ عَزَّ الدِّينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي كَنْزِ الرَّشَادِ.

الْكِبَرُ وَهُوَ: اعْتِقَادُ أَنَّ النَّفْسَ تَسْتَحِقُّ مِنَ التَّعْظِيمِ فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهَا، اعْتِقَادًا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، فَيَخْرُجُ اعْتِقَادُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ لِذَلِكَ فِي حَقِّهِمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِكِبَرٍ.

وَالْكِبَرُ: مِنَ الْقَبَائِحِ الْمُؤَبَّقَةِ، لِمَا فِي الْقُرْآنِ، وَالسُّنَّةِ مِنْ تَقْبِيحِهِ وَالزَّجْرِ عَنْهُ. انْتَهَى...

وَأَعْلَمُ: يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْكِبَرُ يَسْلُبُ الْفَضَائِلَ، وَيُكْسِبُ الرَّذَائِلَ وَأَنَّ الْكِبَرُ يُكْسِبُ الْمَقْتَ، وَيُلْهِى عَنِ التَّأَلُّفِ، وَيُوْغِرُ صُدُورَ الْإِخْوَانِ، وَحَسْبُكَ بِذَلِكَ سُوءًا عَنِ اسْتِقْصَاءِ ذِمِّهِ.

ثُمَّ اعْلَمْ: أَنَّ الْكِبَرَ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُهْلِكَاتِ، وَآفَتُهُ عَظِيمَةٌ وَمَعْصِيَةٌ جَسِيمَةٌ، وَغَائِلَتُهُ هَائِلَةٌ، وَكَيْفَ لَا تَعْظُمُ آفَتُهُ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ }.

وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْكِبَرَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أَيِّ صَاغِرِينَ.

وَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْمُتَكَبِّرِينَ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، أَيُّ: تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِسَبَبِ كَوْنِكُمْ مُسْتَكْبِرِينَ فِي الْأَرْضِ، وَكَوْنِكُمْ فَاسِقِينَ.

وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ كَوْنِ الاسْتِكْبَارِ فِي الْأَرْضِ وَالْفِسْقِ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْهُونِ، وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ - جَاءَ مُوضَّحًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾، أَيُّ: لَيْسَتْ جَهَنَّمَ كَافِيَةً سِجْنًا وَمَوْئِلًا

لِلْمُتَكَبِّرِينَ، فَيَرَوْهَا الْخِزْيَ وَالْهَوَانَ وَالذُّلَّ، بِسَبَبِ تَكَبُّرِهِمْ
وَتَجَبُّرِهِمْ.

وَاسْتِعْلَائِهِمْ عَنِ الانْقِيَادِ لِلْحَقِّ.

مَثْوَى - مَأْوَى وَمَقَامٌ، وَمَسْكَنٌ لِمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾
أَيُّ: مَاكِثِينَ فِيهَا، لَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْهَا، وَلَا زَوَالَ لَكُمْ عَنْهَا
﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، أَيُّ: فَبِئْسَ الْمَصِيرُ، وَبِئْسَ الْمَقِيلُ
لَكُمْ بِسَبَبِ تَكَبُّرِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِبَائِكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، فَبِئْسَ
الْحَالُ، وَبِئْسَ الْمَالُ.

نَعَمْ يَا بُنَيَّ: إِنَّ مِمَّا حَذَّرَ اللَّهُ مِنْهُ: الْكِبَرُ: ذَلِكَ الْمَرَضُ الْفَتَّاكُ
وَالدَّاءُ الْعُضَالُ، الَّذِي يَفْتِكُ بِالْدِّينِ، حَتَّى يُورِدَ صَاحِبَهُ الْمَهَالِكَ
كَمَا أُوْرِدَ إِبْلِيسَ لَمَّا تَكَبَّرَ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

أَلَا تَرَى أَنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا تَكَبَّرَ عَلَى آدَمَ وَحَسَدَهُ بِقَوْلِهِ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ جَرَّهُ ذَلِكَ إِلَى التَّكَبُّرِ عَلَى اللَّهِ لِمُخَالَفَتِهِ أَمْرَهُ، فَهَلَكَ هَلَاكًا مُؤَبَّدًا.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

معناه: لَا تَتَكَبَّرْ عَلَى النَّاسِ، فِي الْآيَةِ نَهْيٌ عَنِ التَّكَبُّرِ عَلَى النَّاسِ، وَالصُّعْرُ: الْمَيْلُ، وَالْمُتَكَبِّرُ يُمِيلُ وَجْهَهُ عَنِ النَّاسِ مُتَكَبِّرًا عَلَيْهِمْ، مُعْرِضًا عَنْهُمْ.

وَالصُّعْرُ: الْمَيْلُ، وَأَصْلُهُ: دَاءٌ يُصِيبُ الْبَعِيرَ يَلْوِي مِنْهُ عُنْقَهُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمُتَكَبِّرِ يَلْوِي عُنْقَهُ وَيُمِيلُ خَدَّهُ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ.. وَالْآيَاتُ فِي ذَمِّ الْكِبَرِ كَثِيرَةٌ.

وَقَدْ حَدَّثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ مِنَ الْكِبَرِ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَعَظَمَ أَمْرَهُ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ.

منها: مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ } ..

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مِثْقَالُ ذَرَّةٍ}، يَشْمَلُ الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ مِنْهُ، فَلَا يُرَخَّصُ بِالْكِبَرِ مَهْمَا كَانَ قَلِيلًا.

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ: وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكِبَرَ مَانِعٌ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَإِنْ بَلَغَ مِنَ الْقِلَّةِ إِلَى الْغَايَةِ...

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: {إِيَّاكُمْ وَالْكِبَرَ، فَإِنَّ الْكِبَرَ يَكُونُ فِي الرَّجُلِ، وَإِنَّ عَلَيْهِ الْعَبَاءَةَ}. قَالَ الْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرَوَاتُهُ ثَقَاتٌ. وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ: فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرَجَالُهُ ثَقَاتٌ.

وَمِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمَالِيهِ: وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَصَحَّحَهُ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ}.. وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عِنْدَ أَحْمَدَ صَحِيحَةٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِنْسَانٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ }. .

وَقَوْلُهُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ } ، وَعِيدٌ عَظِيمٌ يَفْتَضِي أَنَّ الْكِبَرَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَعَدَمُ دُخُولِ صَاحِبِهِ الْجَنَّةَ مُطْلَقًا...

وَمِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ كَبَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ }. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

وَمِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ مِنْ جَهَنَّمَ

يُسَمَّى: بُولَس، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، وَيُسْقَوْنَ مِنْ عُصَاةِ أَهْلِ
النَّارِ، طِينَةَ الْخَبَالِ}.

قَالَ فِي تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ: قَوْلُهُ: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ
الذَّرِّ)، أَي: فِي الصَّغَرِ وَالْحَقَارَةِ...

(فِي صُورِ الرِّجَالِ)، أَي: مِنْ جِهَةِ وُجُوهِهِمْ، أَوْ مِنْ حَيْثُ هَيئَتِهِمْ
مِنْ إِنْتِصَابِ الْقَامَةِ.

(يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ)، أَي: يَأْتِيهِمْ (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)، أَي: مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي غَايَةِ مِنَ الْمَذَلَّةِ وَالنَّقِيصَةِ يَطَّوُّهُمْ أَهْلُ
الْحَشْرِ بِأَرْجُلِهِمْ مِنْ هَوَاخِمِ عَلَى اللَّهِ.

وَفِي النِّهَايَةِ الذَّرُّ النَّمْلُ الْأَحْمَرُ الصَّغِيرُ وَاحِدُهَا ذَرَّةٌ..

(يُسَاقُونَ)، بِضَمِّ الْقَافِ، أَي: يُسَحَّبُونَ وَيُجْرَوْنَ.

(إِلَى سِجْنٍ)، أَي: مَكَانٍ حَبْسٍ مُظْلِمٍ مَضِيقٍ مُنْقَطِعٍ فِيهِ عَنْ
غَيْرِهِ..

(يُسَمَّى)، أَي: ذَلِكَ السِّجْنُ.

(بُولَس)، قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: هُوَ بَفَتْحِ بَاءٍ وَسُكُونِ وَاوٍ وَفَتْحِ لَامٍ.

وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ: بُولَسُ بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ سِجْنُ جَهَنَّمَ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ: هُوَ بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْوَائِ وَفَتْحِ
الْلامِ.. انتهَى..

(تَعْلُوهُمْ)، أَيُّ: تُحِيطُ بِهِمْ وَتَغْشَاهُمْ كَالْمَاءِ يَغْلُو الْغَرِيقَ..
(نَارُ الْأَنْيَارِ)، قَالَ فِي النَّهَائَةِ: لَمْ أَجِدْهُ مَشْرُوحًا وَلَكِنْ هَكَذَا
يُرَوَّى، فَإِنْ صَحَّتِ الرَّوَايَةُ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ نَارُ النَّيرَانِ
فَجَمَعَ النَّارَ عَلَى أَنْيَارٍ وَأَصْلُهَا أَنْوَارٍ لِأَنَّهَا مِنَ الْوَائِ كَمَا جَاءَ فِي
رِيحٍ وَعِيدٍ أَرْيَاخٍ وَأَعْيَادٍ وَهُمَا مِنَ الْوَائِ. انتهَى.

قِيلَ: إِنَّمَا جُمِعَ نَارٌ عَلَى أَنْيَارٍ وَهُوَ وَائِيٌّ لِئَلَّا يَشْتَبَهَ بِجَمْعِ النُّورِ.
قَالَ الْقَاضِي: وَإِضَافَةُ النَّارِ إِلَيْهَا لِلْمُبَالَغَةِ، كَأَنَّ هَذِهِ النَّارَ لِفَرْطِ
إِحْرَاقِهَا، وَشِدَّةِ حَرِّهَا تَفَعَّلُ بِسَائِرِ النَّيرَانِ مَا تَفَعَّلُ النَّارُ بِغَيْرِهَا.
انتهَى.

قَالَ الْقَارِي: أَوْ لِأَنَّهَا أَصْلُ نَيْرَانِ الْعَالَمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي
يُصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾، وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {نَارُكُمْ
هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ}، عَلَى مَا ذَكَرَهُ
الْبَيْضاوي. انتهَى.

(وَيُسْقَوْنَ)، بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ..

(مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ)، بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ، وَهُوَ مَا يَسِيلُ مِنْهُمْ
مِنَ الصَّدِيدِ وَالْقُبْحِ وَالْدَمِّ..

(طِينَةُ الْخَبَالِ)، بِالْجُرِّ بَدَلٌ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ، وَالْخَبَالُ بِفَتْحِ
الْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْفَسَادُ وَيَكُونُ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَبْدَانِ
وَالْعُقُولِ.. انْتَهَى...

وَمِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ الْمُرَادِيُّ فِي كِتَابِ الذِّكْرِ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَلَا
أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحٌ ابْنُهُ: إِنَّ نُوحًا قَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ: أَمْرُكَ
بِأَمْرَيْنِ:

وَأَنْهَاكَ عَنْ أَمْرَيْنِ:

أَمْرُكَ يَا بُنَيَّ أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَوْ جُعِلَتَا فِي كِفَّةٍ وَزَنَتْهُمَا، وَلَوْ جُعِلَتَا فِي حَلْقَةٍ
قَصَمَتْهَا.

وَأَمْرُكَ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ
وَتَسْبِيحُ الْخَلْقِ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ.

وَأَنْهَاكَ يَا بُنَيَّ: أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.

وَأَنْهَاكَ يَا بُنَيَّ: عَنِ الْكِبَرِ، فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ {...

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ: «إِنَّ الْكِبَرَ رِذَاءُ اللَّهِ، فَلَا تُنَازِعَنَّ اللَّهَ رِذَاءَهُ».

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {يَا مُوسَى إِيَّاكَ وَالْكِبَرُ: فَإِنَّهُ لَوْ لَقِيَنِي جَمِيعُ خَلْقِي بِمِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ أَدْخَلْتُهُمْ نَارِي، وَلَوْ كُنْتَ أَنْتَ، وَلَوْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلِي}..

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكِبَرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا جَمًى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لَجَلَالِهِ.

وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ، ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي

فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿١﴾
 اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ.
 فَعَدُّوا اللَّهَ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ
 أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِذَاءَ الْجُبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ
 قِنَاعَ التَّذَلُّلِ.

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبُرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا
 مَذْهُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا { .
 إِلَى أَنْ قَالَ: { وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ
 أَصْلَهُ، تَمْيِيزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَادًا
 لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ
 وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ
 سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلُمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ { . ؟

انْتَهَى ...

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

{عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ.

وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً، وَيَكُونُ غَدًا جِيفَةً.

وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللَّهِ.

وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَ.

وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النِّشْأَةَ الْآخِرَى وَهُوَ يَرَى النِّشْأَةَ الْأُولَى.

وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ { . انْتَهَى ...

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

{مِسْكِينُ ابْنِ آدَمَ مَكْتُومُ الْأَجَلِ، مَكْنُونُ الْعِلِّ مَحْفُوظُ الْعَمَلِ

تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ^(١)، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ^(٢)، وَتُنْتِنُهُ الْعَرَقَةُ { . انْتَهَى ...

وَقَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وَأَيَّاكُمْ وَالْعِظَمَةَ وَالْكَبِيرَ، فَإِنَّ الْكَبِيرَ رِذَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ

نَازَعَ اللَّهَ رِذَاءَهُ قَصَمَهُ اللَّهُ وَأَذَلَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .. انْتَهَى ...

(١) - قَوْلُهُ: {تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ}، قَالَ فِي الْقَامُوسِ الْبَقَّةُ الْبُعُوضَةُ.

(٢) - قَوْلُهُ: {الشَّرْقَةُ}، قَالَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: يُقَالُ شَرِقَ فُلَانٌ بِرَيْقِهِ وَكَذَلِكَ عَصَ بِرَيْقِهِ، وَيُقَالُ: أَخَذَنِي شَرْقَةٌ فَكَادَ يَمُوتُ.

. وَالشَّرْقُ: دُخُولُ الْمَاءِ الْخَلْقَ حَتَّى يَغْصَ بِهِ ...

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«**يَا بُنَيَّ:** وَاجْتَنِبِ الْكِبَرَ، فَإِنَّهُ رِذَاءُ الْجَبَّارِ، وَالْمُعْطَلُ لِلدَّيَّارِ
وَالْمُحِلُّ لِصَاحِبِهِ دَارَ الْبَوَارِ، وَالْمُغَيِّرُ لِلْإِنْعَامِ، وَالْمُعْجَلُ
لِلْإِنْتِقَامِ». انتهى...

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَحْكَامِ:

«وَفِي الْكِبَرِ مَا يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ
قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، وَفِي ذَلِكَ مَا بَلَّغَنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَأَبِي ذَرٍّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، أَنَّهُمَا سَأَلَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَا: مَا أَعْظَمَ ذَنْبٍ بَعْدَ الشُّرْكِ عِنْدَ
اللَّهِ؟

فَقَالَ: {الْكِبَرُ الْكِبَرُ}. انتهى...

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مَنْ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ نَالَ ثَلَاثًا:

مَنْ بَرِيءٌ مِنَ السَّرَفِ نَالَ الْعِزَّ.

وَمَنْ بَرِيءٌ مِنَ الْبُخْلِ نَالَ الشَّرَفَ.

وَمَنْ بَرِيءٌ مِنَ الْكِبَرِ نَالَ الْكَرَامَةَ».

يَا بُنَيَّ: إِذَا رَأَيْتَ الَّذِي يَتَكَبَّرُ وَيَفْتَحِرُ بِأَعْمَالِهِ، أَوْ بِجَاهِهِ، أَوْ
بِمَنْصِبِهِ، أَوْ بِسُلْطَانِهِ، أَوْ بِجَمَالِهِ، أَوْ قُوَّتِهِ، أَوْ نَسَبِهِ، أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ

مِنْ أَسْبَابِ الْعِزَّةِ فَقُلْ لَهُ: أَلَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ
كِبَرٍ }.

فَعَلَامَ تَتَكَبَّرُ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ الْمُخْتَالُ ضَعِيفٌ، حَقِيرٌ عَاجِزٌ
خَلَقَكَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا، ﴿أَوَلَمْ
يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾
وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
{ عَجِبْتُ لِابْنِ آدَمَ يَفْخَرُ وَأَوَّلُهُ نُطْفَةٌ مَذْرُوءَةٌ ^(١)، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ
وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَحْمِلُ الْعَذْرَةَ }.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { عَجَبًا لِلْمُتَكَبِّرِ الْفُخُورِ
الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً ثُمَّ هُوَ غَدًا جِيفَةٌ }..
وَعَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْ آبَائِهِ الْكَرَامِ:
«عَجِبْتُ أَنْ أُعْظَّمَ نَفْسِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ مَخْرَجِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ»..

(١) - قَوْلُهُ: { مَذْرُوءَةٌ }، أَيُّ: فَاسِدَةٌ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ الْمُنِيرِ: مَذْرُوتُ الْبَيْضَةِ وَالْمَعْدَةُ مَذْرَأٌ فَهِيَ مَذْرُوءَةٌ، مِنْ بَابِ تَعِبَ فَسَدَتْ
وَأَمْدَرَتْهَا الدَّجَاحَةُ أَفْسَدَتْهَا.

وَوَعِظَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بَعْضَ الْأُمَرَاءِ: فَقَالَ: «إِيَّاكَ وَالْكِبَرُ فَإِنَّهُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عَصِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ الآية».

وَقَالَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«يَا عَجَبًا مِمَّنْ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ نُطْفَةٍ، وَرَزَقَهُ مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ، كَيْفَ لَا يَلْزَمُ التَّوَاضُّعَ وَالْعِفَّةَ؟

وَعَجَبًا مِمَّنْ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ! كَيْفَ يَغْتَرُّ بِمَالٍ وَبَنِينَ؟
وَعَجَبًا مِمَّنْ أَصْلَهُ مِنَ الشُّرَابِ وَالطَّيْنِ! كَيْفَ لَا يَتَوَاضَعُ، لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ؟»

فَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، وَلَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا
يُدْفَعُ حَتْفَهُ.

كَيْفَ يَتِيَهُ وَيَتَكَبَّرُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَهُوَ
فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ.

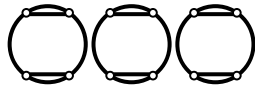
وَكَيْفَ وَيَتَكَبَّرُ مَنْ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَخْرَجِ الْبُولِ مَرَّتَيْنِ..
وَلَوْ تَصَوَّرَ الْمُعْجَبُ الْمُتَكَبِّرُ مَا فُطِرَ عَلَيْهِ مِنْ جِبِلَّةٍ، وَبُلِيَ بِهِ مِنْ
مِهْنَةٍ، لَخَفَضَ جَنَاحَ نَفْسِهِ، وَاسْتَبَدَّلَ لَنَا مِنْ عُثْوِهِ، وَسُكُوتًا مِنْ
نُفُورِهِ.

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

يَا مُظْهَرَ الْكِبَرِ إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ أَبْصِرْ خَلَكَ فَإِنَّ النَّتْنَ تَثْرِبُ
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ مَا اسْتَشَعَرَ الْكِبَرُ شُبَّانٌ وَلَا شَيْبُ
هَلْ فِي ابْنِ آدَمَ مِثْلُ الرَّأْسِ مَكْرُمَةً وَهُوَ بِخَمْسٍ مِنَ الْأَقْدَارِ مَضْرُوبُ
أَنْفٍ يَسِيلُ وَأُذُنٌ رِيحُهَا سَهْكَ وَالْعَيْنُ مُرْفُضَةٌ وَالشَّغْرُ مَلْعُوبُ
يَا ابْنَ التُّرَابِ وَمَا كُؤَلِ التُّرَابِ غَدًا أَقْصِرْ فَإِنَّكَ مَا كُؤَلُ وَمَشْرُوبُ
وَقَالَ آخَرُ:

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً مَذِرَةً
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ صُورَتِهِ يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِيفَةً قَذِرَةً
وَهُوَ عَلَى تَيْهِهِ وَنَخْوَتِهِ مَا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ

وَبِالْجُمْلَةِ: فَإِنَّ الْكِبَرَ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَذْمُومٌ، وَصَاحِبُهُ فِي الدُّنْيَا
مُنْتَقَصٌ مَلُومٌ، وَفِي الْآخِرَةِ لِلْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ مُحْرُومٌ....



المعجب

وَأَيَّاكَ يَا بُنَيَّ: وَالْعُجْبُ فَإِنَّ الْعُجْبَ مِنْ مُحِيطَاتِ الْأَعْمَالِ، وَإِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا يُرْفَعُ وَفِيهِ عُجْبٌ.

وَالْعُجْبُ آفَةٌ مِنَ الْآفَاتِ الْمُهْلِكَةِ لِأَهْلِهِ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِعَمَلِهِ أُحِيطَ أَجْرُهُ.

كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إِنَّ الْعُجْبَ لَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ}.

وَكَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {مَنْ حَمَدَ نَفْسَهُ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ، فَقَدْ قَلَّ شُكْرُهُ، وَحِيطَ عَمَلُهُ}.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {شِرَارُ أُمَّتِي الْمُعْجَبُ بِدِينِهِ، الْمُرَائِي بِعَمَلِهِ، الْمُخَاصِمُ بِحُجَّتِهِ، وَالرِّيَاءُ شِرْكٌ}.

وَالْعُجْبُ فِي اللُّغَةِ هُوَ: الزُّهُوُّ، يُقَالُ رَجُلٌ مُعْجَبٌ: يَعْنِي مَزْهُوٌّ بِمَا يَكُونُ مِنْهُ حَسَنًا أَوْ قَبِيحًا....

وَأَصْلُ الْعُجْبِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ: هُوَ حَمْدُ النَّفْسِ، وَنِسْيَانُ النِّعْمَةِ وَهُوَ نَظَرُ الْعَبْدِ إِلَى نَفْسِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَيَنْسَى أَنَّ ذَلِكَ إِيمًا هُوَ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَيَحْسُنُ حَالَ نَفْسِهِ عِنْدَهُ، وَيَقِلُّ شُكْرُهُ

وَيَنْسُبُ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا هُوَ مِنْ غَيْرِهَا، وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ عَلَى خِلَافِهِ
فَإِنْ غَفَلَ هَلَكَ، وَاسْتُدْرِجَ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِعِبَادَتِهِ، مُزْرِيًا عَلَى مَنْ لَمْ
يَعْمَلْ عَمَلَهُ قَدْ عَمِيَ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ، فَيَكُونُ مُسْتَكْثَرًا لِعَمَلِهِ
مَسْرُورًا بِهِ، رَاضِيًا عَنْ نَفْسِهِ، فَرِحًا بِهَا، يَسْعَى فِي هَوَاهَا غَضَبُهُ
لَهَا، وَرِضَاهُ لَهَا، وَلَا يَخْلُو الْمُعْجَبُ بِعَمَلِهِ مَنْ أَنْ يَكُونَ مُرَائِيًا
لَأَنَّهُمَا قَرِينَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ، وَلَا يَكُونُ الْمُعْجَبُ مُحْزُونًا، وَلَا خَائِفًا
أَبَدًا، لِأَنَّ الْعُجْبَ يَنْفِي الْخَوْفَ.

إِنَّ الْعُجْبَ يَدْعُو إِلَى نِسْيَانِ الذُّنُوبِ، وَإِهْمَالِهَا، أَوْ اسْتِصْغَارِهَا.
وَالْمُعْجَبُ مُغْتَرٌّ بِنَفْسِهِ وَبِرَأْيِهِ، فَأَمِنْ مَكْرَهُ وَعِقَابَهُ، وَعَدَّ أَنْ لَهُ
عَلَى اللَّهِ حَقًّا بِعَمَلِهِ، فَزَكَّى نَفْسَهُ، وَأَعْجَبَ بِرَأْيِهِ، وَعَقَلَهُ، وَعِلْمَهُ
حَتَّى اسْتَبَدَّ بِذَلِكَ، وَلَمْ تَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ أَنْ يَرْجِعَ لِغَيْرِهِ فِي عِلْمٍ وَلَا
عَمَلٍ، وَيَسْتَنْكِفُ مِنْ سُؤَالِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، فَلَا يَسْمَعُ نُصْحَ
نَاصِحٍ، وَلَا وَعْظَ وَاعِظٍ، بَلْ يَنْظُرُ إِلَى غَيْرِهِ بِعَيْنِ الاسْتِجْهَالِ
وَالِاخْتِقَارِ..

وَأَعْلَمُ: يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْعُجْبَ مَذْمُومٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعْجَبْتُكُمْ كَثَرْتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴿١﴾، ذُكِرَ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ
 الْإِنْكَارِ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَضُنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ
 اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ﴿٢﴾، فَرَدَّ عَلَى الْكُفَّارِ فِي
 إِعْجَابِهِمْ بِحُصُونِهِمْ وَشَوْكَتِهِمْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
 يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿٣﴾.

وَهَذَا أَيْضًا: يَرْجِعُ إِلَى الْعُجْبِ بِالْعَمَلِ، وَقَدْ يُعْجَبُ الْإِنْسَانُ
 بِعَمَلٍ هُوَ مُخْطِئٌ فِيهِ، كَمَا يُعْجَبُ بِعَمَلٍ هُوَ مُصِيبٌ فِيهِ.
 وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي أَمَالِيهِ: عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ
 السَّلَامُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {ثَلَاثُ
 مُنْجِيَّاتٍ وَثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ}.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُنْجِيَّاتُ؟
 قَالَ: {خَوْفُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ
 فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالسَّخَطِ، وَالْقِسْطُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ}.
 قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا الْمُهْلِكَاتُ؟

قَالَ: {هَوَى مُتَّبِعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ}.
 وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {كَفَى بِالْمَرْءِ
 فَقْهًا إِذَا عَبْدَ اللَّهَ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ}..

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {الْإِعْجَابُ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ}.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {عُجِبُ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ}.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ الْإِزْدِيَادَ}.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {لَا مَالَ أَعُودُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ، وَلَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ}.

وَقَالَ بَعْضُ الزُّهَّادِ: «مَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَمَنْ اسْتَعْنَى بِعِلْمِهِ زَلَّ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ»..

وَقَالَ «ابْنُ مَسْعُودٍ»: «الْهَلَاكُ فِي اثْنَتَيْنِ الْقُنُوطِ وَالْعُجْبِ».

وَأَمَّا جَمْعُ بَيْنَهُمَا، لِأَنَّ السَّعَادَةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالسَّعْيِ، وَالطَّلَبِ وَالْجِدِّ وَالشَّمْرِ، وَالْقَانِطُ لَا يَسْعَى، وَلَا يَطْلُبُ، وَالْمُعْجَبُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدْ سَعِدَ وَقَدْ ظَفَرَ بِمُرَادِهِ فَلَا يَسْعَى، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

أَيُّ: لَا تَعْتَقِدُوا أَنَّهَا بَارَّةٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، وَالْمَنْ نَتِيجَةُ اسْتِعْظَامِ الصَّدَقَةِ، وَاسْتِعْظَامُ الْعَمَلِ هُوَ الْعُجْبُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَزُّ الدِّينِ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَنْزِ الرِّشَادِ:

«وَالْعُجْبُ هُوَ: مَسَرَّةٌ بِحُصُولِ أَمْرٍ، يَصْحَبُهَا تَطَاوُلٌ لِأَجَلِهِ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِثْلُهُ، بِقَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَرْكِ، أَوْ اعْتِقَادٍ، وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِتَحْرِيمِهِ، وَانْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى حَظَرِهِ.

وَقِيلَ: فِيهِ إِنَّهُ مِنْ مُحِبَّاتِ الطَّاعَاتِ.

وَكَفَى فِي تَفْضِيعِ شَأْنِهِ، تَوْبِيخُ اللَّهِ جُنْدَ الْحَقِّ عَلَى الْإِعْجَابِ بِمَا هُوَ حَاصِلٌ لَهُمْ، مِنْ كَثَرَتِهِمْ.

حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾... [التوبة ٢٥]:
الآية.

وَبِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ^(١) تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجَّلٌ^(٢) رَأْسُهُ، يَخْتَالُ^(١) فِي مَشْيَيْهِ، إِذْ

(١) - (الْحُلَّةُ): بِالضَّمِّ لَا تَكُونُ إِلَّا تَوْبِيْنٍ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ، وَالْجَمْعُ حُلَلٌ، مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ. الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ كِتَابُ الْحَاءِ...

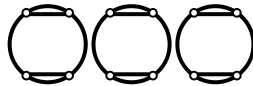
(٢) - (التَّرَجُّلُ، وَالتَّرَجُّيلُ): تَسْرِيحُ الشَّعْرِ، وَتَنْظِيفُهُ، وَتَحْسِينُهُ. النَّهَائِيَّةُ - بَابُ الرَّاءِ مَعَ الْجِيمِ..

خَسَفَ ^(٢) اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ ^(٣) فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ {.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

مُرَجَّلٌ بِمَعْنَى: مُمَشِّطٌ.

نَعَمْ: لَا قُبْحَ فِي الْمَسْرَةِ، إِذْ لَا تَنْدَفِعُ إِلَّا الْقَبِيحُ مَا يَصْحَبُهَا، مِمَّا
يُوهِمُ التَّطَاوُلَ، وَالِافْتِخَارَ عَلَى مَنْ لَيْسَ لَهُ مِثْلُهُ، فِيمَا حَصَلَ لَهُ
أَوْ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ لِأَجْلِ مَا حَصَلَ لَهُ تَعْظِيمَ النَّاسِ إِيَّاهُ، أَوْ
مَنْزِلَةَ رَفِيعَةٍ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى الْقَطْعِ، فَيَعُودُ إِلَى مَعْنَى التَّكَبُّرِ..



(١) - (الْخِيَلَاءُ، وَالْخِيَلَاءُ): بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ - الْكِبَرُ، وَالْعُجْبُ. يُقَالُ: اخْتَالَ فَهُوَ مُخْتَالٌ. وَفِيهِ خِيَلَاءٌ وَخَيْلَةٌ: أَيِ كِبَرٍ. النَّهْيَاةُ - بَابُ الْخَاءِ مَعَ الرَّاءِ..

(٢) - (الْخَسَفُ): سُوءُ الْأَرْضِ بِمَا عَلَيْهَا، خَسَفَتْ تَخْسِفُ خَسْفًا وَخُسُوفًا، وَانْخَسَفَتْ، وَخَسَفَهَا اللَّهُ وَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ خَسْفًا أَيُّ: غَابَ بِهِ فِيهَا. لِسَانُ الْعَرَبِ، - بَابُ خَسَفَ..

(٣) - (التَّجَلَّجَلُ): السُّوْخُ فِي الْأَرْضِ وَالتَّحَرُّكُ وَالْجَوْلَانُ،. تَهْدِيبُ اللُّغَةِ، بَابُ - لَج..

تَنْبِيْهٌ

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الْحَاصِلُ بِهِ الْإِعْجَابُ اضْطِرَارِيًّا
كَجَمَالٍ، أَوْ فَصَاحَةٍ، أَوْ كَثْرَةِ عَشِيرَةٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ بَنِينَ، أَوْ
اخْتِيَارِيًّا ككَثْرَةِ عِلْمٍ، أَوْ عِبَادَةٍ، أَوْ إِعْطَاءٍ، أَوْ إِقْدَامٍ، فَإِنَّ الْعُجْبَ
بِذَلِكَ كُلِّهِ قَبِيحٌ شَرْعًا، وَلَا نَعْرِفُ فِيهِ خِلَافًا... انْتَهَى كَلَامُ
الْإِمَامِ عِزِّ الدِّينِ...

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ
خَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ الْعُجْبِ الْعُجْبِ}.
قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ، رَوَاهُ الْبَزَّازُ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.
فَجَعَلَ الْعُجْبَ أَكْبَرَ الذُّنُوبِ.

وَأَمَّا كَانَ الْعُجْبُ أَشَدُّ لَأَنَّ الْعَاصِيَ مُعْتَرِفٌ بِخَطِيئَتِهِ، فَتُرْجَى لَهُ
التَّوْبَةُ، وَالْمُعْجَبُ مَغْرُورٌ بِعِلْمِهِ، وَعَمَلِهِ، فَتَوْبَتُهُ بَعِيدَةٌ، فَهُوَ مِنْ
قَبِيلِ: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾...

وَالْعُجْبُ يَصْرِفُ وَجْهَ الْعَبْدِ عَنِ اللَّهِ، وَالذَّنْبُ يَصْرِفُهُ إِلَيْهِ.
لَأَنَّ الْعُجْبَ يُنْتِجُ الْاِسْتِكْبَارَ، وَالذَّنْبُ يُنْتِجُ الْاِضْطِرَارَ، وَيُؤَدِّي
إِلَى الْاِفْتِقَارِ، وَخَيْرُ أَوْصَافِ الْعَبْدِ اِفْتِقَارُهُ وَاضْطِرَارُهُ إِلَى رَبِّهِ، وَعَلَى

هَذَا يَظْهَرُ لَكَ سِرُّ الْحَدِيثِ، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُنُوزِ، وَاللَّهِ
أَعْلَمُ...

وَقَالَ الشَّيرَازِيُّ: «أَعْلَمُ أَنَّ الْعُجْبَ وَصَفٌ رَدِيٌّ، يَسْلُبُ
الْفَضَائِلَ، وَيَجْلِبُ الرِّذَائِلَ، وَيُوجِبُ الْمَقْتَ، وَيُخْفِي الْمَحَاسِنَ
وَيُشْهِرُ الْمَسَاوِيَّ، وَيُفْضِي إِلَى الْمَهَالِكِ».

قَالَ أَبُو وَهْبٍ الْمُرُوزِيُّ: سَأَلْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ: مَا الْكِبَرُ؟
قَالَ: «أَنْ تَزْدَرِيَ النَّاسَ».

فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْعُجْبِ؟

قَالَ: «أَنْ تَرَى أَنَّ عِنْدَكَ شَيْئًا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكَ».

قَالَ: «وَلَا أَعْلَمُ فِي الْمُصَلِّينَ شَيْئًا شَرًّا مِنَ الْعُجْبِ».

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَاورِدِيُّ: «وَأَمَّا الْإِعْجَابُ فَيُخْفِي الْمَحَاسِنَ
وَيُظْهِرُ الْمَسَاوِيَّ، وَيُكْسِبُ الْمَذَامَ، وَيَصُدُّ عَنِ الْفَضَائِلِ.

وَلَيْسَ إِلَى مَا يُكْسِبُهُ الْكِبَرُ مِنَ الْمَقْتِ حَدٌّ، وَلَا إِلَى مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ
الْعُجْبُ مِنَ الْجَهْلِ غَايَةٌ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُطْفِئُ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا انْتَشَرَ
وَيَسْلُبَ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا اشْتَهَرَ.

وَنَاهِيكَ بِسَيِّئَةٍ تُحْبِطُ كُلَّ حَسَنَةٍ، وَبِمَذْمَةٍ تَهْدِمُ كُلَّ فَضِيلَةٍ، مَعَ مَا
يُثِيرُهُ مِنْ حَقِّقٍ، وَيُكْسِبُهُ مِنْ حَقْدٍ»..

الرِّيَاءُ

وَايَّاكَ يَا بُنَيَّ: وَالرِّيَاءَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَهُوَ طَلَبُ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ
بِالْعِبَادَاتِ...

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الرِّيَاءَ حَرَامٌ، وَالْمُرَائِي عِنْدَ اللَّهِ مَمْقُوتٌ، فَالرِّيَاءُ
مُحِبِّطٌ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، مُوجِبٌ لِسُخْطِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
وَالرِّيَاءُ سَبَبٌ لِلْمَقْتِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.
وَالرِّيَاءُ مِنْ كِبَائِرِ الْمُهْلِكَاتِ.

وَمَا هَذَا وَصَفُهُ فَجَدِيرٌ بِأَنْ يُشَمَّرَ كُلُّ مُوَفَّقٍ عَنْ سَاقِ الْجِدِّ فِي
إِزَالَتِهِ، بِالْمُجَاهَدَةِ، وَتَحْمُلِ الْمَشَاقِّ الشَّدِيدَةِ وَالْمُكَابَدَةِ لِقُوَّةِ
الشَّهَوَاتِ، إِذْ لَا يَنْفَكُ أَحَدٌ عَنِ الْاِحْتِيَاجِ لِذَلِكَ، إِلَّا مَنْ رَزَقَ
قَلْبًا سَلِيمًا نَقِيًّا خَالِصًا عَنْ شَوَائِبِ مُلَاحَظَةِ الْأَغْرَاضِ
وَالْمَخْلُوقِينَ، وَمُسْتَغْرَقًا دَائِمًا فِي شُهُودِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَلِيلٌ مَا
هُم...

حَقِيقَةُ الرِّيَاءِ

وَحَقِيقَةُ الرِّيَاءِ طَلَبُ مَا فِي الدُّنْيَا بِالْعِبَادَاتِ، وَأَصْلُهُ طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ...

قَالَ الْإِمَامُ عَزُّ الدِّينِ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَنْزِ الرَّشَادِ وَزَادَ الْمَعَادِ:

الرِّيَاءُ لُغَةً: فِعْلٌ أَمَرَ مُسْتَحْسَنٌ لِيَرَاهُ غَيْرُهُ عَلَيْهِ، طَلَبًا لِلثَّنَاءِ، أَوْ غَيْرِهِ، مِنْ تَوْرِيَةٍ، أَوْ نَحْوِهَا.

وَشَرْعًا: فِعْلٌ طَاعَةٍ، أَوْ تَرْكُ مَعْصِيَةٍ، لِحُصُولِ غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ، ثَنَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يُرِيدَ مَعَ ذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ لَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ قَصْدِ مَجْمُوعِ الْأُمُورِ؟ { لَا شَرِيكَ لِلَّهِ فِي عِبَادَتِهِ }.

وَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي..؟

فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
 ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] ^(١) ..

وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مُصَرِّحٌ بِتَحْرِيمِهِ، وَتَوْبِيخٌ صَاحِبِهِ، وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ
 النَّبَوِيَّةُ، وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ وَاسِعَةٌ، كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ: {مَنْ سَمِعَ ^(٢) سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ ^(٣)}
 رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ...

(١) - أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ رَقْم (٢٤٨١)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَمَنْ يُخْرِجَاهُ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي
 شُعَبِ الْإِيمَانِ رَقْم (٦٥٨٨)، وَالْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ رَقْم (٢٠٧٨)، وَغَيْرُهُمْ...

(٢) - {سَمِعَ}: بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ، وَمَعْنَاهُ: أَظْهَرَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ رِيَاءً. {سَمِعَ اللَّهُ بِهِ}: أَي: فَضَحَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمَعْنَى: {مَنْ رَأَى}
 أَي: مَنْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لِيُعْظَمَ عَنْدهُمْ. {رَأَى اللَّهُ بِهِ}: أَي: أَظْهَرَ سِرِّيَّتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ. تَمَّتْ مِنْ رِيَاضِ
 الصَّالِحِينَ ص (٤٤٩)...

(٣) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ رَقْم (٦٤٩٩)، وَمُسْلِمٌ رَقْم (٧٦٦٧)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَقْم (٤١٣٤)، وَقَالَ: هَذَا
 حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ وَكِيعٍ، عَنْ سُفْيَانَ، كَمَا هُوَ فِي رِيَاضِ الصَّالِحِينَ ص
 (٤٤٩)، وَقَالَ: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. =

= وَأَخْرَجَ السُّبُوطِيُّ فِي جَامِعِهِ رَقْم (٢٢٤٩٢)، مَا لَفْظُهُ: {مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهُ بِهِ}، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ
 جُنْدُبٍ، وَأَبِي بَكْرَةَ، وَقَالَ: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٢٨٩/٤)، رَقْم (٢٩٨٦). وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: النَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى
 (٥٢٢/٦)، رَقْم (١١٧٠٠).

حَدِيثُ جُنْدُبٍ: أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٢٨٩/٤)، رَقْم (٢٩٨٧)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٤٠٧/٢)، رَقْم (٤٢٠٧). وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: الْبُخَارِيُّ
 (٢٣٨٣/٥)، رَقْم (٦١٣٤)، وَأَبُو يَعْلَى (٩٣/٣)، رَقْم (١٥٢٤)، وَالطَّبْرَانِيُّ (١٧١/٢)، رَقْم (١٧٠٠).

حَدِيثُ أَبِي بَكْرَةَ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٥/٥)، رَقْم (٢٠٤٧٤)، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ (٢٢٢/١٠): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَسَانِيدُهُمْ
 حَسَنَةٌ..

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ طَمَسَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَمَحَقَ ذِكْرَهُ، وَأَثَبَتْ اسْمُهُ فِي النَّارِ^(١)}، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَالْإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَيْهِ. انْتَهَى...

ثُمَّ اعْلَمْ يَا بَنِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ حَرَّمَ الرِّيَاءَ فِي كِتَابِهِ أَشَدَّ التَّحْرِيمِ، وَنَهَى عَنْهُ أَشَدَّ النَّهْيِ، وَذَمَّهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَجَعَلَهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، وَقَدْ شَهِدَ بِتَحْرِيمِهِ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَانْعَقَدَ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ.

أَمَّا الْكِتَابُ: فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

فَمَذُحُ الْمُخْلِصِينَ بِنَفْسِي كُلَّ إِرَادَةٍ سِوَى وَجْهِ اللَّهِ وَالرِّيَاءِ ضِدُّهُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، نَزَلَ ذَلِكَ فِيمَنْ يَطْلُبُ الْأَجْرَ وَالْحَمْدَ بِعِبَادَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ.

(١) - أَخْرَجَهُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ فِي الْأَمَالِي الْخَمِيسَةِ ج/٢/ص/٢٢١، بَلْفَظٍ: {مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ طَمَسَ وَجْهَهُ، وَمَحَقَ ذِكْرَهُ، وَأَثَبَتْ اسْمُهُ فِي النَّارِ}، وَالسُّيُوطِيُّ فِي جَامِعِهِ رَقْم (٢٢٨٦٤) وَقَالَ: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ (٢٦٨/٢، رَقْم ٢١٢٨)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: الْمُنْدَرِي فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيْبِ رَقْم (٤٠)، وَهُوَ فِي كَنْزِ الْعُمَالِ رَقْم (٦٢٧٥)...

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَمَالِي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِبِقِيعٍ وَاحِدٍ، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ، مَنْ كَانَ يَعْمَلُ عَمَلًا فِي الدُّنْيَا كَانَ لِي فِيهِ شَرِيكٌ، فَأَنَا أَدْعُهُ الْيَوْمَ، وَلَا أَقْبَلُ إِلَّا خَالِصًا }، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَابْنُ أَبِي سَعِيدٍ بَنِي أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادِي: مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ }.

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَمَالِي وَالْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَقَالَ: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَاللَّفْظُ

لَهُ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ، وَابْنُ مَاجَةَ ثَقَاتٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا، فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ}

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُزَشَّدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَمْالِي وَالْبَزَارِ، وَابْنُ مَاجَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {يُجَاءُ بِأَعْمَالِ بَنِي آدَمَ فَتُنْصَبُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُحُفٍ مَخْتُومَةٍ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَلْقُوا هَذَا وَاقْبَلُوا هَذَا.

فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ يَا رَبُّ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: إِنَّهُ عَمَلٌ لَغَيْرِ وَجْهِي، وَإِنِّي لَا أَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا ابْتَغَيْ بِهِ وَجْهِي}.

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُزَشَّدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَمْالِي وَأَحْمَدُ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ مَاجَةَ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: {مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ}.

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ}.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ؟؟
قَالَ: {الرِّيَاءُ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً}.

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِيَّاكُمْ أَنْ تَخْلُطُوا طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِحُبِّ ثَنَاءِ الْعِبَادِ فَتَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ}.

وَفِي كِتَابِ الْإِعْتِبَارِ وَسُلُوةِ الْعَارِفِينَ: لِلْإِمَامِ الْمُؤَفَّقِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ فِي الدِّينِ

وَالْتَّمَكِينَ فِي الْبِلَادِ، مَا لَمْ يَعْمَلُوا عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، وَمَنْ يَعْمَلْ
 عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ { .
 رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ
 وَالبَيْهَقِيُّ.....

وَأَصْغِي بِقَلْبِكَ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، الَّذِي مَا أَصْغَى إِلَيْهِ أَحَدٌ
 فَاسْتَمَعَهُ، وَتَدَبَّرَ مَعَانِيهِ، إِلَّا هَدَّ أَرْكَانَهُ، وَنَفَذَ إِلَى أَعْمَاقِهِ.
 لِمَا فِيهِ مِنَ التَّهْدِيدِ، وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، لِمَنْ كَانَ فِي عَمَلِهِ أَدْنَى
 شَائِبَةٍ، مِنَ الرِّيَاءِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالْمُبَاهَاةِ، وَالْفَخْرِ.
 نَعَمْ: إِنَّهُ حَدِيثٌ مُفْزِعٌ، تَذْرِفُ لَهُ الْعُيُونُ، وَتَنْفَطِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ
 وَتَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْأَبْدَانُ، تَشِيبُ لَهُ الْوُلْدَانُ، كَيْفَ لَا يَبْكِي وَكُلُّ
 أَعْمَالِهِ قَدْ تَكُونُ مَرْدُودَةً عَلَيْهِ، غَيْرَ مَقْبُولَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا
 يَقْبَلُ الْعَمَلَ إِلَّا بِإِخْلَاصٍ؟

أَمْ كَيْفَ لَا يَهْتَمُّ وَلَا يَغْتَمُّ، وَلَا يَحْزَنُ، مَنْ لَا يَدْرِي بِمَا يُحْتَمُّ لَهُ مِنَ
 الْعَمَلِ؟

أَلَا وَهُوَ حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ: الَّذِينَ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، بَلْ هُمْ أَوَّلُ مَنْ
 تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ: وَهُمْ الْمُجَاهِدُ الْمُرَائِي لِيُقَالَ إِنَّهُ جَرِيءٌ، وَالْمُنْفِقُ

الْمُبَاهِي لِيُقَالَ إِنَّهُ جَوَادٌ، وَالرَّجُلُ الَّذِي تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ
الْقُرْآنَ، لِيُقَالَ: هُوَ عَالِمٌ، وَهُوَ قَارِئٌ..

نَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُرَائِنِ الْخَاسِرِينَ..

فَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: {إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ
يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ:

رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا.

فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ فِيهَا؟

قَالَ: قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ.

قَالَ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، فَيُؤْمَرُ

بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا.

فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ فِيهَا؟

قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَعَمِلْتُهُ فَيْكُ.

قَالَ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ عَالِمٌ، وَفُلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ

قِيلَ: فَأُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا.

فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ فِيهَا؟

قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ تُحِبُّ أَنْ أُنْفِقَ فِيهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهِ لَكَ.

قَالَ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ: فَقَدْ قِيلَ.

فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ{.

وَهَذَا الْحَدِيثُ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَدِيثٌ تَنْخَلِعُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتَقْشَعِرُّ مِنْهُ

الْجُلُودُ.

شَهِيدٌ.

وَعَالِمٌ.

وَقَارِئُ الْقُرْآنِ.

وَمُنْفِقٌ سَخِيٌّ، هُمْ أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!!؟

نَعَمْ يَا بُنَيَّ: لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَمْ تَكُنْ خَالِصَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا إِذَا

كَانَ خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، سَالِمًا مِنْ شَوْبِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ..

نَعَمْ يَا بُنَيَّ: فَكَمْ مِنْ أَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ يَتَعَبُ الْإِنْسَانُ فِيهَا، وَيَكُونُ

فِيهَا مَغْرُورًا، يَظُنُّ أَنَّهَا مَقْبُولَةٌ، وَهِيَ مَرْدُودَةٌ، لِأَنَّهَا غَيْرُ خَالِصَةٍ

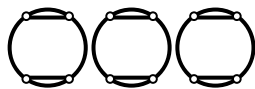
لَوَجْهِهِ اللَّهِ، وَلَئِنَّهُ لَا يَرَى وَجْهَ آفَةِ الرِّيَاءِ، فَدَقَائِقُ الرِّيَاءِ قَلَّمَا يَسْلَمَ

إِنْسَانٌ مِنْ خَطَرٍ وَآفَاتِ الرِّيَاءِ، وَمَكَائِدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ.

فَلْيَكُنِ الْعَبْدُ شَدِيدَ التَّفَقُّدِ وَالْمُرَاقَبَةِ لِهَذِهِ الدَّقَائِقِ، وَإِلَّا التَّحَقُّ بِاتِّبَاعِ الشَّيَاطِينِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

وَكَمْ مِنْ أَعْمَالٍ قَلِيلَةٍ لَا يَحْسِبُ لَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ حِسَابًا، وَلَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ لِأَنَّهَا خَالِصَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى...

فَاخْذَرِيَا بُنَيَّ: مِنْ طَلَبِ السُّمْعَةِ، وَالشُّهُرَةِ، وَحُبِّ التَّصَدُّرِ وَالظُّهُورِ، فَإِنَّهُ شِرَاكُ إِبْلِيسَ الَّذِي يَنْصِبُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُؤْمِنَاتِ لِيُفْسِدَ عَلَيْهِمْ دَعْوَتَهُمْ.



الإِخْلَاصُ لِلَّهِ تَعَالَى :

فَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَقْوَالِكَ، وَأَعْمَالِكَ وَسِرِّكَ، وَجَهْرِكَ، وَفِي كُلِّ أَمْرِكَ.

فَالْإِخْلَاصُ: هُوَ صَمَامُ الْأَمَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي حَيَاتِهِمْ، بِهِ تَزْكُو أَعْمَالُهُمْ، وَتُضَاعَفُ أَجُورُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَبِهِ تَزْدَادُ حَسَنَاتُهُمْ. وَبِهِ يَزْدَادُ الْإِنْسَانُ لِلَّهِ بَرًّا، وَإِيمَانًا بِاللَّهِ، وَعِبَادَةً لِلَّهِ، وَطَاعَةً لَهُ وَتَوْفِيقًا، وَصَلَاحًا فِي الدِّينِ، وَعِلْمًا نَافِعًا، وَفَهْمًا، وَيَقِينًا، وَبَصِيرَةً فِي دِينِهِ، وَرِفْعَةً، وَقُرْبًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ.

حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ:

الْإِخْلَاصُ لُغَةً: تَرْكُ الرِّيَاءِ فِي الطَّاعَةِ.

وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: هُوَ أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَةَ أَوْ يَتْرَكَ الْمَعْصِيَةَ، خَالِصَةً لَوَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ شَوَائِبِ الدُّنْيَا، لَا يُرِيدُ بِهَا تَعْظِيمًا مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَوْقِيرًا، وَلَا ثَنَاءً مِنَ النَّاسِ، وَلَا جَلْبَ نَفْعٍ، وَلَا دَفْعَ ضَرَرٍ، لَا يُرِيدُ بِهَا جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَلَا غَرَضًا مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ..

فَالْإِخْلَاصُ: هُوَ تَصْفِيَةُ الْإِنْسَانِ عَمَلُهُ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ الشَّوَائِبِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَصْدُرَ مِنْهُ جَمِيعُ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ خَالِصَةً لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَطَلَبِ ثَوَابِهِ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ، وَهَرَبًا مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ، لَيْسَ فِيهَا شَائِبَةُ رِيَاءٍ، أَوْ سُمْعَةٍ، أَوْ قَصْدِ نَفْعٍ، أَوْ غَرَضٍ شَخْصِيٍّ، أَوْ شَهْوَةٍ ظَاهِرَةٍ، أَوْ خَفِيَّةٍ.

وَالْإِخْلَاصُ: هُوَ رَأْسُ الْأَمْرِ وَعَمُودُهُ، وَأَسَاسُهُ، وَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَسِرُّ قَبُولِهَا، وَبِهِ يَكُونُ عَوْنُ اللَّهِ وَتَوْفِيقُهُ لِلْعَبْدِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

أَيُّ: مَنْ اتَّقَاهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ، بِأَنْ يَكُونَ عَمَلًا صَالِحًا خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى...

كَمَا رُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { كُونُوا لِقَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْكُمْ بِالْعَمَلِ، فَإِنَّهُ لَنْ يُقْبَلَ عَمَلٌ إِلَّا مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ عَمَلٌ يُتَقَبَّلُ }؟.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

قَالَ فِي الْكَشَافِ: قِيلَ: نَزَلَتْ فِي جُنْدَبِ بْنِ زُهَيْرٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلَّهِ، فَإِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ سَرَرَنِي، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مَا شُورِكَ فِيهِ}.

وَرُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

وَالْإِخْلَاصُ: شَرَطُ لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أُريدَ بِهِ وَجْهُهُ.

وَأَعْلَمُ: يَا بُنَيَّ: أَنَّ لِلْإِخْلَاصِ فَوَائِدَ عَظِيمَةً وَمَنَافِعَ جَمَّةً:

فَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّهُ مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ نِيَّتَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَقَذَفَ فِي قَلْبِهِ مِنْ نُورِهِ، وَأَجْرَى اللَّهُ الْحِكْمَةَ عَلَى قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ، وَبَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ مَبْلَغًا عَظِيمًا..

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ }.

وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: قَبُولُ الْأَعْمَالِ.

فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا يَلْتَمِسُ الْخَيْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟

قَالَ: { لَا شَيْءَ لَهُ }.

يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: { إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا خَلَصَ لَهُ، وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ }.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا أُخْلِصَ لَهُ }.

وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: يَكْفِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا هَمَّكَ، مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَإِذَا أَحْسَنْتَ سَرِيرَتَكَ أَحْسَنَ اللَّهُ عِلَاقَتَكَ، وَإِذَا أَصْلَحْتَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ، أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ. أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْفِي هَذَا الْعَبْدُ الْمُخْلِصَ شَأْنَ النَّاسِ، مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، فَلَا يَصِلُهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ مِنْ جِهَتِهِمْ.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ، وَمَنْ عَمَلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ }.

وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّ الْعَمَلَ الْخَالِصَ الْقَلِيلَ مِنْهُ يَجْزِي سَبَبٌ لِلْفَوْزِ بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: { أَخْلِصِ الْعَمَلَ يُجْزِكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ }.

وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّهُ مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ نِيَّتَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ خَلَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَتَسَلُّطِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْخَبَارًا عَمَّا قَالَه إِبْلِيسُ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾.

وَمِنْ فَوَائِدِ الْإِخْلَاصِ: أَنَّهُ سَبَبٌ لِيَصْرِفَ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ، قَالَ تَعَالَى: فِي قِصَّةِ يُوسُفَ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾...

فَالْإِخْلَاصُ: هُوَ مِنْ أَقْوَى الْأَسْلِحَةِ لِلتَّصَدِّي لِكَيْدِ الشَّيْطَانِ فَالْإِخْلَاصُ: هُوَ الْحَاجِزُ الْمَنِيْعُ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَالْإِنْسَانِ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَسْلِحَةِ الرَّبَّائِيَّةِ، وَالْعِلَاجَاتِ الْوَاقِيَةِ لِلْمُؤْمِنِ فِي حَرْبِهِ الشَّرِسَةِ مَعَ عَدُوِّهِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ الثَّابِتَةُ أَقَرَّ بِهَا الشَّيْطَانُ نَفْسَهُ، وَاعْتَرَفَ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾.

فَبَيَّنَ أَنَّ سُلْطَانَ الشَّيْطَانِ وَإِغْوَاءَهُ إِنَّمَا هُوَ لِغَيْرِ الْمُخْلِصِينَ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَعْلَمُ أَنَّ كَيْدَهُ لَا يُفِيدُ عِنْدَ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ جَمِيعًا أَنَّ نَصِيبَ الشَّيْطَانِ مِنَّا بِقَدَرِ

خُلُونَا مِنَ الْإِخْلَاصِ، فَالْقَلْبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ خَالِصًا لِلَّهِ، مُتَوَجِّهًا
إِلَيْهِ، تَمْلِكُهُ الشَّيْطَانُ وَاسْتَحُوذَ عَلَيْهِ..

فَالْإِخْلَاصُ: هُوَ السَّبَبُ الْمُبَاشِرُ فِي الِاسْتِثْنَاءِ، وَلِإِخْلَاصِ لِلَّهِ
وَحْدَهُ دُونَ إِشْرَاكِ أَيِّ شَيْءٍ مَهْمَا كَانَ ضَعِيفًا مَعَهُ مِنْ هَوَى
وَنَفْسٍ، وَزَوْجٍ وَوَلَدٍ وَمَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ ثَنَاءٍ، أَوْ شُهْرَةٍ، أَوْ سُمْعَةٍ
أَوْ حُظُوظِ الدُّنْيَا.

هَذَا الْإِخْلَاصُ هُوَ الزَّادُ الْمُفِيدُ لِذَلِكَ السَّفَرِ وَهُوَ الدَّرْعُ الْوَاقِي
لِهَاجِمَاتِ إِبْلِيسَ.

فَأَيْنَ الْمُخْلِصُونَ؟ قَلَّ عَدَدُهُمْ وَضَعُفَتْ هِمْمُهُمْ وَتَلَاشَتْ عِدَّتُهُمْ
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُكَثِّرَهُمْ وَأَنْ يُقَوِّي عَزَمَهُمْ وَيَشْدُدَّ أَرْزَهُمْ حَتَّى يَرُدُّوا
الْأُمَّةَ بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ إِلَى جَادَّةِ الطَّرِيقِ...

فَكُنْ يَابْنِي: مِنَ الْمُخْلِصِينَ، فَإِنَّهُمْ فِي كَنَفِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ
وَرِعَايَتِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَعِصْمَتِهِ، قَدْ بَجَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَكَائِدِ
الشَّيْطَانِ، وَمَصَائِدِهِ، وَحَبَائِلِهِ الَّتِي يُفْتَتَنُ بِهَا النَّاسُ...

فَيَا خَبِيَّةَ مَنْ لَمْ يُخْلِصْ لِلَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ.
فَاللَّهُ اللَّهُ: فِي الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ رُوحُ الْعَمَلِ وَسَبَبُ قَوَامِهِ.

فَطُوبَى: لِمَنْ أَخْلَصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي إِرْشَادِهِ، وَأَخْلَصَ عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ، وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ، وَأَخَذَهُ وَتَرَكَهُ، وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ، وَقَوْلَهُ وَفِعْلَهُ..

وَطُوبَى: لِمَنْ طَهَّرَ قَلْبَهُ مِنَ الرِّيَاءِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالْعُجْبِ، وَالْمُبَاهَاةِ وَالْفَخْرِ، وَالْكِبْرِ، وَطَلَبِ الذِّكْرِ، وَالشُّهْرَةِ، وَالظُّهُورِ، وَسَائِرِ الْمُهْلِكَاتِ.

فَإِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ لِلَّهِ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ لِلَّهِ، وَإِنْ نَظَرَ نَظَرَ لِلَّهِ وَإِنْ غَضَّ طَرْفَهُ غَضَّهُ لِلَّهِ، وَإِنْ بَطَشَ بَطَشَ لِلَّهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، فَكُلُّ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ خَالِصَةٌ لَوَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يُرِيدُ بِهَا تَعْظِيمًا مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَوْقِيرًا، وَلَا ثَنَاءً مِنَ النَّاسِ، وَلَا جَلْبَ نَفْعٍ، وَلَا دَفْعَ ضَرَرٍ، لَا يُرِيدُ بِهَا جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَلَا غَرَضًا مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا، لَا يَبْتَغِي بِكُلِّ ذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَّارَ الْآخِرَةَ..

فَطُوبَى ثُمَّ طُوبَى: لِلْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا أَعْمَالَهُمْ مِنْ شَوَائِبِ الْأَقْدَارِ، وَمَحَضُوا عِبَادَتَهُمْ لِلْمَلِكِ الْغَفَّارِ، فَهُمْ الْوَاصِلُونَ لِلْحَبْلِ وَالْبَازِلُونَ لِلْفُضْلِ، وَالْحَاكِمُونَ بِالْعَدْلِ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى تَنْجِلِي عَنْهُمْ كُلَّ فِتْنَةٍ ظُلْمَاءَ...

حَسَنُ الْخُلُقِ

وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَسَعَةِ الصَّدْرِ، وَالْحِلْمِ، وَالرَّفْقِ،
وَلِينِ الْجَانِبِ، وَتَزَكِيَةِ النَّفْسِ وَإِصْلَاحِهَا، وَتَطْهِيرِهَا.

إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنْ أَجْمَلِ الزَّيْنَةِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَذَلِكَ
أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ كَثُرَ مُصَافُوهُ، وَقَلَّ مُعَادُوهُ
فَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ الصَّعَابُ، وَلَانَتْ لَهُ الْقُلُوبُ الْغَضَابُ.

وَأَعْلَمْ: يَا بُنَيَّ: أَنَّ لِلْأَخْلَاقِ الْحُسَنَةِ، مَكَانَةً عَظِيمَةً، وَأَنَّ أَفْضَلَ
الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا.

فَفِي مَجْمُوعِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ، زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ {إِنَّ أَفْضَلَكُمْ
إِيمَانًا أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطَّئُونَ أَكْنَافًا، الْوَاصِلُونَ لِأَرْحَامِهِمْ
الْبَازِلُونَ لِمَعْرُوفِهِمْ، الْكَافُونَ لِأَذَاهُمْ، الْعَافُونَ بَعْدَ قُدْرَةٍ}.

وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ إِيمَانٍ مَنْ حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ، الْمَوْصُوفُ
بِتِلْكَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ، الَّتِي هِيَ أُمَمَاتُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فِي
أَبْوَابِهَا، الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الْخَبَرُ عَلَى مَنْ تَخَلَّقَ بِهَا.

وَيَدُلُّ عَلَى الْحَثِّ، وَالتَّرْغِيبِ فِي التَّخَلُّقِ بِتِلْكَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ.

وَحُسْنُ الْخُلُقِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ:

كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، فَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ فِي الْجَنَّةِ لَا مَحَالَةَ}.

بَيَّنَ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يُدْخِلُ صَاحِبَهُ الْجَنَّةَ.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِنَّ الْعَبْدَ يَنَالُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ}.

وَاعْلَمْ: يَا بُنَيَّ: أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

فَفِي صَحِيفَةِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ}..

وَهَذَا يَدُلُّنَا بِأَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ مِنْ أَثْقَلِ مَا يَجِدُ الْمَرْءُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«الْحُسْنُ الْخُلُقِ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، وَالْحُسْنُ الْخُلُقِ يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَلَيْنَ جَانِبِهِ مِنْ مَوَدَّةِ النَّاسِ، مَا لَا يُدْرِكُهُ الْمُعْطَى لِلْمَالِ الَّذِي لَا خُلُقَ لَهُ مِنَ الرِّجَالِ، فَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ

فَلْيَشْكُرِ اللَّهَ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهَا أَكْبَرُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ مَا بَلَّغْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ نَهَارِهِ، الْقَائِمِ لَيْلِهِ، الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّ سَيِّءَ الْخُلُقِ لَيُكْتَبُ جَبَّارًا، وَإِنْ لَمْ يَمْلِكْ إِلَّا أَهْلُهُ} . انتهى كلامُ الإمام الهادي.....

فَأَنْتَ يَا بُنَيَّ: بِحُسْنِ خُلُقِكَ تَبْلُغُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ نَهَارِهِ، وَالْقَائِمِ لَيْلِهِ، وَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَأَنْتَ يَا بُنَيَّ: بِسُوءِ الْخُلُقِ تُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ جَبَّارًا، وَإِنْ لَمْ تَمْلِكْ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِكَ.

وَأَعْلَمْ: يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَبْلُغُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ أَعْظَمَ الدَّرَجَاتِ وَأَشْرَفَ الْمَنَازِلِ، عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَمَلٌ كَثِيرٌ وَأَنَّهُ يَصِلُ بِسُوءِ الْخُلُقِ إِلَى أَسْفَلِ دَرَكٍ فِي النَّارِ، وَإِنْ كَثُرَ عَمَلُهُ..

كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَكٍ فِي جَهَنَّمَ} .

ثُمَّ أَعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ لِحُسْنِ الْخُلُقِ فَضَائِلَ عَدِيدَةً:

فَهُوَ امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَبِهِ تُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، وَتُسَرُّ الْأُمُورُ، وَتُسْتَرُّ الْعُيُوبُ، وَتُكْسَبُ الْقُلُوبُ.

وَيُحْسِنُ الْخُلُقَ يَنَالُ الْإِنْسَانُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَبِهِ يَسْلَمُ الْمَرْءُ مِنْ شُرُورِ الْخُلُقِ، وَيَفِي بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ، كَمَا أَنَّ بِهِ السَّلَامَةَ مِنْ مَضَارِّ الطَّيِّشِ وَالْعَجَلَةِ.

وَبِهِ رَاحَةُ الْبَالِ، وَطِيبُ الْعَيْشِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَضَائِلِ حُسْنِ الْخُلُقِ.

يَا بَنِي: إِنَّ الْأَخْلَاقَ الْكَرِيمَةَ، وَالْمُعَامَلَةَ الْحَسَنَةَ، وَالْخُلُقَ الْعَالِي وَالْأَدَبَ الرَّفِيعَ مَعَ الْخُلُقِ، هِيَ الْبَلَسَمُ الشَّافِي، وَالِدَوَاءُ الْكَافِي وَهِيَ الَّتِي تَأْسِرُ الْقُلُوبَ، وَتُخَضِّعُ النُّفُوسَ، فَهِيَ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ وَمَغْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ، وَلَهَا أَثَرٌ عَجِيبٌ فِي نَفُوسِ النَّاسِ، وَفِي قُلُوبِهِمْ وَتَهْذِيبِ أَخْلَاقِهِمْ، وَإِصْلَاحِهَا.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَكُلُّ حُسْنِ خُلُقٍ مُفْضٍ مِنْ حَسَنَةٍ إِلَى حَسَنَةٍ إِلَى أَنْ تُضَاعَفَ الْحَسَنَاتُ، وَكَذَا سَيِّئُهُ.

وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِالْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ، وَرَحْمَةِ الْيَتِيمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَلِينِ الْجَانِبِ، وَلِينِ الْكَلَامِ، وَبَذْلِ السَّلَامِ وَالسَّمَاخَةِ، وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ، وَاجْتِنَابِ الْغِيْبَةِ، وَالْكَذِبِ وَالْبُخْلِ، وَالشُّحِّ، وَالْجَفَاءِ، وَاجْتِنَابِ الْمَكْرِ، وَالْخَدِيعَةِ، وَالنَّمِيمَةِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، فَإِنَّهَا مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ، وَأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ الْفَاضِلَةِ..

قَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وَعَلَيْكُمْ بِالْعَمَلِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ، وَالتَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَالْمُوَاسَاةِ فِي الْمَالِ، لِذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَغَضِّ الْبَصَرِ، وَعِفَّةِ الْبَطْنِ، وَحِفْظِ الْفَرْجِ، وَأَكْلِ الْحَلَالِ، وَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ، وَتَرْكِ الدُّنْيَا، وَاسْتِعْمَالِ الْوَرَعِ، وَالتَّضَرُّعِ فِي الدُّعَاءِ، وَالصِّيَانَةِ وَالْحُشُوعِ، وَالرَّحْمَةِ وَالْخُضُوعِ، وَالرَّافَةِ وَالرَّقَّةِ وَالرَّفْقِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَمُدَارَاةِ الضَّعِيفِ وَالْمُسْلِمِ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ، وَالْحَيَاءِ وَالْكَرَمِ، وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَكَفِّ الْأَذَى، وَالْعَفْوِ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَالْكَفِّ عَمَّنْ شَتَمَكَ، وَالتَّفَضُّلِ

عَلَى مَنْ حَرَمَكَ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ
وَالنَّاسِ نِيَامًا.

وَرَأْسُ الْأَمْرِ وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ، وَوَسْطُهُ وَتَمَامُهُ، النَّصِيحَةُ لِلْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ
وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَتَرْكُ الْغِشِّ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ.

فَهَذَا - وَفَّقَكُمُ اللَّهُ - دِينُ الْمُؤْمِنِينَ وَدِينِي، وَمَا عَلَيْهِ اعْتِقَادِي». الخ
انتهى...



طَلَبُ الْحَلَالِ:

وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِإِصْلَاحِ مَالِكَ وَالرَّعَايَةِ لَهُ، وَالْاهْتِمَامِ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْكَ لِتُنْفِقَ مِنْهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَمَنْ تَعُولُ مِنْ وَالِدٍ أَوْ وَلَدٍ، أَوْ زَوْجَةٍ، وَتَسْتَغْنِي بِهِ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّ الْغِنَى مِنَ الْعَافِيَةِ يَعْنِي: الْغِنَى عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَظِيمٌ، بَلِ التَّكْسِبُ مِنَ الْحَلَالِ، مِنْ أَهَمِّ الْوَاجِبَاتِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ ثَوَابٌ كَثِيرٌ، وَأَجْرٌ عَظِيمٌ.

وَأَعْلَمْ: يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْإِسْلَامَ يَحْتَئُ عَلَى الْعَمَلِ، فِي طَلَبِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَالْكَسْبِ الطَّيِّبِ، وَإِنْفَاقِهِ عَلَى نَفْسِكَ، وَوَالِدَيْكَ وَزَوْجَتِكَ، وَأَوْلَادِكَ، وَأَهْلِكَ، وَأَقَارِبِكَ، وَأَرْحَامِكَ، وَجَمِيعِ مَنْ تَلَزُمُكَ، نَفَقَتُهُمْ، وَتَسُدُّ بِهِ خَلَّتَهُمْ، وَتُوَدِّي بِهِ أَمَانَتَكَ، وَتَقْضِي بِهِ دُيُونَكَ، وَتَصُونُ بِهِ نَفْسَكَ، وَعَرِضَكَ، وَتَحْفَظُ بِهِ مَاءَ وَجْهِكَ وَوُجُوهَ عِيَالِكَ، عَنِ التَّطَلُّعِ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَيَسْتَغْنُونَ بِذَلِكَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ، وَلَا يَكُونُونَ عَالَةً عَلَى النَّاسِ، وَلَا كَلَالًا عَلَى غَيْرِهِمْ....

يَا بُنَيَّ: لَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُنْفِقَ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَبَوَيْهِ
وَزَوْجَتِهِ، وَالْأَوْلَادِ الصَّغَارِ، وَالْأَهْلِ، وَالْأَقَارِبِ...
فَالنَّفَقَةُ عَلَى نَفْسِكَ، وَاجِبَةٌ، وَالنَّفَقَةُ عَلَى وَالِدَيْكَ وَاجِبَةٌ، وَالنَّفَقَةُ
عَلَى زَوْجَتِكَ وَاجِبَةٌ، وَالنَّفَقَةُ عَلَى أَوْلَادِكَ وَاجِبَةٌ، وَالنَّفَقَةُ عَلَى
أَهْلِكَ، وَأَقَارِبِكَ، وَأَرْحَامِكَ، وَجَمِيعِ مَنْ تَلْزُمُكَ نَفَقَتُهُمْ وَاجِبَةٌ
بِقَدْرِ الْكِفَايَةِ...

وَمِثْلَ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ، لَا يُمَكِّنُهُ تَأْدِيتُهَا، وَلَا تَبَرُّأُ ذِمَّتُهُ، وَلَا يَحْصُلُ
لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَحْصِيلِ الْمَالِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ بِالْكَسْبِ، وَمَا يُتَوَصَّلُ
بِهِ إِلَى آدَاءِ الْوَاجِبِ يَكُونُ وَاجِبًا....

وَمَنْ لَا يُحِبُّ آدَاءَ مِثْلِ هَذَا الْوَاجِبِ الْعَظِيمِ، الَّذِي لَا يَقُومُ الدِّينُ
إِلَّا بِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ.

وَلِذَلِكَ أَوْجَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: السَّعْيَ وَالْعَمَلَ
فِي طَلَبِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، لِأَنَّ طَلَبَ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ
مُسْلِمٍ...

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:
{طَلَبُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ}.

قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وَفِي مَجْمُوعِ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ أَوْ يَكُونُ عِيَالًا عَلَى النَّاسِ }.

قَالَ فِي الرَّوضِ النَّضِيرِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْمُهَدِّيُّ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ شَيْؤُخَنَا: «التَّكْسِبُ لِلنَّفْسِ وَالْأَوْلَادِ، مِنْ أَهَمِّ الْوَاجِبَاتِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَعْنَى بِمَا رَكَّبَ فِينَا مِنْ حُبِّ الْمَالِ عَنِ التَّصْرِيحِ بِإِجَابِهِ كَأِجَابِ الصَّلَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالزَّكَاةِ، وَذَلِكَ لِمَا فِي تَحْصِيلِهِ مِنَ التَّحَرُّزِ عَنْ أَذِيَّةِ النَّاسِ بِالسُّؤَالِ، وَتَحْمُلِ مَنَّتِهِمُ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَحْظُورَاتِ وَلِمَا فِي جَمْعِ الْمَالِ مِنْ حِفْظِ الْوَرَعِ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ». انْتَهَى... وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مَنْ أَصْلَحَ مَالَهُ فَقَدْ صَانَ الْأَكْرَمِينَ: الدِّينَ وَالْعِرْضَ». انْتَهَى...

وَانْظُرِيَا بُنَيَّ: إِلَى مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي طَلَبِ
الرِّزْقِ الْحَلَالِ، مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ التَّكْسُّبِ مِنَ
الْحَلَالِ، فِيمَا يَعُودُ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ.

فَفِي أَمَالِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ
أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: { سَبْعَةٌ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ
لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

شَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَنَسَبٍ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ: إِنِّي
أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَرَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فَأَسْبَغَ الطَّهُورَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ
اللَّهِ لِيُقِيمَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، فَهَلَكَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ.

وَرَجُلٌ خَرَجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا.

وَرَجُلٌ خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَرَجُلٌ خَرَجَ ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ يَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ مَا يَكْفِي بِهِ
نَفْسَهُ، وَيَعُودُ بِهِ عَلَى عِيَالِهِ.

وَرَجُلٌ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بَعْدَ مَا هَدَّاتِ الْعُيُونُ فَأَسْبَغَ الطَّهَوْرَ ثُمَّ قَامَ إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ فَهَلَكَ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ}.

أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ فِي الْمَجْمُوعِ....

وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الْإِنْفَاقُ عَلَى الزَّوْجَةِ، وَالْوَالِدَيْنِ، وَالْأَوْلَادِ، مَعَ كَوْنِهِ وَاجِبًا صَدَقَةً...

فَفِي أَمَالِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنِ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبِ الْكِنْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {مَا كَسَبَ رَجُلٌ كَسْبًا أَطْيَبُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ}.

وَفِي أَمَالِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ دَخَلَ الشُّوقَ فَحَمَلَ مِنْهَا طُرْفَةً إِلَى عِيَالِهِ، كَانَ كَحَامِلٍ صَدَقَةٍ، وَلَيْبَدًا بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ، فَإِنَّ مَنْ أَقَرَّ بَعِينَ أَنْثَى أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ، أَوْ قَالَ: بَعِينَ يَوْمَ الْحُزْنِ، وَمَنْ فَرَّحَ أَنْثَى فَكَأَنَّمَا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَمَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ}.

وَفِي أَمَالِي الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فِي عَبَاءَتَيْنِ قَطَوَانِيَّتَيْنِ فَقَالَ: {مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا

حَلَالًا، رِقَّةً عَلَى وَالِدٍ، أَوْ وَلَدٍ، أَوْ زَوْجَةٍ، أَوْ جَارِهِ، بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجَّهَهُ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا، مُرَائِيًا، مُرَاغِمًا، مُكَاثِرًا، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ}.

وَفِي مَجْمُوعِ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ: {مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا، تَعَطُّفًا عَلَى وَالِدٍ، أَوْ وَلَدٍ، أَوْ زَوْجَةٍ، بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَوَجَّهَهُ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ}.

وَفِي مَجْمُوعِ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: {الْإِكْتِسَابُ مِنَ الْحَلَالِ جِهَادٌ، وَإِنْفَاكُ إِيَّاهُ عَلَى عِيَالِكَ وَأَقَارِبِكَ صَدَقَةٌ، وَلَدِرْهُمْ حَلَالٌ مِنْ تِجَارَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عَشْرَةٍ مِنْ غَيْرِهِ}.

وَالْمُؤْمِنُ صَاحِبُ الْحِرْفَةِ، أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذِي الْبَطَالَةِ...

فَفِي مَجْمُوعِ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: {جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْكَسْبِ أَفْضَلُ؟}

فَقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَزِفَ، وَمَنْ كَدَّ عَلَى عِيَالِهِ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ}.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ}.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ كَانَ يَصْنَعُ الدُّرُوعَ.

وَكَانَ أَيْضًا: يَصْنَعُ الْخُوصَ.

وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.

وَكَانَ آدَمُ حَرَّاثًا.

وَنُوحٌ نَحَّارًا.

وَلُقْمَانُ خَيَّاطًا.

وَطَالُوتُ دَبَّاحًا.

وَقِيلَ: سَقَاءٌ.

فَالصَّنْعَةُ يَكْفُ بِهَا الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ، وَيَدْفَعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ الضَّرَرَ وَالْبَأْسَ. انْتَهَى...

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {مَنْ سَعَى عَلَى وَالِدَيْهِ
فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى
عَلَى نَفْسِهِ لِيُعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى التَّكَاثُرِ فَهُوَ
فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ}.

وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ
وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا
أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ}.

وَعَنِ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:
{مَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ صَدَقَةً يَسْتَعِفُّ بِهَا فَهِيَ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْفَقَ
عَلَى امْرَأَتِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَهِيَ صَدَقَةٌ}.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

{وَلَا تَتَكَلَّ فِي مَعِيشَتِكَ عَلَى كَسْبِ غَيْرِكَ، تَنْتَظِرُ مَتَى يَتَصَدَّقَ
عَلَيْكَ}.

وَرَوَى أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ:

{يَا بَنِيَّ: اسْتَعِنِ بِالْكَسْبِ الْحَلَالِ فَإِنَّهُ مَا افْتَقَرَ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا
أَصَابَهُ ثَلَاثُ خِصَالٍ:

رِقَّةٌ فِي دِينِهِ.

وَضَعْفٌ فِي عَقْلِهِ.

وَذَهَابٌ مُرْوَعَتِهِ.

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِخْفَافُ النَّاسِ بِهِ {.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: وَقَدْ سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ؟

فَقَالَ: «بَذْلُ الْحِيلَةِ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ، وَقَلَّةُ الْحَوَائِجِ إِلَى النَّاسِ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ».

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ: عَنْ مُبَارَكٍ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: فِيمَا يُوصِي بِهِ: «يَا أَخِي: عَلَيْكَ بِالْكَسْبِ الطَّيِّبِ، وَمَا تَكْسِبُ بِيَدِكَ.

وَإِيَّاكَ: وَأَوْسَاخَ النَّاسِ أَنْ تَأْكُلَهُ أَوْ تَلْبَسَهُ، فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْسَاخَ النَّاسِ^(١) مِثْلُهُ مِثْلُ عُلْيَةِ لِرَجُلٍ، وَسُفْلُهُ لَيْسَ لَهُ، فَهُوَ لَا يَزَالُ عَلَى خَوْفٍ أَنْ يَقَعَ سُفْلُهُ، وَتَتَهَدَّمْ عُلْيَتُهُ، فَالَّذِي يَأْكُلُ

(١) - قَوْلُهُ: «يَأْكُلُ أَوْسَاخَ النَّاسِ»، وَهِيَ: الرِّكَوَاتُ، وَالْفِطْرَةُ، وَالْكَفَّارَاتُ، الَّتِي يَنْطَهَرُونَ بِهَا مِنْ دُنُوبِهِمْ، وَالَّتِي هِيَ طَهْرَةٌ لِلْمَرْكَبِ، لِأَنَّ الرِّكَاهَ يُطَهِّرُ الْمَرْكَبَ مِنَ أَجْسَادِ الدُّنُوبِ، وَنَقِيَّتِهِ مِنْ أَوْسَاخِهَا، وَتُرْكِي أَخْلَاقَهُ بِالتَّحَلِّيِ بِالْجُودِ وَالسَّخَاءِ، وَتُطَهَّرُ الْمَالُ الْمَرْكَبُ، وَرِكَاهُ الْفِطْرِ الَّتِي هِيَ طَهْرَةٌ لِلصَّائِمِ، لِأَنَّهَا تُطَهِّرُ الصَّائِمَ مِنَ اللَّعْوِ وَالرَّفَثِ...

وَمَعْنَى (أَوْسَاخَ النَّاسِ) أَنَّهَا تُطَهِّرُ لَأَمْوَالِهِمْ، وَتَنْفُسِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾....

أَوْسَاخِ النَّاسِ هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهَوًى، وَيَتَوَاضَعُ لِلنَّاسِ مَخَافَةً أَنْ يُمَسِّكُوا عَنْهُ.

وَيَا أَخِي: إِنْ تَنَاوَلْتَ مِنَ النَّاسِ شَيْئًا قَطَعْتَ لِسَانَكَ، وَأَكْرَمْتَ بَعْضَ النَّاسِ، وَأَهَنْتَ بَعْضَهُمْ، مَعَ مَا يَنْزِلُ بِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الَّذِي يُعْطِيكَ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ فَإِنَّمَا هُوَ وَسَخُهُ، وَتَفْسِيرُ وَسَخِهِ تَطْهِيرُ عَمَلِهِ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَإِنْ أَنْتَ تَنَاوَلْتَ مِنَ النَّاسِ شَيْئًا إِنْ دَعَوَكَ إِلَى مُنْكَرٍ أَجَبْتَهُمْ. وَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْسَاخِ النَّاسِ كَالرَّجُلِ لَهُ شُرَكَاءُ فِي شَيْءٍ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَاسِمَهُمْ.

يَا أَخِي: جُوعٌ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْعِبَادَةِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَشْبَعَ مِنْ أَوْسَاخِ النَّاسِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْعِبَادَةِ.

وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَخَذَ حَبْلًا ثُمَّ اخْتَطَبَ حَتَّى يُدَبِّرَ ظَهْرَهُ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَقُومَ عَلَى رَأْسِ أَخِيهِ يَسْأَلُهُ أَوْ يَرْجُوهُ}.

وَبَلَّغْنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ حَمْدَنَا، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلِ اتَّهَمْنَا، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ، وَلَا تَزِيدُوا

الْحُشُوعَ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ، اسْتَبَقُوا فِي الْخَيْرَاتِ، وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى النَّاسِ، فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: {إِنَّ الَّذِي يَعِيشُ مِنْ أَيْدِي النَّاسِ كَالَّذِي يَغْرُسُ شَجَرَةً فِي أَرْضٍ غَيْرِهِ}..

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا أَخِي: فَإِنَّهُ مَا نَالَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ شَيْئًا إِلَّا صَارَ حَقِيرًا ذَلِيلًا عِنْدَ النَّاسِ، وَالْمُؤْمِنُونَ شُهُودُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

وَأَيَّاكَ: أَنْ تَكْسِبَ خَبِيثًا فَتُنْفِقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنْ تَرَكَهُ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاجِبَةً، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، أَرَأَيْتَ رَجُلًا أَصَابَ ثَوْبَهُ بَوْلٌ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُطَهِّرَهُ، فَعَسَلَهُ بِبَوْلٍ آخَرَ، أَتَرَى كَانَ ذَلِكَ يُطَهِّرُهُ؟ كَلَّا إِنَّ الْقَدِرَ لَا يُطَهِّرُ إِلَّا بِطَيِّبٍ فَكَذَلِكَ لَا تُمَحَى السَّيِّئَةُ إِلَّا بِالْحَسَنَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ لَا يَقْبَلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، أَوْ هَلْ عَمِلَ أَحَدٌ ذَنْبًا فَمَحَاهُ بِذَنْبٍ؟ انتَهَى...

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ: عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: «عَلَيْكَ بِعَمَلِ الْأَبْطَالِ، الْكَسْبُ مِنَ الْحَلَالِ، وَالْإِنْفَاقُ عَلَى الْعِيَالِ»..

وَفِي الْحَلِيَّةِ أَيْضاً: عَنْ رَوَّادِ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: «كَانَ الْمَالُ فِيمَا مَضَى يُكْرَهُ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ تُرْسُ الْمُؤْمِنِ».

وَفِي الْحَلِيَّةِ أَيْضاً: عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ: قَالَ: وَقَالَ سُفْيَانُ: «مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْ هَذِهِ شَيْءٌ فَلْيُصْلِحْهُ، فَإِنَّهُ زَمَانٌ مِّنْ احْتِاجٍ كَانَ أَوَّلَ مَا يَبْدُلُ دِينَهُ»...

وَرَوَى الدِّينَوْرِيُّ فِي الْمُجَالَسَةِ: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: «أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْعِلْمِ فِي كِفَايَةٍ لَّأَنَّ الْآفَاتِ إِلَيْهِمْ سَرِيعَةٌ، وَالسِّنَّةُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ أَسْرَعُ، وَإِذَا احْتِاجَ ذَلَّ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْبُضَيْعَةُ الَّتِي مَعِيَ لَتَمَنَّدَلَ الْمُلُوكُ بِي، وَإِذَا رَأَيْتَ الْقَارِيَّ يَلْزِمُ بَابَ الْمُلُوكِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصٌّ».

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: «لَا يَقَعُ مِنَ الْفَضْلِ شَيْءٌ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِثْلُ السَّعْيِ عَلَى الْعِيَالِ»..

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُرِيدُ جَمْعَ الْمَالِ مِنْ حِلِّهِ، يُعْطَى مِنْهُ حَقُّهُ، وَيَكْفُ بِهِ وَجْهَهُ عَنِ النَّاسِ»..

وَفِي الْحَلِيَةِ أَيُّضًا: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ هَذَا الْمَالَ، يَصِلُ بِهِ رَحْمَهُ، وَيُؤَدِّي بِهِ أَمَانَتَهُ، وَيَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ خَلْقِ رَبِّهِ»...

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَةِ: قَالَ: كَانَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ يَقُولُ: «أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُكِبًّا عَلَيْهَا حَرِيصًا، مَنْ لَمْ يَرْضَ مِنْهَا إِلَّا بِالْكَسْبِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، وَإِنْ أَرْغَبَ النَّاسُ فِيهَا وَإِنْ كَانَ مُعْرِضًا عَنْهَا مَنْ لَمْ يُبَالِ لِمَا كَانَ كَسْبُهُ فِيهَا حَلَالًا أَمْ حَرَامًا، وَإِنْ أَجْوَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَنْ جَادَ بِحُقُوقِ اللَّهِ، وَإِنْ رَأَى النَّاسُ بَخِيلًا بِمَا سِوَى ذَلِكَ، وَإِنْ أَبْخَلَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا مَنْ بَخَلَ بِحُقُوقِ اللَّهِ، وَإِنْ رَأَى النَّاسُ جَوَادًا بِمَا سِوَى ذَلِكَ»...

وَرَوَى الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ: عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ خِيَارُكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِآخِرَةٍ، وَلَا مَنْ تَرَكَ الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا، وَلَكِنَّ خِيَارُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ»....

وَفِي شَرْحِ السُّنَّةِ أَيُّضًا: عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْلَا هَذِهِ الدَّنَائِيرُ لَتَمَنَدَلَ بِنَا هَؤُلَاءِ الْمُلُوكُ».

قَوْلُهُ: «لَتَمَنَدَلَ بِنَا هَؤُلَاءِ الْمُلُوكُ».

أَيُّ: لَا تَخْذُونَا مَنَادِيلَ لِأَوْسَاحِهِمْ: وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِبْتِذَالِ
وَالْمَذَلَّةِ لِلظَّلْمَةِ، بِالتَّرَدُّدِ إِلَيْهِمْ، وَالِدُّخُولِ عَلَيْهِمْ، وَطَلَبِ مَا
لَدَيْهِمْ....

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ: عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا
كَانَتْ الْعِدَّةُ أَيَّ الْمَالِ الْمُعَدُّ فِي زَمَانٍ أَصْلَحَ مِنْهَا فِي هَذَا
الزَّمَانِ»..

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ إِصْلَاحِ الْمَالِ: عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ:
أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «الْمَالُ فِي هَذَا الزَّمَانِ سِلَاحٌ».....

يَعْنِي: أَنَّ بِالْمَالِ يُدْفَعُ بِهِ شَرُّ الْأَعْدَاءِ، وَيُعَانُ بِهِ الْأَوْلِيَاءُ، فَإِنَّ
بِالْمَالِ يُنْتَصَرُ عَلَى الْعَدُوِّ، وَيُنْصَرُ دِينَ اللَّهِ، وَيَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى
إِذْلَالِ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَقَمْعِ شَوْكَتِهِمْ، وَبِهِ يُوقَعُ الْهَيْبَةُ فِي قُلُوبِ
أَعْدَائِهِ.

وَمَعْنَى كَلَامِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ: أَنَّ إِعْدَادَ الْمَالِ، وَاقْتِنَائِهِ رُبَّمَا كَانَ
مُحْتَاجًا إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، لَكِنْ فِي زَمَانِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْخُصُوصِ
زَادَتْ الْحَاجَةُ.

لَأَنَّ بِهِ يُحْفَظُ الْإِنْسَانُ عَنْ إِرَاقَةِ مَاءٍ وَجْهِهِ، فِيمَا لَا يَحِلُّ، أَوْ
التَّعَرُّضِ لِلسُّؤَالِ، أَوْ الضَّعْفِ، أَوْ الْحَاجَةِ إِلَى مَنْ يَبْدِيهِمُ الْمَالِ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْكَلَامُ فِي زَمَانِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ، فَمَا بِالْكُفِّ
 بِهَذَا الزَّمَانِ الَّذِي كَثُرَ فِيهِ الطَّمَعُ، وَالْحِرْصُ، وَالتَّكَالُبُ عَلَى الدُّنْيَا.
وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْمَالَ الْحَلَالَ جُنَّةٌ، أَيْ: يَبْقَى صَاحِبُهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي
 الشُّبُهَاتِ، وَيَبْقَى صَاحِبُهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ
 مُلَازِمَةِ الظُّلْمَةِ، وَمُؤَانَسَتِهِمْ، وَمُصَاحَبَتِهِمْ، وَمُدَاهَنَتِهِمْ، وَالرِّضَا
 بِأَعْمَالِهِمْ.

وَمِنَ الْمُؤَسَفِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، مِنَ الَّذِينَ يَكُونُ
 فِي أَيْدِيهِمُ الْمَالُ، وَالثَّرْوَةُ، سَوَاءً كَانُوا أَفْرَادًا، أَوْ مُنَظَّمَاتٍ دِينِيَّةٍ
 أَوْ جَمْعِيَّاتٍ دِينِيَّةٍ، أَوْ خَيْرِيَّةٍ، أَوْ أَحْزَابًا سِيَاسِيَّةٍ، لَا يُعْطُونَكَ شَيْئًا
 مِنَ الْمَالِ إِلَّا عَلَى حِسَابِ كَرَامَتِكَ، وَشَرَفِكَ، وَمُرُوءَتِكَ، بَلْ
 وَعَلَى حِسَابِ دِينِكَ وَعَقِيدَتِكَ، وَمَبَادِئِكَ.

نَعَمْ يَا بَنِي: فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، وَأَرْبَابِ الثَّرْوَةِ، وَالْمَالِ
 يَسْتَغْلُونَ حَاجَةَ النَّاسِ، وَضَعْفَهُمْ، وَخَلَّتِهِمْ، وَفَاقَتِهِمْ، وَفَقْرَهُمْ
 وَضِيقَ مَعَاشِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْلُونَ جَهْدًا فِي اسْتِغْلَالِهِمْ لِلْمُحْتَاجِينَ
 مِنَ النَّاسِ، وَتَسْخِيرِهِمْ فِي مَصَالِحِهِمْ، وَمَنَافِعِهِمْ الشَّخْصِيَّةِ
 الْخَاصَّةِ، أَوِ السِّيَاسِيَّةِ، أَوْ، أَوْ، أَوْ، إِلَى آخِرِهِ....

كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِهِ: {وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِذْبَارًا، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا. فَهَذَا أَوَانُ قَوِيَّتِ عُدَّتِهِ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمَكَنْتْ فَرِيسَتُهُ.

اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا} .. انْتَهَى ..

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا بَنِيهِ، فَقَالَ: «يَا بَنِيَّ: خُذُوا عَنِّي فَإِنَّهُ لَا أَحَدَ أَنْصَحُ لَكُمْ مِنِّي، إِذَا أَنَا مِتُّ فَسَوِّدُوا أَكْبَرَكُمْ، وَلَا تُسَوِّدُوا أَصْغَرَكُمْ، فَيَسْتَسْفُهُ النَّاسُ كِبَارَكُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِإِصْلَاحِ الْمَالِ، فَإِنَّهُ مَنبَهُهُ الْكَرِيمُ، وَيُسْتَغْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الْمَرْءِ، وَلَمْ يَسْأَلْ إِلَّا مَنْ تَرَكَ كَسْبَهُ». انْتَهَى.

وَإِيَّاكَ يَا بَنِيَّ: وَالْكَسَلَ، وَالْعَجْزَ، وَالتَّوَانِي فَإِنَّ الْكَسَلَ يُنْتِجُ الْفَقْرَ، وَمَنْ كَسَلَ افْتَقَرَ، وَمَنْ كَسَلَ عَنْ عَمَلِهِ طَمِعَ فِي كُلِّ غَيْرِهِ وَمَنْ كَسَلَ عَنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ فَهُوَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ أَكْسَلَ، وَمَنْ كَسَلَ

عَمَّا يُصْلِحُ بِهِ أَمْرَ مَعِيشَتِهِ فَلَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ لِأَمْرِ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَسَلَ
لَمْ يُؤَدِّ لِلَّهِ حَقًّا.

فَالِإِسْلَامُ دِينُ سَعْيٍ وَعَمَلٍ وَاجْتِهَادٍ، لَا دِينَ كَسَلٍ وَعَجْزٍ وَتَوَانٍ
دِينَ يُحَافِظُ عَلَى الْعِزَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْكَرَامَةِ الشَّخْصِيَّةِ..

وبالجملة: فَالسَّعْيُ عَلَى النَّفْسِ، وَالْوَالِدَيْنِ، وَالزَّوْجَةِ، وَالْأَوْلَادِ
لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَأَجْرٌ جَسِيمٌ، وَلِلْسَّعْيِ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ، فَضَائِلُ
لَا تُحْصَى، وَثَمَرَاتٌ لَا تُعَدُّ..

فَمِنْهَا: أَنَّهُ آدَاءٌ لِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى نَفْسِكَ،
وَالْوَالِدَيْنِ، وَالزَّوْجَةِ، وَالْأَوْلَادِ، مِمَّنْ وَجَبَتْ عَلَيْكَ نَفَقَتُهُ، إِذَا
اخْتَسَبَهُ الْمُنْفِقُ عِنْدَ اللَّهِ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى..

وَمِنْهَا: أَنَّهُ عِبَادَةٌ، مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، لِأَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِالْكَسْبِ
الَّذِي لَا يُقْصَدُ بِهِ التَّكَاثُرُ، وَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ التَّوَسُّلُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ
مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى النَّفْسِ، وَالْوَالِدَيْنِ، وَالزَّوْجَةِ، وَالْأَوْلَادِ، وَصِلَةِ
الْأَرْحَامِ، وَالتَّعَقُّفِ عَنْ وُجُوهِ النَّاسِ، هُوَ أَفْضَلُ مِنَ التَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ
مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، لِأَنَّ مَنَفْعَةَ الْإِكْتِسَابِ أَعَمُّ، فَإِنَّ مَا
اِكْتَسَبَهُ الزَّارِعُ تَصِلُ مَنَفَعَتُهُ إِلَى الْكَاسِبِ، وَإِلَى غَيْرِهِ، وَالسَّلَامَةُ عَنْ

الْبَطَالَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْفُضُولِ، لِأَنَّ فِي الْكَسْبِ كَسْرُ النَّفْسِ
وَالْتَعَفُّ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ.

وَالَّذِي يَشْتَغِلُ بِالْعِبَادَةِ إِنَّمَا يَنْفَعُ نَفْسَهُ، لِأَنَّهُ بِفِعْلِهِ يُحْصِلُ النِّجَاةَ
لِنَفْسِهِ، وَالثَّوَابَ لِجِسْمِهِ، وَمَا كَانَ نَفْعُهُ أَعَمَّ فَهُوَ أَفْضَلُ، لِقَوْلِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ } ...

وَبِالْكَسْبِ يَتِمَّ كُنْ مِنْ أَدَاءِ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ، كَالْجِهَادِ، وَالْحُجِّ
وَالصَّدَقَةِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ
وَفِي التَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ لَا يَتِمَّ كُنْ إِلَّا مِنْ أَدَاءِ بَعْضِ الْأَنْوَاعِ كَالصَّوْمِ
وَالصَّلَاةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ السَّعْيَ لِكَسْبِ الْعَيْشِ، وَطَلَبِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، جِهَادٌ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَكُونُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَأَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ...

وَمِنْهَا: أَنَّ السَّعْيَ وَالتَّسَبُّبَ فِي تَحْصِيلِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، صِيَانَةٌ
لِنَفْسِهِ عَنِ الْهَوَانِ، وَيَصُونُ بِهِ مَاءَ وَجْهِهِ، وَوَجْهَ عِيَالِهِ، عَنِ التَّطَلُّعِ
لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَيَقِي بِهِ عَرَضَهُ، مِنْ ذُلِّ الْفَاقَةِ، وَفِتْنَةِ الْفَقْرِ
وَشِدَّةِ نِزَاعِ النَّفْسِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ...

وَمِنْهَا: أَنَّ السَّعْيَ وَالتَّسَبُّبَ فِي تَحْصِيلِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، مَنْ اكْتَسَبَ فِيهَا مَالًا مِنْ حِلِّهِ وَأَنْفَقَهُ فِي حَقِّهِ، أَثَابَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأُورِدَهُ جَنَّتَهُ}...

وَمِنْهَا: أَنَّ السَّعْيَ وَالتَّسَبُّبَ فِي تَحْصِيلِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، سَبَبٌ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَذْخَلَهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ، وَالْمَنَافِعِ الْجَلِيلَةِ، الْجُمَّةِ، الَّتِي تَحْصُلُ بِسَبَبِ السَّعْيِ وَالتَّسَبُّبِ فِي تَحْصِيلِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ.....

فَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ لَهُ صِغَارٍ يُعْفُهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيُغْنِيهِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ...؟



آدابُ الكسبِ:

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ لِلتَّكْسِبِ شُرُوطًا:

مِنْهَا: أَنْ يَقْصِدَ بِعَمَلِهِ وَكَسْبِهِ، وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ
وَأَدَاءَ لِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى النَّفْسِ، وَالْوَالِدَيْنِ
وَالزَّوْجَةِ، وَالْأَوْلَادِ، مِمَّنْ وَجَبَتْ عَلَيْكَ نَفَقَتُهُ، لَا الْأَشْرَ، وَلَا الْبَطْرَ
وَلَا التَّكَاثُرَ....

وَمِنْهَا: أَنْ تَتَجَنَّبَ الْحَرَامَ، وَالْوُقُوعَ فِي الشُّبُهَاتِ.

وَمِنْهَا: تَحَرِّيَ الصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ
وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ.

وَمِنْهَا: عَدَمُ الانْشِغَالِ بِالتَّكْسِبِ مِنَ الْحَلَالِ عَنِ الْآخِرَةِ..

وَمِنْهَا: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ، وَالشُّكْرُ عَلَى حُصُولِ الْحَلَالِ
وَالْتَّصَبُّرُ عَلَى مَتَاعِبِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَشَاقِّهَا.

وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ مَا فَاتَ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِيهِ.

وَطَلَبُ الشَّيْءِ مِنْ وَجْهِهِ، مَعَ حُسْنِ الْقَصْدِ، وَالْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ الْأَمْرَ
بِيدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أُمُورٌ اِعْتِيَادِيَّةٌ، يَفْعَلُ اللَّهُ عِنْدَهَا مَا يَعْلَمُ
الْمَصْلَحَةَ فِيهِ، وَعَلَيْهِ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ أَنَّهُ الْمُحْسِنُ عَلَى
كُلِّ حَالٍ...

الاقتِصادُ في الإنفاقِ :

ومنها: الاقتِصادُ في المَعِيشَةِ، والرِّفقُ في الإنفاقِ، فعَلَيْكَ بِالِاقتِصادِ في العِيشِ، فَإِنَّ الاقتِصادَ في النِّفْقَةِ نِصفُ المَعِيشَةِ.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ: عَنْ ابْنِ عُمرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {الاقتِصادُ في النِّفْقَةِ نِصفُ المَعِيشَةِ}..

والاقتِصادُ هُوَ: التَّوَسُّطُ بَيْنَ التَّقْتِيرِ وَالتَّبَذِيرِ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ النِّفْقَةُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ.

وَهُوَ الْقَوَامُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ.

وَكَمَا امْتَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا بِالِاعْتِدَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

فَنَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ وَالتَّقْدِيرِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَنَا بِمُرَاعَاةِ الاقتِصادِ في النِّفْقَةِ

فَإِنَّ ذَلِكَ سَبِيلُ السَّعَادَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

مَحْسُورًا، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣١١﴾.

وَاعْلَمَ: أَنَّ اللَّهَ مَدَحَ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِتَوَسُّطِهِمْ فِي انْفَاقِهِمْ، فَلَا يُجَاوِزُونَ الْحَدَّ بِالْإِسْرَافِ فِي الْإِنْفَاقِ، وَلَا يَقْتُرُونَ.

أَيُّ: لَا يُضَيِّقُونَ فَيَبْخُلُونَ بِانْفَاقِ الْقَدْرِ اللَّازِمِ.

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، الْآيَةُ.

أَيُّ: لَيْسُوا مُبَذِّرِينَ فِي انْفَاقِهِمْ، فَيَصْرِفُوا فَوْقَ الْحَاجَةِ، وَلَا بُخْلَاءَ عَلَى أَهْلِيهِمْ، فَيَقْصُرُوا فِي حَقِّهِمْ، فَلَا يَكْفُوهُمْ بَلْ عَدْلًا خَيْرًا وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا، لَا هَذَا وَلَا هَذَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، أَيُّ: بَيْنَ ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالْقَتْرِ، ﴿قَوَامًا﴾، أَيُّ: عَدْلًا وَسَطًا سَالِمًا مِنْ عَيْبِ الْإِسْرَافِ وَالْقَتْرِ.

وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، جَاءَ مُوضَّحًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَوْصَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾، الْآيَةُ.

فَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، أَي: مُمْسِكَةً عَنِ
 الْإِنْفَاقِ إِمْسَاكًا كَلِيًّا، يُؤَدِّي مَعْنَى قَوْلِهِ هُنَا: ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾.
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾، يُؤَدِّي مَعْنَى قَوْلِهِ هُنَا: ﴿لَمْ
 يُسْرِفُوا﴾.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾.
 أَي: لَا تُمْسِكْ عَنِ الْإِنْفَاقِ بَحِيثُ تَضَيِّقٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَأَهْلِكَ
 فِي وُجُوهِ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَسَبِيلِ الْخَيْرَاتِ..
 وَالْمَعْنَى: لَا تَجْعَلْ يَدَكَ فِي انْقِبَاضِهَا كَالْمَغْلُولَةِ، الْمَمْنُوعَةِ مِنَ
 الْإِنْبِسَاطِ، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.
 أَي: وَلَا تَتَوَسَّعْ فِي الْإِنْفَاقِ تَوْسِعَةً مُفْرِطَةً، بَحِيثُ لَا يَبْقَى فِي
 يَدِكَ شَيْءٌ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَقَعْدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾.
 أَي: يَلُومُ نَفْسَهُ، وَيَلُومُهُ أَصْحَابُهُ أَيْضًا: يَلُومُونَهُ عَلَى تَضْيِيعِ
 الْمَالِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِبْقَاءِ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ فِي الضَّرِّ، وَالْمِحْنَةِ.
 فَعَلَّلَ الْإِسْرَافَ فِي الْإِنْفَاقِ بِأَنَّ عَاقِبَةَ فَاعِلِهِ أَنْ يَكُونَ مَلُومًا مِنَ
 النَّاسِ، وَمَحْسُورًا فِي نَفْسِهِ، وَالْمَحْسُورُ مَنْ حُسِرَ عَنْهُ سِتْرُهُ

فَانْكَشَفَ مِنْهُ الْمَغْطَى، وَيُطْلَقُ عَلَى مَنْ انْحَسَرَتْ قُوَّتُهُ
وَانْكَشَفَتْ عَنْ عَجْزِهِ، وَالْمَحْسُورُ الْمَغْمُومُ أَيْضًا.

وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي تَصِحُّ فِي وَصْفِ الْمُسْرِفِ فِي النَّفَقَةِ، يُوقِعُهُ
إِسْرَافُهُ فِي الْعُدْمِ وَالْفَقْرِ، إلخ.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

فَمَنْ لَمْ يَمْلِكْ إِلَّا مِائَةَ دِينَارٍ مَثَلًا وَمَعَهُ عِيَالُهُ وَأَوْلَادُهُ، وَلَا مَعِيشَةَ
لَهُمْ سِوَاهُ، فَأَنْفَقَ الْجَمِيعَ فِي وَلِيمَةٍ، فَهُوَ مُسْرِفٌ يَجِبُ مَنْعُهُ مِنْهُ
وَكَذَا لَوْ صَرَفَ جَمِيعَ مَالِهِ إِلَى نُقُوشِ حِيطَانِهِ، وَتَزْيِينِ بُنْيَانِهِ، فَهُوَ
أَيْضًا: إِسْرَافٌ مُحَرَّمٌ.

وَأَمَّا فِعْلُ ذَلِكَ مِمَّنْ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ، لِأَنَّ التَّزْيِينَ مِنْ
الْأَغْرَاضِ الصَّحِيحَةِ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي التَّجَمُّلِ بِالشَّيَابِ
وَالْأَطْعِمَةِ فَذَلِكَ مُبَاحٌ فِي جَنْسِهِ، وَيَصِيرُ إِسْرَافًا بِاعْتِبَارِ حَالِ
الرَّجُلِ وَثَرَوَتِهِ.

فَهَذَا الدِّينُ هُوَ دِينُ الْاِقْتِصَادِ، وَالْاِعْتِدَالِ فِي الْأَمْوَالِ، وَفِي كُلِّ
الْأُمُورِ...

وَمَّا وَرَدَ مِنَ الْآثَارِ فِي الْحَثِّ عَلَى الْاِقْتِصَادِ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالرَّفْقِ فِي الْإِنْفَاقِ، وَبَيَانِ فَائِدَتِهِ وَمَنْفَعَتِهِ.

وَالْتَنْفِيرِ عَنِ الْإِسْرَافِ، وَالتَّبَذِيرِ الَّذِي هُوَ شَأْنُ السُّفَهَاءِ، وَبَيَانِ غَائِلَتِهِ، وَسُوءِ مَعْبَتِهِ.

مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبْرَانِيُّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ رِفْقُهُ فِي مَعِيشَتِهِ}.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، فِي الْكَبِيرِ، وَالْأَوْسَطِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ قَطُّ}.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبَزَّازُ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {مَنْ اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ بَذَرَ أَفْقَرَهُ اللَّهُ}..

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ أَوْ مَوَاعِظِهِ: {فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً قَدَّمَ خَيْرًا، وَأَنْفَقَ قَصْدًا، وَقَالَ صِدْقًا، وَمَلَكَ دَوَاعِي شَهْوَتِهِ وَلَمْ تَمْلِكْهُ وَعَصَى أَمْرَ نَفْسِهِ فَلَمْ تُهْلِكْهُ}.

أَيُّ: بِتَذْيِيرٍ وَاعْتِدَالٍ، مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ....

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: {الْهَدْيُ الصَّالِحُ، وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ، وَالْإِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ}.

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: {الرِّفْقُ فِي الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التَّجَارَةِ}..

وَرُوي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: {مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ}، أَيُّ: مَا افْتَقَرَ مَنْ اقْتَصَدَ....

وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا كَسِبَ طَيِّبًا، وَأَنْفَقَ قَصْدًا وَقَدَّمَ فَضْلًا لِيَوْمٍ فَقَرِهَ وَفَاقَتْهُ»..

وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَدَبًا حَسَنًا، فَإِذَا وُسِّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ عَلَى عِيَالِهِ، وَإِذَا قُتِّرَ عَلَيْهِ قَتَّرَ».

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: «وَالْإِقْتِصَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَفْضَلُ وَأَجْمَلُ مِنَ الْبَغْيِ فِيهِ»..

وَقَالَ ذُو النُّونِ: «حُسْنُ التَّدْبِيرِ مَعَ الْكَفَافِ أَكْفٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ»..

وَمِنْهَا: حُسْنُ النِّيَّةِ لِتَفُوزَ بِالْأَجْرِ الْجَزِيلِ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ مِمَّا يُثَابُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَكَسَّبَ بِقَصْدٍ
إِعْفَافٍ نَفْسِهِ، وَإِعْفَافٍ أَهْلِهِ.

يَعْنِي: سَدُّ حَاجَةِ نَفْسِهِ: وَسَدُّ حَاجَةِ مَنْ يَمُونُهُ، وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ
 نَفَقَتُهُ، عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْخَلْقِ، وَعَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ.
 وَأَيْضًا: أَنْ يَسْتَحْضِرَ نِيَّةَ الْاسْتِعَانَةِ بِهَذَا الْمَالِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فَإِذَا مَا عَمِلَ الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ، سَوَاءً عَمِلَ فِي الزَّرَاعَةِ، أَوْ فِي التِّجَارَةِ
 أَوْ فِي أَيِّ مِهْنَةٍ مِنَ الْمِهَنِ، بِقَصْدِ التَّقْوَى بِهَذَا الْمَالِ الَّذِي
 يَكْسِبُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِقَصْدِ سَدِّ حَاجَتِهِ، وَحَاجَةِ مَنْ
 يَمُونُهُ، مِنْ زَوْجَةٍ، أَوْ وَالِدٍ، أَوْ أَهْلٍ، أَوْ وَلَدٍ، أَوْ أَقَارِبٍ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ
 يُثَابُ عَلَى هَذَا ثَوَابًا عَظِيمًا، بَلْ يُصْبِحُ فِعْلُهُ هَذَا عِبَادَةً يَتَقَرَّبُ
 بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

تَصَوَّرْ أَنَّ الْعَبْدَ يَذْهَبُ يَتَكَسَّبُ، أَوْ يَذْهَبُ لِدُكَّانِهِ، أَوْ يَذْهَبُ
 لِسُوقِهِ، أَوْ يَذْهَبُ لَوْظِيفَتِهِ، أَوْ يَذْهَبُ لِمَزْرَعَتِهِ، أَوْ يَذْهَبُ
 لِصِنَاعَتِهِ، أَوْ يَذْهَبُ لِأَيِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ، وَهُوَ مُسْتَحْضِرٌ هَذِهِ النِّيَّةَ

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُثِيبُهُ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ ثَوَاباً عَظِيماً، وَيَرْفَعُهُ بِهِ دَرَجَاتٌ.

وَلَكِنْ مَعَ الْإِلْتِزَامِ بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، مَعَ الْإِلْتِزَامِ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ، الْإِسْلَامِيَّةِ، مَعَ اسْتِحْضَارِ هَذِهِ النِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ الْحَسَنَةِ، نِيَّةُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ جَلَّ، بِالتَّقْوَى بِهَذَا الْمَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ، نِيَّةُ سَدِّ حَاجَتِهِ، وَحَاجَةِ أَهْلِهِ.

وَأَيْضاً: نِيَّةُ أَنْ يُنْفِقَ مِنْ هَذَا الْمَالِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَإِذَا مَا اسْتَحْضَرَ هَذِهِ النِّيَّةَ، عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُثِيبُهُ، وَيَكُونُ عَمَلُهُ هَذَا فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيلٌ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ النِّيَّةَ الصَّالِحَةَ شَرْطٌ فِي قَبُولِ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَفِي صِحَّةِ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْقُرْبِ وَالطَّاعَاتِ...

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى}.

فَالنِّيَّةُ الصَّالِحَةُ: أَصْلُ كُلِّ عَمَلٍ وَقَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَلَا يُتَقَبَّلُ الْعَمَلُ إِلَّا بِالنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ، وَكُلُّ عَمَلٍ مَشْرُوعٍ، أَوْ بَرٍّ وَخَيْرٍ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ نِيَّةٍ وَحَرَكَةٍ.

وَالْحَرَكَةُ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ لَا تُقْبَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ، وَهِيَ الَّتِي يَتَقَبَّلُهَا اللَّهُ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا..

وَهِيَ مَقْصُودَةٌ بِهَا تَمَيُّزُ الْعِبَادَاتِ عَنِ الْعَادَاتِ، وَتَمَيُّزُ بَعْضِ الْعِبَادَاتِ عَنْ بَعْضٍ.

وَالنِّيَّةُ الْحَسَنَةُ: رُوحُ الْعَمَلِ، فَكَمَا أَنَّ الْجِسْمَ لَا قِيَامَ لَهُ بِدُونِ رُوحِهِ، كَذَلِكَ لَا قِيَامَ لِصُورِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِدُونِ حُسْنِ النِّيَّةِ وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى }.

فَإِذَا أَضْمَرَ هَذِهِ النِّيَّاتِ كَانَ عَامِلًا فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ اسْتَفَادَ مَالًا فَهُوَ مَزِيدٌ، وَإِنْ خَسِرَ فِي الدُّنْيَا رِبْحٌ فِي الْآخِرَةِ.

فَبِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ: تَتَحَوَّلُ الْأَعْمَالُ الدُّنْيَوِيَّةُ، إِلَى عِبَادَاتٍ وَإِلَى أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، يُثَابُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا.....

وَبِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ: تَنْقَلِبُ الْمُبَاحَاتُ وَالْعَادَاتُ إِلَى طَاعَاتٍ وَقُرْبَاتٍ إِلَى اللَّهِ، فَمَنْ تَنَاوَلَ غَدَاءَهُ بِنِيَّةِ حِفْظِ حَيَاتِهِ، وَتَقْوِيَةِ جَسَدِهِ، لِيَسْتَطِيعَ الْقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِ رَبُّهُ، مِنْ حُقُوقٍ وَتَكَالِيفٍ لِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، كَانَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ مَعَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ عِبَادَةً، وَمَنْ أَتَى شَهْوَتَهُ مَعَ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ، مِنْ زَوْجَةٍ، أَوْ مَمْلُوكَةٍ لَهُ، يَقْصِدُ إِعْفَافَ نَفْسِهِ، وَأَهْلِهِ، وَابْتِغَاءَ ذُرِّيَّةٍ صَالِحَةٍ، كَانَ ذَلِكَ عِبَادَةً تَسْتَحِقُّ الْمَثُوبَةَ وَالْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ}.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟
قَالَ: {أَلَيْسَ إِنْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ كَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي حَلَالٍ كَانَ لَهُ أَجْرٌ}.

فَايَاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ يَا بَنِي: أَنْ تَسْتَخَقِرَ شَيْئًا مِنْ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ، فِي حَالِ ذَهَابِكَ، وَإِيَابِكَ، أَوْ أَنْ تَغْفُلَ عَنِ اسْتِحْضَارِ النِّيَّةِ الْحَسَنَةِ، فِي كُلِّ قَوْلٍ مِنْ أَقْوَالِكَ، وَكُلِّ فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِكَ، وَفِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِكَ..

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ مَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمُبَاحَاتِ، إِلَّا وَيَحْتَمِلُ نِيَّةً أَوْ نِيَّاتٍ يَصِيرُ بِهَا مِنْ مُحَاسِنِ الْقُرْبَاتِ، كَالْتَّطَيُّبِ مَثَلًا فَإِنَّهُ بِقَصْدِ التَّلَذُّذِ وَالتَّنَعُّمِ مُبَاحٌ، وَأَمَّا إِذَا نَوَى بِهِ اتِّبَاعَ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْوِيحَ جِيرَانِهِ، لِيَسْتَرِيحُوا بِرَوَائِحِهِ، وَدَفْعِ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ عَنْ نَفْسِهِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى إِيْذَاءٍ مُخَالِطِيهِ، وَزِيَادَةِ فِطْنَتِهِ وَذَكَائِهِ، لِيَسْهَلَ عَلَيْهِ دَرْكُ مُهِمَّاتِ دِينِهِ بِالْفِكْرِ.

فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنَ النِّيَّاتِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا يَعْجِزُ عَنْهَا مَنْ غَلَبَ طَلَبُ الْخَيْرِ عَلَى قَلْبِهِ مِمَّا يَنَالُ بِهَا مَعَالِي الدَّرَجَاتِ.

فَبِاجْتِمَاعِ هَذِهِ النِّيَّاتِ تُزَكَّى الْأَعْمَالُ، وَتُلْتَحَقُ بِأَعْمَالِ الْمُقَرَّبِينَ.. فَبِكَثْرَةِ النِّيَّاتِ الْحَسَنَةِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَاتُ، إِلَى عَشْرِ، وَإِلَى سَبْعِينَ وَإِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَإِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ..

وَبِكَثْرَةِ النِّيَّاتِ الْحَسَنَةِ، تَزْكُو الْأَعْمَالُ، وَتَتَضَاعَفُ الْأُجُورُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَزَّ الدِّينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي كَنْزِ الرِّشَادِ وَزَادِ الْمَعَادِ:

«فَيَنْبَغِي أَنْ يُضْمَرَ الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ، وَيَسْتَحْضِرُ فِي ذَهْنِهِ، مَا مُؤَدَّاهُ وَحَاصِلُهُ، اللَّهُمَّ مَا أَتَيْتُهُ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ، وَتَجَنَّبْتُهُ مِنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِكُلِّ وَجْهِ حَسَنٍ تُرِيدُهُ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تُرِيدُهُ، الْوَاجِبَ لَوْجُوبِهِ

وَالْمَنْدُوبُ لِنَدْبِهِ، وَالْمُبَاحُ لِمَا يَقْتَرِنُ بِهِ مِمَّا يُصَيِّرُهُ قُرْبَةً، وَاجْتِنَابُ الْقَبِيحِ لِقُبْحِهِ، وَتَرْكُ الْمَكْرُوهِ لِكِرَاهَتِهِ.

وَمَا أَمَكَّنَهُ مِنَ الْاِسْتِكْثَارِ مِنَ النِّيَّاتِ، فِي فِعْلٍ، أَوْ تَرْكِ، فَهُوَ أَوْلَى.

كَالْجُلُوسِ فِي الْمَسْجِدِ مَثَلًا يَنْوِي بِهِ الْقُرْبَةَ لِفَضْلِ الْمَسْجِدِ وَالِاقْتِدَاءِ بِالصَّالِحِينَ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ، وَسَمَاعِ الْعِلْمِ، وَالِاعْتِكَافِ عَلَى رَأْيٍ.

وَكَالِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ يَنْوِي أَنَّ ذَلِكَ لِدَفْعِ الضَّرَرِ عَنِ النَّفْسِ وَالِاسْتِعَانَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَلِقَرَعِ النَّفْسِ عَمَّا لَا يَجُوزُ، وَإِظْهَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ.

وَهَكَذَا فِي نِيَّةِ النِّكَاحِ، وَيَخْتَصُّ بِهِ طَلَبُ النَّسْلِ. وَفِي اللِّبَاسِ اتِّبَاعُ السُّنَّةِ، وَامْتِثَالُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سِتْرِ الْعَوْرَةِ وَالتَّجَمُّلِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ، وَإِظْهَارِ النِّعْمَةِ، وَغَيْرِ مَا ذَكَرَ مِنَ النِّيَّاتِ الْحَسَنَةِ، وَعَلَى هَذَا فَحَسُنَ.

فَمَا مِنْ مُبَاحٍ إِلَّا وَيُمْكِنُ جَعْلُهُ قُرْبَةً بِمِثْلِ هَذِهِ النِّيَّاتِ: {فَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى}.

وَإِنْ أَمَكَّنَ اسْتِحْضَارُ النِّيَّةِ الْحَسَنَةِ، الْكَامِلَةَ فِي الْمَنْدُوبَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ، عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ عِنْدَ كُلِّ فِعْلٍ فَهُوَ أَتَمُّ، وَأَفْضَلُ

وَالْأَفْعَلَى سَبِيلِ الْجُمْلَةِ، وَلَوْ قَبْلَ وَقْتِ الْفِعْلِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ
الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فَفِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ» .. انْتَهَى

فَاجْتَهِدْ أَنْ تُكْثِرَ مِنَ النِّيَّةِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكَ، حَتَّى تَنْوِيَ لِعَمَلٍ
وَاحِدٍ نِيَّاتٍ كَثِيرَةً ..

وَقِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحَكَمِ وَالْأَمْثَالِ: «مَنْ اسْتَغْنَى كَرَمَ عَلَى أَهْلِهِ».
«لَا يَقِلُّ مَعَ الْفَسَادِ شَيْءٌ وَلَا يَبْقَى مَعَ الصَّلَاحِ شَيْءٌ، وَصِيَانَةُ
الْقَلِيلِ تَرْبِيَةٌ لِلْجَلِيلِ».

« أَصْلِحُوا أَمْوَالَكُمْ لِنَبْوَةِ الزَّمَانِ، وَجَفْوَةِ السُّلْطَانِ».

«إِصْلَاحُ الْمَالِ أَحَدُ الْكَاسِبِينَ».

«لَا عَيْلَةٌ عَلَى مُصْلِحٍ، وَلَا مَالٌ لَأَخْرَقَ، وَلَا جُودٌ مَعَ تَبْذِيرٍ، وَلَا
بَخْلٌ مَعَ اقْتِصَادٍ».

«التَّذْبِيرُ يُثْمِرُ الْيُسِيرَ، وَالتَّبَذِيرُ يُبَدِّدُ الْكَثِيرَ».

«الْقَصْدُ أَسْرَعُ تَبْلِيغًا إِلَى الْغَايَةِ، وَتَخْصِيلًا لِلْأَمْرِ».

«إِنَّ فِي إِصْلَاحِ مَالِكَ جَمَالَ وَجْهِكَ، وَبَقَاءَ عِرْكَ، وَصَوْنَ
عِرْضِكَ، وَسَلَامَةَ دِينِكَ».

«التَّقْدِيرُ نِصْفُ الْكَسْبِ».

«أَفْضَلُ الْقَصْدِ عِنْدَ الْجِدَةِ».

«عَلَيْكَ مِنَ الْمَالِ بِمَا يَعُولُكَ وَلَا تَعُولُهُ» ..

وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ فِي أُمُورِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ.
وَأَعْلَمْ: أَنَّ الرَّاحَةَ لَا تُنَالُ بِالرَّاحَةِ، وَمَعَالي الْأُمُورِ لَا تُنَالُ بِالرَّاحَةِ
فَمَنْ زَرَعَ حَصَدًا، وَمَنْ جَدَّ وَجَدَ.

وَاسْتَعِنْ عَلَى ذَلِكَ يَا بُنَيَّ: بِالصَّبْرِ فَإِنَّهُ لَنْ تُدْرِكَ مَكْرَمَةٌ مُونِقَةً، وَلَا
فَضِيلَةً سَابِقَةً إِلَّا بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَنْلِ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ عَمِيمِ الْخَيْرِ إِلَّا
بِالصَّبْرِ.

**فَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِالصَّبْرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَإِنَّ الصَّبْرَ يَجْرُ إِلَى
الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَجْرُ إِلَى الْجَنَّةِ.**

وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
{أَلَا أَنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا انْقَطَعَ
الرَّأْسُ بَانَ الْجَسَدُ}.

ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ فَقَالَ: {أَلَا لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ}.

وَبِالرَّوَّاحِ عَلَى الْحَاجَاتِ بِالْبُكَرِ	اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْإِذْلَاجِ بِالسَّحَرِ
فَالنُّجْحُ يَتَلَفُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجَرِ	لَا تَعْجِزَنَّ وَلَا يُضْجِرْكَ مَطْلَبُهَا
لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مُحْمُودَةٌ الْآثَرِ	إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجَرِبَةً
فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ	وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُطَالِبُهُ

الْوَرَعُ

وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِالْوَرَعِ فَإِنَّ خَيْرَ الدِّينِ الْوَرَعُ، وَإِنَّ الْوَرَعَ فِي الدِّينِ هُوَ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَمِلَاكُ الدِّينِ الْوَرَعُ.

وَالْوَرَعُ فِي الدِّينِ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِينَ، وَأَمَارَاتِ الْقُرْبِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ آيَةٌ عَلَى صِدْقِ مُرَاقَبَةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْوَرَعَ هُوَ الْمُطَهَّرُ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ وَالْمَعَاصِي، وَهُوَ أَسَاسُ الدِّينِ، وَجَمَاعُ الْخَيْرِ، وَتَمَامُهُ، وَبِهِ يَرْتَقِي إِلَى مَرَاتِبِ الْيَقِينِ.

وَالْوَرَعُ لُغَةً: هُوَ الْكَفُّ عَنِ الْمَحَارِمِ، ثُمَّ اسْتِعِيرَ لِلْكَفِّ عَنِ الْمُبَاحِ وَالْحَلَالِ.

وَالْوَرَعُ الشَّرْعِيُّ هُوَ: الْإِثْيَانُ بِالْوَاجِبَاتِ، وَاجْتِنَابُ الْمُقَبَّحَاتِ، مَعَ حُسْنِ الْعَقِيدَةِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الْوَرَعَ هُوَ اجْتِنَابُ الشُّبُهَاتِ خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنِ
النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ: { الْحَلَالُ بَيْنَ وَالحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ
لَا يَعْرِفُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ تَرَكَهُنَّ اسْتَبْرَأَ مِنَ الدَّيْنَةِ، وَمَنْ
وَأَقَعَهُنَّ وَقَعَ الحَرَامَ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ رَجُلٍ رَعَى حَوْلَ الحِمَى
فَيُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، وَحِمَى اللَّهِ فِي الْأَرْضِ
مَحَارِمُهُ }.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { الْحَلَالُ بَيْنَ
وَالْحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبِّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ
اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ
فِي الحَرَامِ، كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ
لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي
الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ
الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ }

وَمَعْنَى اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ: طَلَبَ الْبِرَاءَةَ لِدِينِهِ مِنَ النَّقْصِ وَلِعَرْضِهِ
مِنَ الطَّعْنِ.

هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ بَلْ هُوَ أَصْلُ كُلِّ عَمَلٍ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ: الَّتِي مَدَارُ الدِّينِ عَلَيْهَا...

وَقَدْ قِيلَ: هَذَا الْحَدِيثُ مَدَارُ أَمْرِ الشَّرْعِ وَقُطْبُ الْأَحْكَامِ.
وَرَوَى الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَمَالِي: وَأَحْمَدُ
وَالنَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ.

عَنْ أَبِي الْخَوَرَاءِ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا
حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟
قَالَ: حَفِظْتُ مِنْهُ: {دَعْ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ
طَمَآنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيْبَةٌ}.

وَقَوْلُهُ: {دَعْ} أَيُّ: اتْرُكْ {مَا يُرِيْبُكَ} أَيُّ: مَا يَلْحَقُكَ بِهِ رِيْبٌ
وَشَكٌّ وَقَلَقٌ إِلَى {مَا لَا يُرِيْبُكَ} أَيُّ: إِلَى شَيْءٍ لَا يَلْحَقُكَ بِهِ
رِيْبٌ وَلَا قَلَقٌ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ وَمَا أَجْوَدُهُ وَأَنْفَعُهُ لِلْعَبْدِ إِذَا سَارَ
عَلَيْهِ، فَالْعَبْدُ يَرُدُّ عَلَيْهِ شُكُوكٌ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ.

فَنَقُولُ: دَعِ الشَّكَّ إِلَى مَا لَا شَكَّ فِيهِ حَتَّى تَسْتَرِيحَ وَتَسْلَمَ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَلْحَقُكَ بِهِ شَكٌّ وَقَلَقٌ وَرَيْبٌ أَتْرَكُهُ إِلَى أَمْرٍ لَا يَلْحَقُكَ بِهِ رَيْبٌ.

وَهَذَا تَوْجِيهٌ نَبَوِيٌّ عَظِيمٌ الْفَائِدَةُ عَظِيمُ الْعَائِدَةُ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي الْوَرَعِ، أَصْلٌ فِي تَرْكِ الْمُشْتَبِهَاتِ، أَصْلٌ فِي التَّخَوُّفِ مِنْ أَيْ نَوْعٍ مِنَ الْحَرَامِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ جَلِيلٌ، وَقَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ، وَأَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الشَّرِيعَةِ، عَلَيْهِ لَوَائِحُ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ سَاطِعَةٌ، وَمَشْكَاةُ الرِّسَالَةِ مُضِيئَةٌ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَالْوَرَعُ عَمُودُ الدِّينِ، كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {مَلَأَكَ الدِّينَ الْوَرَعُ}..

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْمَلَأَكَ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ قَوَّامُ الشَّيْءِ، وَنِظَامُهُ، وَمَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِيهِ. انْتَهَى.

وَالْوَرَعُ سَيِّدُ الْعَمَلِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {خَشْيَةُ اللَّهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ، وَالْوَرَعُ

سَيِّدُ الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَعٌ يَحْجِزُهُ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَا بِهَا لَمْ يَعْبَأَ اللَّهُ بِسَائِرِ عَمَلِهِ شَيْئًا} ..

وَالْوَرَعُ هُوَ الَّذِي يَحْمِي الْمُؤْمِنَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيُبَاعِدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ، وَلِذَلِكَ نَالَ بِهِ الْمُتَّقُونَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَارْتَفَعَتْ بِهِ مَنْزِلَتُهُمْ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَقَدْ عَدَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مِنْ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْقُرْطُبِيُّ: عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: قَالَ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {أَدَّ الْفَرَائِضَ تَكُنْ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ، وَعَلَيْكَ بِالْقُنُوعِ تَكُنْ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ، يَا بُنَيَّ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا شَجَرَةُ الْبُلُوى يُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ فَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيْوَانٌ يُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا}.

ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وَكَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمَالِيهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ

أَشْكُرُ النَّاسَ، وَأَحِبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنُ
جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ
الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ}.

وَالْوَرَعُ أَصْلٌ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي
أُورِدَهُ الْإِمَامُ عِزُّ الدِّينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَنْزِ الرَّشَادِ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَائِيَا
وَصُمُمْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ، وَتُوفِّيْتُمْ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ مَا
نَفَعَكُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْوَرَعِ، أَلَا وَإِنَّ الدِّينَ الْوَرَعُ، أَلَا وَإِنَّ الدِّينَ
الْوَرَعُ، أَلَا وَإِنَّ الدِّينَ الْوَرَعُ}.

وَكَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْوَرَعِ:
عَنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَنَّهُ قَالَ: {لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى
تَصِيرُوا كَالْحَنَائِيَا، وَصُمُمْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ، مَا تُقْبَلُ ذَلِكَ
مِنْكُمْ إِلَّا بِوَرَعٍ صَادِقٍ}.

فَعَلَيْكَ يَا بَنِيَّ: بِالْوَرَعِ فِي جَمِيعِ شُئُونِكَ، وَتَتَحَرَّى الْحَلَالَ فِي
طَعَامِكَ، وَشَرَابِكَ، وَلِبَاسِكَ، وَمَسْكِنِكَ، وَمُعَامَلَتِكَ، وَبَيْعِكَ
وَشِرَائِكَ، وَفِي جَمِيعِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَنْتَ وَعِيَالُكَ.
فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْرَأُ لِدِينِكَ، وَأَسْلَمُ لِعِرْضِكَ...

تَرْكُ مَا لَا يَعْنِيكَ

وَأَيَّاكَ يَا بُنَيَّ: وَالْذُّخُولَ فِيْمَا لَا يَعْنِيكَ، فَتَذِلَّ لِذَلِكَ.
وَاطْلُبْ مَا يَعْنِيكَ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِنَّ فِي تَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ
دَرْكَ لِمَا يَعْنِيكَ.

وَإِنَّكَ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ تُدْرِكُ مَا يُعْنِيكَ.
وَاعْلَمْ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَدَخَّلَ فِيْمَا لَا يَعْنِيهِ، فَإِنَّهُ إِثْمٌ كَبِيرٌ، وَإِنَّ
مَنْ تَدَخَّلَ فِيْمَا لَا يَعْنِيهِ فَاتَهُ مَا يَعْنِيهِ، وَاشْتَغَلَ عَنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ
لَهُ بِمَا لَا مَنَفَعَةَ لَهُ فِيهِ.

إِنَّ مَنْ يُخَوِّضُ فِيْمَا لَا يَعْنِيهِ، نَاقِصُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَالْفَهْمِ
وَجَاهِلٌ غَيٌّ تَابِعٌ لِهَوَاهُ، وَنَاقِصٌ فِي دِينِهِ وَإِيمَانِهِ، وَنَاقِصُ الْبِرِّ
وَالْتَّقْوَى، وَنَاقِصُ الْأَجْرِ وَالْفَضِيلَةِ، يُضَيِّعُ عُمُرَهُ فِيْمَا يَضُرُّهُ فِي
دِينِهِ، وَلَا يَنْفَعُهُ، وَلَوْ كَانَ مُؤْمِنًا صَادِقًا فِي إِيمَانِهِ، لَاشْتَغَلَ بِمَا
يُصْلِحُ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ، وَاسْتَغْرَقَ فِي ذَلِكَ وَسْعَهُ، وَجَهْدَهُ..

وَإِذَا خَاضَ الْإِنْسَانُ فِيْمَا لَا يَعْنِيهِ، نَقَصَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ فَكَانَ
هَذَا عَلَيْهِ.

وَهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فِيمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ
وَالطَّبْرَانِيُّ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِنَّ مِنْ
حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ}.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِنَّ مِنْ
حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ قِلَّةُ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ}.

وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ
النَّبَوِيَّةِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «هَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْعَظِيمَةِ الْعَمِيمَةِ، لِأَنَّهُ
بَيَّنَّ فِيهِ جَمِيعَ أَحْكَامِ اللِّسَانِ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ الْجَوَارِحِ عَمَلًا».

قَوْلُهُ: {مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ}، أَيُّ: مِنْ جُمْلَةِ مُحَاسِنِ إِسْلَامِ
الْإِنْسَانِ وَكَمَالِ إِيْمَانِهِ.

{تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ}.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ فِي كِتَابِ جَامِعِ الْعُلُومِ: فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ مَا
لَفْظُهُ: «مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ
مِنْ قَوْلٍ، وَفِعْلٍ، وَاقْتِصَارُهُ عَلَى مَا يَغْنِيهِ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

وَمَعْنَى: يَعْنِيهِ أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ بِهِ، وَيَكُونُ مِنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُوبِهِ.
وَالْعِنَايَةُ شِدَّةُ الْاهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ، يُقَالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ: إِذَا اِهْتَمَّ بِهِ
وَطَلَبَهُ، وَإِذَا حَسُنَ الْإِسْلَامُ اقْتَضَى تَرْكَ مَا لَا يَعْنِيهِ كُلَّهُ، مِنْ
الْمُحَرَّمَاتِ، وَالْمُشْتَبِهَاتِ، وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي
لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَا يَعْنِيهِ الْمُسْلِمُ إِذَا كَمَلَ إِسْلَامُهُ»
إِنْتَهَى مُخْتَصَرًا.

قَالَ الْقَارِي: فِي مَعْنَى تَرْكِهِ مَا لَا يَعْنِيهِ: أَيُّ مَا لَا يُهِمُّهُ، وَلَا يَلِيقُ
بِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَنَظَرًا وَفِكْرًا.

وَقَالَ: وَحَقِيقَةُ مَا لَا يَعْنِيهِ، مَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي ضَرُورَةِ دِينِهِ
وَدُنْيَا، وَلَا يَنْفَعُهُ فِي مَرَضَةِ مَوْلَاهُ، بَأَنَّ يَكُونُ عَيْشُهُ بِدُونِهِ مُمَكِّنًا.
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مَنْصُورٍ: «عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ فَإِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا
شَغَلَتْكَ».

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «إِذَا تَكَلَّفْتَ مَا لَا يَعْنِيكَ، لَقِيتَ مَا
يُعْنِيكَ».

وَإِيَّاكَ وَفُضُولَ الْكَلَامِ: فَإِنَّكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، مَلَكَتْكَ
الْكَلِمَةُ، وَلَمْ تَمْلِكْهَا.

وَقِيلَ: الْعَبْدُ إِذَا سَكَتَ عَنْ فُضُولِ الْكَلَامِ تَكَلَّمَ الْقَلْبُ، وَنَوَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَاشْتَغَلَ بِالطَّاعَةِ، وَذَكَرَ، وَفَكَّرَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «إِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ بِفُضُولِ الْكَلَامِ، وَفُضُولِ الْمَالِ».

وَإِيَّاكَ وَفُضُولَ النَّظَرِ فَإِنَّهُ يُبْدِرُ الْهَوَى، وَيُوَلِّدُ الْعَقْلَةَ..

لَا تَتَدَخَّلَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، وَفِي شُؤُونَ غَيْرِكَ، وَأَنْ تَصْرِفَ كُلَّ جُهْدِكَ فِي إِصْلَاحِ نَفْسِكَ وَتَنْظِيفِهَا، وَجَعْلِهَا طَاهِرَةً، نَقِيَّةً مِنْ شَوَائِبِ الذُّنُوبِ، وَفَوَاحِشِ الْعُيُوبِ، وَقِلَّةِ اشْتِغَالِكَ بِذِكْرِ غَيْرِكَ وَطَلَبِ السَّلَامَةِ مِمَّا فِيهِ النَّاسُ، لَعَلَّكَ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ.

وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {وَعَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ:

سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ.

وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ.

وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللَّهِ.

وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ.

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ ظَاعِنًا^(١) إِلَّا لِثَلَاثٍ:
تَزُودٍ لِمَعَادٍ.

أَوْ مَرَمَّةٍ^(٢) لِمَعَاشٍ.

أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا
لِللِّسَانِهِ، وَمَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا
يَعْنِيهِ {...}

وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {أَكْثَرُ النَّاسِ
ذُنُوبًا أَكْثَرُهُمْ كَلَامًا فِيمَا لَا يَعْنِيهِ} ..

وَقَالَ الْحَسَنُ: «مِنْ عَلَامَةِ إِعْرَاضِ اللَّهِ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ
فِيمَا لَا يَعْنِيهِ».

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «مَنْ عَلِمَ أَنَّ لِلْكَلامِ ثَوَابًا وَعِقَابًا قَلَّ
كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ».

وَقَالَ مَعْرُوفُ الْكَرْخِيُّ: «كَلامُ الْعَبْدِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ خِذْلَانٌ مِنَ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

(١) - قَوْلُهُ: (ظَاعِنًا)، الظَّاعِنُ: الْمُسَافِرُ...

(٢) - قَوْلُهُ: (أَوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ)، الرَّمُّ: إِصْلَاحُ الشَّيْءِ الَّذِي فَسَدَ بَعْضُهُ مِنْ نَحْوِ حَبْلِ يَبْلَى فَتَرْمُهُ، أَوْ دَارٍ تَرْمُهُ مَرَمَةً. وَرَمُّ الْأَمْرِ: إِصْلَاحُهُ بَعْدَ انْتِشَارِهِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ
نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى
مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ
وَمَنْ اقْتَحَمَ اللَّجَجَ غَرِقَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ الشُّوْءِ اتَّهَمَ، وَمَنْ
كَثَرَ كَلَامُهُ كَثَرَ خَطُؤُهُ، وَمَنْ كَثَرَ خَطُؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ
حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ
النَّارَ، وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ
الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ، وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ
رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ
إِلَّا فِيمَا يَعْنيهِ}.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ
تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلَهُ}.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ
طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ
قُوَّتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ
فِي شُغْلٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ}.

وَقَالَ ذُو النُّونِ: «مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَمِيَ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ، وَمَنْ عُنِيَ بِالنَّارِ وَالْفِرْدَوْسِ شُغِلَ عَنِ الْقَالِ وَالْقِيلِ، وَمَنْ هَرَبَ مِنَ النَّاسِ سَلِمَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَمَنْ شَكَرَ زَيْدَ».

وَقَالَ ذُو النُّونِ: «ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ أَعْمَالِ الْكَيَّاسَةِ تَرُكُ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْعَمَلِ بِسِيرِ الْعِلْمِ، وَالْإِشْتَغَالَ بِإِصْلَاحِ عُيُوبِ النَّفْسِ، غَافِلًا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ».

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ قَسَاوَةً فِي قَلْبِكَ، وَوَهْنًا فِي بَدَنِكَ، وَحَرَمَانًا فِي رِزْقِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِيمَا لَا يَعْْنِيكَ».

قَالَ وَبَرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَوْصَانِي ابْنُ عَبَّاسٍ بِكَلِمَاتٍ لَهْنٌ أَحْسَنُ مِنَ الدُّهْمِ الْمُوقَفَةِ، قَالَ لِي: «يَا وَبَرَةُ، لَا تَعَرَّضْ فِيمَا لَا يَعْْنِيكَ فَإِنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ، وَلَا آمَنْ عَلَيْكَ الْوِزْرُ، وَدَعْ كَثِيرًا مِمَّا يَعْْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا، فَرُبَّ مُتَكَلِّفٍ بِحَقِّ تَقِيٍّ قَدْ تَكَلَّمَ فِي الْأَمْرِ بِعَيْنِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَعَطِبَ وَلَا ثَمَارَيْنِ حَلِيمًا، وَلَا سَفِيهًا، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَقْلِيكَ، وَإِنَّ السَّفِيهَ يُرْدِيكَ، وَادْكُرْ أَخَاكَ إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بِكُلِّ مَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ، وَدَعَهُ مِنْ كُلِّ مَا تُحِبُّ أَنْ

يَدْعَكَ مِنْهُ، وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِالْحَسَنَاتِ مَا أُخُوذُ
بِالسَّيِّئَاتِ».

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ فُضُولَ الْكَلَامِ لَا يَنْحَصِرُ، بَلِ الْمُهْمُ مُحْصُورٌ
فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ
بُخْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ
لِسَانِهِ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ}.

فَانْظُرْ كَيْفَ قَلَبَ النَّاسُ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ، فَأَمْسَكُوا فَضْلَ الْمَالِ
وَأَطْلُقُوا فَضْلَ اللِّسَانِ، قَالَ عطاء: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَكْرَهُ
فُضُولَ الْكَلَامِ، وَكَانُوا يَعُدُّونَ فُضُولَ الْكَلَامِ مَا عَدَا كِتَابَ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ تَقْرَأَهُ، أَوْ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ أَنْ
تَنْطِقَ بِحَاجَتِكَ فِي مَعِيشَتِكَ الَّتِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْهَا، أَتُنْكِرُونَ: ﴿إِنَّ
عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ
رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، أَمَا يَسْتَحِي أَحَدُكُمْ أَنْ لَوْ نُشِرَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَتُهُ

الَّتِي أَمْلَاهَا صَدْرُ نَهَارِهِ أَكْثَرُ مَا فِيهَا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ».

وَرَوَى الْإِمَامُ الْمُؤَفَّقُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي كِتَابِ الْاِعْتِبَارِ وَسَلَوَةِ الْعَارِفِينَ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: قَامَ خَطِيبًا عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: {أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشِيعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَانَهُمْ، وَنَأْكُلُ ثُرَاتَهُمْ كَأَنَّا مُخْلَدُونَ بَعْدَهُمْ، نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ، فَطُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَخَالَطَ أَهْلَ الذَّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، طُوبَى لِمَنْ ذَلَّتْ نَفْسُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ}.

طُوبَى مَصْدَرٌ مِنَ الطَّيِّبِ، أَوْ اسْمُ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا لِمَنْ شَغَلَهُ النَّظَرُ فِي

عُيُوبِهِ، وَطَلَبَ إِزَالَتَهَا، أَوِ السَّتْرَ عَلَيْهَا عَنِ الْاِشْتِغَالِ بِذِكْرِ عُيُوبِ
غَيْرِهِ، وَالتَّعَرُّفِ لِمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنَ الْعُيُوبِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَدِّمَ
النَّظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعِيبَ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ
مَا يَرُدُّعُهُ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ.

وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ
وَوُسِعَ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ}.

وَأَعْلَمُ يَا بَنِي: أَنَّ خَطَرَ اللِّسَانِ عَظِيمٌ، وَلَا يَنْجُو مِنْ شَرِّ
اللِّسَانِ إِلَّا مَنْ قَيَّدَهُ بِلِجَامِ الشَّرْعِ.

فَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا
تَكَلَّمَ فَعَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ، إِنَّ اللِّسَانَ أَمْلَكُ شَيْءٍ لِلْإِنْسَانِ
أَلَّا وَإِنَّ كَلَامَ الْعَبْدِ كُلَّهُ عَلَيْهِ، إِلَّا ذِكْرًا لِلَّهِ، أَوْ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ
نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ إِصْلَاحًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْؤَاخِذُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

فَقَالَ: {وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ
الْسِّنْتِهِمْ، فَمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ فَلْيَحْفَظْ مَا جَرَى بِهِ لِسَانُهُ، وَلْيَحْرُسْ
مَا انطوى عَلَيْهِ جَنَانُهُ، وَلْيُحْسِنْ عَمَلَهُ، وَلْيَقْصُرْ أَمَلَهُ}.

ثُمَّ لَمْ تَمْضِ أَيَّامٌ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ
نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

يَا بَنِي: إِنَّ اللِّسَانَ أَعْظَمُ آلَةِ الشَّيْطَانِ فِي اسْتِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ، فَمَنْ
أَطْلَقَ عَذْبَةَ اللِّسَانِ، وَأَهْمَلَهُ مُرْخِيَّ الْعِنَانِ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ، سَاقَهُ إِلَى
شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ، وَلَا يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي
النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ السِّنْتِهِمْ...

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كَفَّ اللِّسَانِ، وَضَبْطَهُ
وَحَبْسَهُ، هُوَ أَصْلُ الْخَيْرِ كُلِّهِ.

وَأَنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ فَقَدْ مَلَكَ أَمْرَهُ، وَأَحْكَمَهُ، وَضَبَطَهُ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: وَالْمُرَادُ بِحَصَائِدِ الْأَلْسِنَةِ جَزَاءُ الْكَلَامِ الْمُحَرَّمِ
وَعُقُوبَاتُهُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَزْرَعُ بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ
يَحْصُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا زَرَعَ، فَمَنْ زَرَعَ خَيْرًا مِنْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ
حَصَدَ الْكَرَامَةَ، وَمَنْ زَرَعَ شَرًّا مِنْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ، حَصَدَ النَّدَامَةَ.

يَا بُنَيَّ: إِنَّ آفَاتِ اللِّسَانِ أَسْرَعُ الْآفَاتِ لِلْإِنْسَانِ، وَأَعْظَمُهَا فِي الْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ، فَلَا أَصْلَ مُلَازِمَةٍ الصَّمْتِ، إِلَى أَنْ يَتَحَقَّقَ السَّلَامَةُ مِنَ الْآفَاتِ، وَالْحُصُولُ عَلَى الْخَيْرَاتِ.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ فَانْظُرْ فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي الْأَحْكَامِ: قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَبَلَّغْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}.

لَا يَسْتَحَقِرُ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ، فَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ بَلَغَتْ بِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ؟ وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ لَا يُلْقَى لَهَا الْإِنْسَانُ بَالًا، هَوَتْ بِصَاحِبِهَا فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ؟

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ}.

وَهَذَا الْحَدِيثُ دَلٌّ عَلَى أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، الَّذِي يَخَافُ اللَّهَ، وَيَتَّقِيهِ، وَيَخَافُ مَا يَحْصُلُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَرْجُو أَنْ يَكُونَ نَاجِيًا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنَّ مِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ يَقُولُ الْخَيْرَ أَوْ يَصْمُتُ..

وَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { وَلِيَخْزِنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جُمُوحٌ بِصَاحِبِهِ، وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزِنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ وَمَا ذَا عَلَيْهِ، وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ }، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيٌّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ }.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ لِللِّسَانِ آفَاتٌ كَثِيرَةً، وَإِنَّ أَعْظَمَ الْبَلَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا لِسَانُهُ، وَإِنَّ آفَاتِ اللِّسَانِ مِنْ أخطرِ الْآفَاتِ الَّتِي عَظُمَ خَطَرُهَا، وَآثَارُهَا الْمُهِلَكَةُ، لِلْإِنْسَانِ.

لَأَنَّ خَطَرَ اللِّسَانِ عَظِيمٌ، وَبَلَاؤُهُ خَطِيرٌ، وَآفَاتُهُ كَثِيرَةٌ...

وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فِيمَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ}.

قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ:

إِنَّ آفَاتِ اللِّسَانِ كَثِيرَةٌ...

فَمِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ الَّتِي تُهْلِكُ الْإِنْسَانَ:

الْكَلَامُ فِيمَا لَا يَعْنِي، وَفُضُولُ الْكَلَامِ، وَالْخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ وَالْمِرَاءِ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْمِرَاحِ، وَالسُّخْرِيَّةُ، وَالاسْتِهْزَاءُ، وَالْجِدَالُ وَالْخُصُومَةُ، وَالتَّقَعُّرُ فِي الْكَلَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّرِّ، وَالْفُحْشُ، وَالسَّبُّ

والبذاءة، واللُّعْنُ، والكَذِبُ، وَالْيَمِينُ الغُمُوسُ، والغَيْبَةُ، والنَّمِيمَةُ
وَالْكُفْرُ، وَالْقَذْفُ.

وَمِنَ الْعَجَبِ يَا بُنَيَّ: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَهُونُ عَلَيْهِمُ التَّحْفُظُ
وَالِاخْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَالزَّيْنِ، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ
وَمِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَصْنَعُ عَلَيْهِ التَّحْفُظُ مِنْ حَرَكَةِ
لِسَانِهِ، حَتَّى تَرَى الرَّجُلَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالذِّينِ، وَالزُّهْدِ، وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ
يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَنْزِلُ فِي النَّارِ
بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيَهْوِي بِهَا
فِي نَارِ جَهَنَّمَ، سَبْعِينَ خَرِيفًا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى قَعْرِهَا.

وَكَمْ تَرَى مِنْ رَجُلٍ مُتَوَرِّعٍ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي فِي
أَعْرَاضِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا يُبَالِي مَا يَقُولُ...

وَقَدْ نَفَى اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَتَنَاجَى بِهِ النَّاسُ بَيْنَهُمْ:
فَقَالَ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ
مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

أَيُّ: إِلَّا نَجْوَى مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ، أَوْ مَعْرُوفٍ، أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
النَّاسِ، فَإِنَّ أَوْلَيْكَ فِيهِمُ الْخَيْرُ.

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ الْمُرْشِدُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 فِي الْأَمَالِي: عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كَلَامُ ابْنِ آدَمَ
 كُلُّهُ عَلَيْهِ مَا خَلَا أَمْرَهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، فَقَالَ
 رَجُلٌ عِنْدَ سُفْيَانَ: مَا أَشَدَّ هَذَا الْحَدِيثَ؟
 فَقَالَ سُفْيَانُ: وَمَا شِدَّتُهُ؟.

أَلَمْ تَسْمَعْ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ
 إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، أَوَلَمْ
 تَسْمَعْ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ
 صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، هُوَ هَذَا
 بَعَيْنِهِ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَغَيْرُهُمْ:
 عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ
 لَا لَهُ إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنِ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ }.

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: مَا أَشَدَّ هَذَا الْحَدِيثَ؟

فَقَالَ سُفْيَانُ: وَمَا شِدَّةُ هَذَا الْحَدِيثِ؟

إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَنْ امْرَأَةٍ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ.

أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ.

أَوْ مَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ.

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ: رَوَاتُهُ ثِقَاتٌ، وَفِي مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ كَلَامٌ قَرِيبٌ لَا يُقْدَحُ وَهُوَ شَيْخٌ صَالِحٌ، انْتَهَى.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَإِنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ وَضَبْطَهُ، وَحَبْسَهُ، أَصْلٌ لِكُلِّ خَيْرٍ وَأَنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، فَقَدْ مَلَكَ أَمْرَهُ، وَأَحْكَمَهُ، وَضَبْطَهُ، وَأَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ مِنْ أَهَمِّ الْمُهْمَّاتِ

وَأَعْظَمَ الْقُرْبَاتِ، فَإِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، لِأَنَّ مِمَّا يَكُوبُ
النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ.

فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً، وَجَلَبَتْ نِقْمَةً.

وَرُبَّ كَلِمَةٍ أَحْدَثَتْ شَرًّا لَا يُمَكِّنُ تَدَارُكُهَا.

وَرُبَّ كَلِمَةٍ جَلَبَتْ الْعَدَاوَةَ، وَالْبَغْضَاءَ، وَالشَّقَاقَ، وَالنِّزَاعَ، بَيْنَ
الْإِخْوَانِ.

وَرُبَّ كَلِمَةٍ سَيِّئَةٍ تَفْتَحُ لِمَنْ تَعَلَّقَ بِنَفْسِهِ بَابًا مِنَ الْفَسَادِ لَا يَنْجُو
مِنْ شَرِّهِ أَبَدًا..

فَالْكَلِمَةُ لَيْسَتْ بِبَسِيطَةٍ.

الْكَلِمَةُ لَهَا أَهْمِيَّتُهَا.

الْكَلِمَةُ تُدْخِلُ الْإِنْسَانَ النَّارَ، أَوْ تُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، الْكَلِمَةُ تُشْعِلُ
الْحَرْبَ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ، وَتُسَعِّرُ نِيرَانُهَا، بَيْنَ الْمُتَسَالِمِينَ، وَتُضْرِمُ
الْأَحْقَادَ وَالضَّغَائِنَ، وَتُوجِّحُ نَارَ الْعَدَاوَةِ..

فَالسَّعِيدُ السَّعِيدُ: مَنْ شَغَلَهُ عَيْنُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ.

وَالسَّعِيدُ السَّعِيدُ: مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ سَقَطَاتِ الْأَلْفَافِ، وَهَفَوَاتِ
اللِّسَانِ وَزَلَّاتِهِ.

وَالسَّعِيدُ السَّعِيدُ: مَنْ بَصَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عُيُوبَ نَفْسِهِ، وَأَعَانَهُ عَلَى تَزْكِيَّتِهَا، وَتَطْهِيرِهَا، مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَالْمَعَاصِي...
فَطُوبَى لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ فِي لِسَانِهِ وَقَلَّلَ كَلَامَهُ، وَصَانَ لِسَانَهُ عَنِ النُّطْقِ إِلَّا بِالْخَيْرِ.

طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَطُوبَى لِمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ وَطُوبَى لِمَنْ نَزَّهَ لِسَانَهُ عَنِ فُضُولِ الْكَلَامِ، وَطُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عَيْبِ أَخِيهِ.

وَطُوبَى لِمَنْ حَسَّنَ كَلَامَهُ وَطَيَّبَهُ، وَقَهَرَ وَسْوَاسَهُ وَأَدَّبَهُ، وَعَادَى شَيْطَانَهُ وَهَوَاهُ، وَاسْتَجَابَ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ.

فَوَيْلٌ لِمَنْ نَسِيَ عَيْبَهُ وَتَفَرَّغَ لِعُيُوبِ النَّاسِ
وَيْلٌ لِمَنْ نَسِيَ زَلَّاتِهِ، وَهَفَوَاتِهِ، وَتَتَبَعَ زَلَّاتِ النَّاسِ، وَهَفَوَاتِهِمْ.
وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ يَفْتَرِشُ عُيُوبَ النَّاسِ أَمَامَهُ، وَيَطْوِي عُيُوبَ نَفْسِهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ.

فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ: أَلَّا يَنْشَغِلَ إِلَّا بِمَا يَغْنِيهِ، وَأَلَّا يَنْشَغِلَ إِلَّا بِعُيُوبِ نَفْسِهِ، وَأَنْ يَهْتَمَّ بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ، بَدَلًا مِنْ الْإِشْتِغَالِ بِعُيُوبِ غَيْرِهِ، وَالتَّعَرُّفِ لِمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنَ الْعُيُوبِ...

فَاخْرِصْ كُلَّ الْحَرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَانْشَغِلْ
بِإِصْلَاحِ نَفْسِكَ، وَعَثْرَاتِكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى مُحَاهِدَةِ النَّفْسِ
وَالشَّيْطَانِ، وَلَا تَعْجِزْ عَنْ صِيَانَةِ نَفْسِكَ، وَحِفْظِهَا، عَنْ كُلِّ مَا
يَشْغَلُ النَّفْسَ عَمَّا يَغْنِيهَا..

أَلَا إِنَّ خَيْرَ الدُّخْرِ خَيْرُ تُبَيْلِهِ *** وَشَرُّ كَلَامِ الْقَائِلِينَ فُضُولُهُ
عَلَيْكَ بِمَا يَغْنِيكَ مِنْ كُلِّ مَا تَرَى *** وَبِالصَّمْتِ إِلَّا مِنْ جَمِيلٍ تَقُولُهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ فِي دَارٍ بُلُغَةٍ *** إِلَى غَيْرِهَا وَالْمَوْتُ فِيهَا سَبِيلُهُ
وَأَيُّ بَلَاعٍ تَكْتَفِي بِكَثِيرِهِ * * * * إِذَا كَانَ لَا يَكْفِيكَ مِنْهُ قَلِيلُهُ
مَضَاجِعُ سُكَّانِ الْقُبُورِ مَضَاجِعُ *** يُفَارِقُ فِيهِنَّ الْخَلِيلَ خَلِيلُهُ
تَزَوُّدٌ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى *** فَكُلُّ بِهَا ضَيْفٌ وَشَيْكٌ رَحِيلُهُ
وَحُذٌّ لِلْمَنَايَا لَا أَبَا لَكَ عُدَّةً * * * فَإِنَّ الْمَنَايَا مَنْ أَتَتْ لَا تُقِيلُهُ
وَمَا حَادِثَاتُ الدَّهْرِ إِلَّا لِعِزَّةٍ * * * تَبَّتْ قُوَاهَا أَوْ الْمُلْكُ تُزِيلُهُ

طَلَبُ الْعِلْمِ

وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: أَنْ تُفَرِّغَ جُزْءاً مِنْ وَقْتِكَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ الْعِلْمَ مَصْدَرُ كُلِّ خَيْرٍ لِلنَّاسِ، وَخَيْرٌ مَا يُرْزَقُونَ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْعَالَمِ مِنَ الْعِلْمِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْمُوَصِّلُ لِكُلِّ خَيْرٍ لِلنَّاسِ دُنْيَا وَآخِرَةً، وَشَرٌّ مَا يُبْتَلَوْنَ بِهِ الْجَهْلُ، وَكُلُّ شَرٍّ مِنَ النَّاسِ، أَوْ مُصِيبَةٍ عَلَى النَّاسِ، سَبَبُهُ الْجَهْلُ.

وَكُلُّ فَرْدٍ مِنَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُطَالِبٌ بِتَعَلُّمِ الْعِلْمِ، وَالْإِعَانَةِ عَلَيْهِ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ الْعَالَمِ مَقْرُونَةٌ بِمَصْلَحَةِ الْجَمِيعِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

يَا بُنَيَّ: لَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَرَغَّبَ فِي تَحْصِيلِهِ وَأَثْنَى عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَوَعَدَهُمُ الْأَجْرَ وَالْمَثُوبَةَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ، وَعَلَى شَرَفِ أَهْلِهِ
وَفَضْلِهِمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، إِذْ لَوْ كَانَ أَحَدٌ يَعْدِلُهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ
لَقَرَنَ اللَّهُ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِ، كَمَا قَرَنَ اللَّهُ شَهَادَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ
بِشَهَادَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَفِي هَذَا حَظٌّ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، الْمُوَصِّلِ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى، وَالْهَادِي إِلَيْهِ.

وَكَفَى بِهَذَا شَرَفًا وَفَخْرًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَنَ شَهَادَةَ أُولِي الْعِلْمِ بِمَا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ، وَشَهِدَتْ بِهِ مَلَائِكَتُكَ.

وَلَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَأَثْنَى اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ
وَرَفَعَ مِنْ شَأْنِهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ﴾

وَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَشَرَفٌ كَبِيرٌ.

فَإِنَّ الرَّفْعَةَ تَشْتَمِلُ الرَّفْعَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ فِي الدُّنْيَا بِعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ، وَحُسْنِ
الصِّيتِ، وَانْتِشَارِ عِلْمِ الْعَالَمِ، وَاسْتِفَادَةِ النَّاسِ مِنْهُ.

وَالرَّفْعَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ رِفْعَةُ حِسِّيَّةٍ بَعْلُو الْمَنْزِلَةِ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الثَّوَابِ.

فَالْعِلْمُ نُورٌ: يَتَبَيَّنُ بِهِ الضَّارُّ مِنَ النَّافِعِ، وَيَتَمَيَّزُ بِهِ الْحَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافِرٍ، سَيِّمًا عُلُومَ الدِّينِ الَّتِي يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالِ، فَتُبَصَّرَ الْعَبْدُ بِرَبِّهِ، وَتُعَرَّفَهُ بِحَقِّهِ سُبْحَانَهُ، وَحَقِّ عِبَادِهِ، تَكْسِبُهُ رُشْدًا، وَتَفْتَحُ مِنْهُ أَعْيُنًا عُمِيًّا وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، وَبِذَلِكَ يَنْعَمُ فِي دُنْيَاهُ، وَيَسْعَدُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ فِي أُخْرَاهُ.

مِنْ هُنَا كَانَ لِلْعِلْمِ مَزِيَّتُهُ وَفَضِيلَتُهُ وَمَكَانَتُهُ فِي الْحَيَاةِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ.

وَلِهَذَا سَارَعَ فِي طَلَبِهِ الْعُقَلَاءُ، وَتَنَافَسَ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ.

وَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ؟

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ}.

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ}:

هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْمُفْرَدَةُ، تُشْعُّ وَخَدَهَا أَمْوَاجًا مِنَ النُّورِ، وَتَفْتَحُ وَخَدَهَا آفَاقًا مِنَ الْحَيَاةِ.

فَرِيضَةٌ: فَلْنَنْظُرْ مَا تَعْنِي الْفَرِيضَةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.
 إِنَّهَا أَوَّلًا: وَاجِبٌ مَفْرُوضٌ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ، لَا يَجُوزُ أَنْ
 تَشْغَلَهُ عَنْهُ الْمَشَاغِلُ، وَلَا أَنْ تُقْعِدَهُ الْعَقَبَاتُ.

وَهِيَ ثَانِيًا: وَاجِبٌ يُؤَدِّيهِ الْإِنْسَانُ إِلَى اللَّهِ، وَيَتَعَبَّدُ بِهِ إِلَيْهِ، وَمِنْ ثَمَّ
 فَهُوَ يُؤَدِّيهِ بِأَمَانَةٍ، وَيُؤَدِّيهِ بِنِظَافَةٍ، وَيُؤَدِّيهِ بِإِخْلَاصٍ.

وَهِيَ ثَالِثًا: عَمَلٌ يُقَرِّبُ الْعَبْدَ إِلَى اللَّهِ، فَكُلَّمَا قَامَ الْإِنْسَانُ بِهَذِهِ
 الْفَرِيضَةِ، أَوْ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ، أَحَسَّ أَنََّّهُ يَقْتَرِبُ مِنَ اللَّهِ، فَيَزْدَادُ بِهِ
 إِيمَانًا وَيَقِينًا وَتَعَلُّقًا، وَيَزْدَادُ لَهُ خَشْيَةٌ وَحُبًّا، وَيَزْدَادُ إِحْسَاسًا بِالرِّضَا
 فِي رِحَابِهِ، وَالشُّكْرُ عَلَى عَطَايَاهُ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: «يُعْلَمُ أَنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ وَاجِبٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ
 يُقَدِّمُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ.

فَمَنْ بَاعَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا عَيَّنَهُ اللَّهُ وَشَرَعَهُ فِي الْبَيْعِ.
 وَمَنْ أَجَرَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِجَارَةِ.
 وَمَنْ قَارَضَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقِرَاضِ.
 وَمَنْ صَلَّى يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ
 وَهَكَذَا الطَّهَّارَةُ، وَجَمِيعُ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، فَمَنْ تَعَلَّمَ وَعَمِلَ
 بِمُقْتَضَى مَا عَلِمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى طَاعَتَيْنِ». انْتَهَى.

وَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ؟

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
فِي أَمَالِيهِ: وَالطَّبْرَانِيُّ، فِي مَعَاجِمِهِ الثَّلَاثَةِ: عَنِ ابْنِ عُمرَ، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ
وَأَفْضَلُ الدِّينِ الْوَرَعُ}.

وَكَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
فِي أَمَالِيهِ: وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَالْبَزَّازُ، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.
مِنْ طَرِيقِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمْ
الْوَرَعُ}.

بَلْ إِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، وَأَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ، وَأَجَلَ
الطَّاعَاتِ، وَفِيهِ أَجْرٌ عَظِيمٌ، وَثَوَابٌ جَسِيمٌ، مِنَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ
كَمَا رُويَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ: {يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُو فَتَعْلَمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ
أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رُكْعَةٍ، وَلَأَنْ تَغْدُو فَتَعْلَمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ عُمَلُ بِهِ أَوْ
لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رُكْعَةٍ}.

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ.

وَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ طَرِيقٌ مُوصِلٌ إِلَى الْجَنَّةِ؟
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ: {مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى
الْجَنَّةِ}.

إِنَّ مَنْ وَفَّقَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ أَنَّهُ يَخُوضُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَسْلُكُ
طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُعَظِّمُهُ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حَتَّى حَيَوَانَاتُ الْمَاءِ، وَهَوَامُّ
الْبَرِّ.

كَمَا رَوَى: الْإِمَامُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ
سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ
الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ يَسْتَغْفِرُ لَطَالِبِ
الْعِلْمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى حَيْتَانُ الْبَحْرِ، وَهَوَامُّ
الْبَرِّ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى
سَائِرِ الْكَوَاكِبِ}.

وَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟
 كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
 فِي أَمَالِيهِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
 قَالَ: {مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى
 يَرْجِعَ}.

وَإِنْ مَاتَ طَالِبُ الْعِلْمِ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ مَاتَ شَهِيدًا، كَمَا رُويَ
 فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ لِطَالِبِ
 الْعِلْمِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَاتَ وَهُوَ شَهِيدٌ}..

وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيْثَانُ فِي الْبَحْرِ، كَمَا
 جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:
 {وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيْثَانُ فِي
 الْبَحْرِ}..

فَالَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْعِلْمُ، فَلَا يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ إِلَّا
 بِالْعِلْمِ، وَلَا تَسْتَقِيمُ الْأُمَّةُ عَلَى الْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَلَا
 تَسِيرُ الدَّعَوَاتُ الْإِصْلَاحِيَّةُ سَيْرًا سَلِيمًا إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَبِالْعِلْمِ تَنْتَشِرُ
 الرَّحْمَاتُ، وَتُزَالُ الضَّلَالَاتُ.

فَالْعِلْمُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَمَنْبَعُ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَبِهِ يُنَالُ كُلُّ خَيْرٍ وَمَكْرُمَةٍ، وَهُوَ مِنْ خَيْرِ مَا أُوتِيَهُ الْإِنْسَانُ.

كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ وَهُمْ بِحَضْرَتِهِ: {تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ حَسَنَةٌ، وَمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ^(١)، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ^(٢)، وَإِفَادَتُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ، وَهُوَ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ^(٣)، وَمَسَالِكُهُ سُبُلُ الْجَنَّةِ، مُؤْنَسٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَصَاحِبٌ فِي الْغُرْبَةِ، وَعَوْنٌ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَيَدٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَزَيْنٌ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ^(٤)، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ أَيْمَةً يُقْتَدَى بِهِمْ^(٥)، تُرْمَقُ أَعْمَالُهُمْ وَتُقْتَصُّ آثَارُهُمْ^(٦) تَرْغَبُ الْمُلُوكُ فِي خُلَّتِهِمْ^(٧)، وَالسَّادَةُ فِي عِشْرَتِهِمْ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي صَفْوَتِهِمْ، لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْخَطَايَا، وَنُورُ الْأَبْصَارِ مِنَ

(١) - أي: قراءته على المشايخ...

(٢) - أي: ثواب جهاد في المشقة أو في إغلاء دين الله: وإِعْزَازَ كَلِمَتِهِ الْعُلْيَا، وَقِيلَ: مُجَاهَدَةُ نَفْسٍ. فَجَعَلَ الْبَاحِثُ عَنِ الْعِلْمِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...

(٣) - أي: شعائره وعلامته، فَإِنَّ مَعْرِفَتَهُمَا مُنْحَصِرَةٌ بِالْعِلْمِ....

(٤) - الْأَخْلَاءُ: جَمْعُ خَلِيلٍ، وَهُوَ الصَّاحِبُ الْمَلَامُ.....

(٥) - الْإِقْتِدَاءُ لُغَةً: مَضَدُّرٌ اقْتَدَى بِهِ، إِذَا فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ تَأْسِيًا، وَيُقَالُ: فُلَانٌ قُدْوَةٌ: أَيُّ يُقْتَدَى بِهِ، وَيَتَأَسَّى بِأَفْعَالِهِ. قَالَ الْفَرُطِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَمَعْنَى الْإِقْتِدَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِالرَّجُلِ: اتِّبَاعُ أثرِهِ وَالْأَخْذُ بِحَدِيدِهِ، يُقَالُ: فُلَانٌ يَقْدُو فُلَانًا، إِذَا نَحَا نَحْوَهُ وَاتَّبَعَ أثرَهُ...

(٦) - فِي الْقَامُوسِ: قَصَّ أَثَرَهُ قَصًّا وَقَصِيصًا تَتَبَعُهُ.

(٧) - أي: صُحْبَتِهِمْ وَحَبَبَتِهِمْ، فَلَا يُقَارَفُونَهُمْ وَيُلْهِمُونَهُمْ الْحَيْرَ وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنَ الشَّرِّ..

وَفِي الْقَامُوسِ: الْحِلَّةُ بِالْكَسْرِ هِيَ الصَّدَاقَةُ، وَالْإِحَاءُ، وَالْحِلَّةُ أَيْضًا: الصَّدِيقُ لِلذَّكْرِ، وَالْأُنثَى، وَالْوَاحِدِ، وَالْجَمْعِ، وَالْحِلُّ بِالْكَسْرِ، وَالضَّمِّ: الصَّدِيقُ الْمُخْتَصُّ....

الْعَمَى، وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ عَلَى الشَّنَانِ^(١)، يُنْزِلُ اللَّهُ حَامِلَهُ الْجِنَانَ
وَيَحُلُّهُ مَحَلَّ الْأَبْرَارِ، بِالْعِلْمِ يُطَاعُ اللَّهُ وَيُعْبَدُ، وَبِالْعِلْمِ يُعْرِفُ اللَّهُ
وَيُوحِّدُ، بِالْعِلْمِ تُفْهَمُ الْأَحْكَامُ، وَيُفْصَلُ بِهِ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
يَمْنَحُهُ اللَّهُ السُّعْدَاءَ وَيَحْرِمُهُ الْأَشْقِيَاءَ}. . . انْتَهَى..

فَبِالْعِلْمِ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ وَخَالِقَهُ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ
وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهَا، وَالِامْتِثَالِ لِأَوَامِرِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَنْ نَوَاهِيهِ، حَيْثُ
لَا يَكُونُ عَمَلٌ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ.

وَبِالْعِلْمِ يَصِحُّ لَكَ الْعَمَلُ، وَبِالْعَمَلِ تُنَالُ الْحِكْمَةُ...
وَبِالْعِلْمِ تُوَصِّلُ الْأَرْحَامَ، وَالْأَهْلَ، وَالْأَقَارِبَ، وَالْأَصْحَابَ
وَالْأَصْدِقَاءَ..

وَبِالْعِلْمِ تَزْكُو الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَتَنْمُو، وَتَتَضَاعَفُ
الْحَسَنَاتُ.

وَبِالْعِلْمِ تُهَذَّبُ النُّفُوسُ، وَتُطَهَّرُ الْقُلُوبُ، وَتَحْيَا الْأَرْوَاحُ.
وَبِالْعِلْمِ يَنْجُو الْإِنْسَانُ مِنَ الشُّرُورِ، وَالشُّبُهَاتِ، وَالْمَعَاصِي
وَالْفِتَنِ...

(١) - الشَّنَانُ: الْبُغْضُ وَالْكَرَاهِيَةُ...

وَبِالْعِلْمِ يَحْرُسُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَيَحْفَظُهَا مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ
مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ، وَمَكْرِهِ، وَحَبَائِلِهِ، وَخُدَعِهِ وَأَمَانِيَّهِ، وَغُرُورِهِ
وَفِتْنَتِهِ..

فَكُنْ يَا بُنَيَّ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ:

عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُسْتَمِعًا، وَأَعِذْكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُنَ الرَّابِعَ
فَتَهْلِكَ، وَهُوَ الْجَاهِلُ.

كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {اغْدُ
عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُسْتَمِعًا، وَلَا تَكُنِ الثَّالِثَ فَتَهْلِكَ}.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُحِبًّا، وَلَا
تَكُنِ الْخَامِسَةَ فَتَهْلِكَ}.

قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ لِي مِسْعَرٌ: زِدْتَنَا خَامِسَةً لَمْ تَكُنْ عِنْدَنَا؟

قَالَ: وَالْخَامِسَةُ أَنْ تُبْغِضَ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ.

قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ:

رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الثَّلَاثَةِ، وَالْبَزَّازُ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ.

وَنَخْتُمُ هَذِهِ الْفَوَائِدَ، بِمَا قَالَهُ إِمَامُ الْعِلْمِ، وَسَيِّدُ الْعُلَمَاءِ، وَمَعْدِنُ الْحِكْمَةِ، وَيَنْبُوعُ الْعِلْمِ، سَيِّدُ الْعِبَادِ، وَعَلَمُ الْأَصْفِيَاءِ وَالزُّهَّادِ، أَعْلَمُ النَّاسِ قَاطِبَةً، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فِي وَصِيَّتِهِ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ:
وَهِيَ وَصِيَّةٌ مَشْهُورَةٌ، مِنْ أَحْسَنِ الْوَصَايَا فِي الْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِهِ: وَابْنُ الْقَيِّمِ فِي الْأَعْلَامِ: وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، يُسْتَعْنَى عَنِ الْإِسْنَادِ لِشُهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ:
فِي الْوَصِيَّةِ

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، يُسْتَعْنَى عَنِ الْإِسْنَادِ لِشُهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ:

عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ:

قَالَ: أَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِيَدِي، فَأَخْرَجَنِي إِلَى الْجَبَّانَةِ^(١)، فَلَمَّا أَصْحَرَ^(٢) تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ^(٣).

(١) - قَوْلُهُ: {إِلَى الْجَبَّانَةِ}: الْجَبَانُ وَالْجَبَّانَةُ، بِالتَّشْدِيدِ: الصَّخْرَاءُ...

ثُمَّ قَالَ: {يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ^(٣) فَخَيْرُهَا^(٤) أَوْعَاهَا^(٥) فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ.

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ:

فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ.

وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ^(٦).

وَهَمَّجٌ رُعَاعٌ^(٧)، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ^(٨)، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ^(٩).

لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ^(١).

(١) - قَوْلُهُ: {أَصْحَرُ}: أَيُّ: خَرَجَ إِلَى الصَّحَرَاءِ.

(٢) - قَوْلُهُ: {تَنْفَسَ الصُّعْدَاءُ}: أَيُّ: تَنْفَسَ تَنْفُسًا مَمْدُودًا طَوِيلًا..

(٣) - قَوْلُهُ: {أَوْعِيَةٌ}: وَالْوَعَاءُ: مَا يُوعَى فِيهِ الشَّيْءُ، أَيُّ: يُجْمَعُ، وَجَمْعُهُ أَوْعِيَةٌ...

(٤) - قَوْلُهُ: {فَخَيْرُهَا}: أَيُّ: أَحْسَنُهَا.

(٥) - قَوْلُهُ: {أَوْعَاهَا}: أَيُّ: أَحْفَظُهَا.

(٦) - قَوْلُهُ: {وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ}: أَيُّ: قَاصِدًا بِعِلْمِهِ النَّجَاةَ، وَهُوَ الْمُخْلِصُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي تَعَلُّمِهِ، الْمُتَعَلِّمُ مَا يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَآخِرَتِهِ، الْعَامِلُ بِعِلْمِهِ....

(٧) - {الْهَمَجُ}: دُبَابٌ صَغِيرٌ كَالْبُعُوضِ، يَسْقُطُ عَلَى وُجُوهِ الْغَنَمِ، وَالْحَمِيرِ، وَأَعْيُنُهَا، الْوَاحِدَةُ: هَمَجَةٌ.

{وَالرُّعَاعُ}: بِالْفَتْحِ السَّفَلَةُ مِنَ النَّاسِ، الْوَاحِدُ رُعَاعَةٌ، وَيُقَالُ: هُمْ أَخْلَاطُ النَّاسِ.

(٨) - قَوْلُهُ: {أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ}: شَبَّهَهُمُ بِالْغَنَمِ فِي اتِّبَاعِهِمْ كُلَّ مَنْ يَدْعُوهُمْ، كَمَا تَتَّبِعُ الْغَنَمُ الرَّاعِيَ إِذَا نَعَقَ بِهَا. وَالْمَعْنَى: مَنْ صَاحَ بِهِمْ وَدَعَاهُمْ تَبِعُوهُ، سَوَاءً دَعَاهُمْ إِلَى هُدًى، أَوْ إِلَى ضَلَالٍ، فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالَّذِي يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ، أَحَقُّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ؟.

فَهُمْ مُسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَصَرَّ النَّاسِ عَلَى الدِّينِ، فَإِنَّهُمْ الْأَكْثَرُونَ عَدَدًا، الْأَقْلُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، وَهُمْ حَطَبٌ كُلٌّ فَتْنَةٍ، وَسُمِّيَ دَاعِيَهُمْ نَاعِقًا تَشْبِيهًا هُمْ بِالْإِنْعَامِ الَّتِي يَنْعَقُ بِهَا الرَّاعِي...

(٩) - وَقَوْلُهُ: {يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ}: شَبَّهَ عُقُولَهُمُ الضَّعِيفَةَ بِالْعُصَنِ الضَّعِيفِ، وَشَبَّهَ الْأَهْوَاءَ، وَالْآرَاءَ بِالرِّيَاحِ، وَالْعُصْنَ يَمِيلُ مَعَ الرِّيحِ حَيْثُ مَالَتْ، وَعُقُولُ هَؤُلَاءِ تَمِيلُ مَعَ كُلِّ هَوًى، وَكُلِّ دَاعٍ، وَلَوْ كَانَتْ عُقُولًا كَامِلَةً كَانَتْ كَالشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي لَا تَتَلَاَعَبُ بِهَا الرِّيَاحُ.

وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ^(٢).
يَا كُمَيْلُ: الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ.
الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ.
وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزُكُّوا عَلَى الْإِنْفَاقِ^(٣).
وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.
يَا كُمَيْلُ بَنَ زِيَادٍ: مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ.
بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ.
وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ.
يَا كُمَيْلُ: هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ
الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ.
هَاهُ، هَاهُ، إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا.
وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ.
لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً.

(١) - وَقَوْلُهُ: {لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ}، بَيَّنَّ السَّبَبَ الَّذِي جَعَلَهُمْ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ نُورٌ يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَهُمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ نُورُ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِمْ مِمَّنْ يَدُلُّهُمْ عَلَى الْحَقِّ، بَلْ يَتَخَبَّطُونَ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلَالِ، وَالضَّلَالَةِ، إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا..

(٢) - وَقَوْلُهُ: {وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ}، اللَّحْأُ: الْاسْتِنَادُ، يُقَالُ: لَجَأْتُ فِي أَمْرِهِ إِلَى كَذَا إِذَا كَانَ مُسْتَنِدًا إِلَيْهِ..
وَالْوَثِيقُ الْمُحْكَمُ.....

(٣) - وَقَوْلُهُ: {وَالْعِلْمُ يَزُكُّوا عَلَى الْإِنْفَاقِ}، أَيُّ: يَنْمُو وَيَكْثُرُ..
وَالرَّكَاءُ بِالْمَدِّ التَّمَاءُ، وَالزِّيَادَةُ، يُقَالُ: زَكَا الْمَالُ إِذَا نَمَا وَزَادَ، وَزَكَا الزَّرْعُ وَالْمَالُ يَزُكُّو إِذَا كَثُرَ وَزَادَ.

بَلَى أَصَبْتُ لَقِنَا^(١) غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا
وَمُسْتَظْهِرًا بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ.
أَوْ مُنْقَادًا لِحِمْلَةِ الْحَقِّ، لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَخْنَائِهِ^(٢)، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي
قَلْبِهِ^(٣) بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ^(٤)، أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ^(٥).
أَوْ مِنْهُومًا بِاللَّذَّةِ^(٦)، سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ^(٧).
أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالْادِّخَارِ^(٨)، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ
أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَّهَا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ^(٩).
كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.
اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا
وَإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا.

(١) - وَقَوْلُهُ: {لَقِنَا}، أَي: سَرِيعَ الْمَهْمِ، وَقَوْلُهُ: {غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ}، غَيْرَ ثِقَةٍ...

(٢) - وَقَوْلُهُ: {فِي أَخْنَائِهِ}، أَي: جَوَائِثِهِ، الْوَاحِدُ مِنْهَا: حِنُو...

(٣) - وَقَوْلُهُ: {يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ}، أَي: يَخْصُلُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ عَلَى سُرْعَةٍ، وَمِنْهُ انْقِدَاحُ النَّارِ.

(٤) - وَقَوْلُهُ: {بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ}، بِأَوَّلِ مَا يَعْزِضُ لَهُ مِنَ الشُّبْهِ، فَأَوَّلُ شُبْهَةٍ تُؤَثِّرُ فِيهِ، وَتَقْدَحُ فِي قَلْبِهِ الشَّكُّ، فَيَقَعُ فِي الْخَيْرَةِ، وَالضَّلَالِ، وَالشَّكِّ، وَالْإِزْتِيَابِ.

وَيَتَخَبَّطُ فِي الشُّكُوكِ، وَالشُّبْهَاتِ، وَيَتَخَبَّطُ فِي الشُّكُوكِ، وَالشُّبْهَاتِ، وَيَقَعُ فِي الْمَعَاصِي، وَالذُّنُوبِ، وَالْآثَامِ....

(٥) - وَقَوْلُهُ: {أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ}، أَي: لَا أُرِيدُ مَنْ كَانَ خَائِنًا، وَلَا أُرِيدُ مَنْ كَانَ مُنْقَادًا لِحِمْلِ هَذَا الْعِلْمِ، وَلَا أَرْضَاهُمَا أَهْلًا لَهُ.

(٦) - وَقَوْلُهُ: {أَوْ مِنْهُومًا بِاللَّذَّةِ}، الْمَنْهُومُ بِالْشَيْءِ: الْمَوْلَعُ بِهِ.

(٧) - وَقَوْلُهُ: {سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ}، السَّلِسُ السَّهْلُ اللَّيِّنُ الْمُنْقَادُ، وَالْإِنْقِيَادُ: الْخُضُوعُ. تَقُولُ: قُدْتُهِ فَاِنْقَادًا، وَاسْتَقْدَادًا لِي إِذَا أَعْطَاكَ مَقَادَتَهُ...

(٨) - وَقَوْلُهُ: {أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالْادِّخَارِ}، الْمَغْرَمُ: الْمَوْلَعُ بِالشَّيْءِ، أَي: أَنَّهُ مَوْلَعٌ يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَادِّخَارَهَا، وَكَسْبَهَا، عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ، وَمِنْ أَيِّ وَجْهِ كَانَ.....

(٩) - وَقَوْلُهُ: {الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ}، وَالسَّائِمَةُ: الرَّاعِيَةُ.

لَيْلًا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ.

وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أَوْلَيْكَ؟

أَوْلَيْكَ وَاللَّهِ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَوَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزَرِّعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ.

هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ^(١) عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا^(٢) رُوحَ الْيَقِينِ^(٣) وَاسْتَلَانُوا^(٤) مَا اسْتَوَعَرَهُ^(٥) الْمُتَشَرَّفُونَ^(٦)، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى. أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالِدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ، هَاهُ هَاهُ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكَ، إِذَا شِئْتَ فَقُمْ}.

نَعْمَ يَا بُنَيَّ: لَقَدْ تَرَكَ لَنَا الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثَرَوَةً عِلْمِيَّةً ضَخْمَةً، مِنَ النَّصَائِحِ الْعَظِيمَةِ، وَالْمَوَاعِظِ

(١) - وَقَوْلُهُ: {هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ}، الْمُحْجُومُ: الْإِثْنَانُ بَعْتَهُ وَالِدُخُولُ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ....

(٢) - وَقَوْلُهُ: {وَبَاشَرُوا}، أَيُّ: خَالَطُوا...

(٣) - وَقَوْلُهُ: {رُوحَ الْيَقِينِ}، وَالرُّوحُ أَيْضًا: السُّرُورُ وَالْفَرَحُ، وَاسْتَعَارَهُ عَلِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِلْيَقِينِ فَقَالَ: {فَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ} قَالَ ابْنُ سِيدَةَ: وَعِنْدِي أَنَّهُ أَرَادَ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ اللَّذَيْنِ يَخْدَتَانِ مِنَ الْيَقِينِ.

(٤) - وَقَوْلُهُ: {وَاسْتَلَانُوا}، اسْتَلَانَ الْعَيْشَ: رَأَاهُ لَيْثًا، أَوْ عَدَّهُ لَيْثًا، أَوْ وَجَدَهُ لَيْثًا...

(٥) - وَقَوْلُهُ: {مَا اسْتَوَعَرَهُ}، الْوَعْرُ: الصَّعْبُ، وَاسْتَوَعَرُوا طَرِيقَهُمْ: رَأَوْهُ وَعَرَأَ. وَتَوَعَّرَ عَلِيٌّ: تَعَسَّرَ....

(٦) - وَقَوْلُهُ: {الْمُتَشَرَّفُونَ}، (الْمُتَشَرَّفُ): الْمُتَنَعَّمُ الْمُتَوَسِّعُ فِي مَلَاذِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا...

الشَّافِيَّة، وَالتَّوْجِيهَاتِ الْكَافِيَّة، وَالْوَصَايَا الْكَرِيمَةِ، وَالْإِرْشَادَاتِ، الَّتِي
تَوَارَثَهَا أَجْيَالُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، لَا تُقَدَّرُ بِشَيْءٍ....
إِنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ الْقِيَمَةَ، تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا مَعَانٍ عَظِيمَةً، وَحِكْمٍ
رَائِعَةً، لِمَنْ تَدَبَّرَهَا...

فَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ حَقَائِقِ
الْمَعْلُومَاتِ، وَمِنَ الْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ، وَمِنَ الْمَنَافِعِ وَالْفَوَائِدِ، وَجَدْتَهَا
أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ طَبَقَاتِ النَّاسِ وَأَحْوَالِهِمْ...
فَتَأْمَلْ هَذَا الْكَلَامَ الْجَلِيلَ، مِنْ هَذَا الْإِمَامِ الْجَلِيلِ، تَجِدُهُ قَدْ أَشْفَى
الْعَيَّ، وَأَزَالَ الْغَيَّ، وَنَاهَيْكَ بِالْإِمَامِ الْأَعْظَمِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَابُ
مَدِينَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلُومِ، الْمُبَيَّنُ لِلْأُمَّةِ مَا أَتَى بِهِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ: عَنْ رَبِّهِ.

وَنَاهَيْكَ فِي مَعْرِفَةِ فَضْلِهِ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {أَنَا
مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَعَلَيَّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِهِ مِنْ بَابِهِ}، وَقَوْلُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {عَلَيَّ أَعْلَمُ الْقَوْمِ وَأَقْضَاهُمْ}...
فَهُوَ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ: الْمَجْمَعُ عَلَى عِلْمِهِ، وَفَضِيلَتِهِ، الْمُتَّفَقُ عَلَى
إِمَامَتِهِ وَجَلَالَتِهِ وَفَضْلِهِ.

لَقَدْ كَانَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَحْرًا مِنْ بُحُورِ الْعِلْمِ، وَمِنْ أَيْمَةِ الدُّنْيَا، وَلَقَدْ كَانَ بِحَقِّ أَعْلَمِ الْأُمَّةِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَفْقَهُهَا بِتَأْوِيلِهِ، وَأَقْدَرُهَا عَلَى النُّفُوزِ إِلَى أَغْوَارِهِ، وَإِدْرَاكِ مَرَامِيهِ وَأَسْرَارِهِ.

يَا بُنَيَّ: لَقَدْ اعْتَنَى عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَقَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ، عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ، وَمَشَارِبِهِمْ وَأَزْمَانِهِمْ، وَبُلْدَانِهِمْ: بِشَرْحِهَا، وَإِيضًا حَقِّهَا.

فَاغْتَنِمْ هَذِهِ الْفَوَائِدَ الْفَرِيدَةَ، الْكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ، وَعُضِّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَاقْبِضْ عَلَيْهَا بِكَفِّ الْحَرَصِ، وَكُنْ بِهَا عَالِمًا، وَبِمَا فِيهَا عَامِلًا، وَإِلَيْهَا دَاعِيًا، وَعَلَيْهَا صَابِرًا.

فِيَا لَهَا: مِنْ نَصِيحَةٍ صَادِقَةٍ، خَرَجَتْ مِنْ قَلْبِ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ، الْمُشْفِقِ، الْعَالِمِ، الْمُجَرَّبِ، الْمُخْلِصِ..

فَلِلَّهِ دُرُّ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَعْظَمَهُ مِنْ إِمَامٍ عَالِمٍ نَاصِحٍ، صَادِقٍ، وَمَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا مِنْ نَصِيحَةٍ صَادِقَةٍ، وَمَا أَعْظَمَ حَاجَتَنَا الْيَوْمَ إِلَيْهَا، وَمَا أَسْعَدَ مَنْ قَامَ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ.

قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، مِنْ أَحْسَنِ
الْأَحَادِيثِ مَعْنَى، وَأَشْرَفَهَا لَفْظًا.

وَتَقْسِيمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ النَّاسَ فِي أَوَّلِهِ تَقْسِيمٌ
فِي غَايَةِ الصَّحَّةِ، وَنَهَايَةِ السَّدَادِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ
الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ: الَّتِي ذَكَرَهَا مَعَ كَمَالِ الْعَقْلِ، وَإِرَاحَةِ الْعِلَلِ.
إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُغْفَلًا لِلْعِلْمِ وَطَلَبِهِ، لَيْسَ بِعَالِمٍ
وَلَا طَالِبٍ لَهُ.

فَالْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا زِيَادَةَ عَلَى فَضْلِهِ لِفَاضِلٍ، وَلَا
مَنْزِلَةَ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ لِمُجْتَهِدٍ، وَقَدْ دَخَلَ فِي الْوَصْفِ لَهُ بِأَنَّهُ رَبَّانِيٌّ
وَصَفُّهُ بِالصِّفَاتِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا الْعِلْمُ لِأَهْلِهِ، وَيَمْنَعُ وَصْفَهُ بِمَا
خَالَفَهَا.

وَمَعْنَى الرَّبَّانِيِّ فِي اللُّغَةِ: الرَّفِيعُ الدَّرَجَةِ فِي الْعِلْمِ، الْعَالِي الْمَنْزِلَةِ فِيهِ
وَعَلَى ذَلِكَ حَمَلُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَخْبَارُ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. انتهى..

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ:

فَقَسَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَمَلَةُ الْعِلْمِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:
قِسْمٌ هُمْ أَهْلُ الشُّبُهَاتِ، وَهُمْ مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ
يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، فَتَأْخُذُهُ الشُّبْهَةُ
فَيَقَعُ فِي الْحَيْرَةِ وَالشُّكُوكِ، وَيَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْبِدْعِ، وَالْأَهْوَاءِ
وَالضَّلَالَاتِ.

وَقِسْمٌ هُمْ أَهْلُ الشَّهَوَاتِ وَحَظَّهُمْ نَوَعَانِ:
أَحَدُهُمَا: مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِنَفْسِ الْعِلْمِ، فَيَجْعَلُ الْعِلْمَ آلَةً
لِكَسْبِ الدُّنْيَا.

وَالثَّانِي: مَنْ هَمُّهُ جَمْعُ الدُّنْيَا، وَاکْتِنَازُهَا، وَادِّخَارُهَا، وَكُلُّ أَوْلَيْكَ
لَيْسُوا مِنْ رِعَاةِ الدِّينِ، وَإِنَّمَا هُمْ كَالْأَنْعَامِ.
وَلِهَذَا شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ حُمِّلَ التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلْهَا بِالْحِمَارِ الَّذِي
يَحْمِلُ أَسْفَارًا، وَشَبَّهَ عَالِمَ الشُّؤْمِ الَّذِي انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ بِالْكَلْبِ، وَالْكَلْبُ وَالْحِمَارُ أَحْسَنُ
الْأَنْعَامِ، وَأَضْلَى سَبِيلًا.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ هُمْ أَهْلُهُ، وَحَمَلَتُهُ، وَرِعَاتُهُ
وَالْقَائِمُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَذَكَرَ أَنََّّهُمُ الْأَقْلُونَ عَدَدًا
وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، إِشَارَةً إِلَى قِلَّةِ هَذَا الْقِسْمِ وَعِزَّتِهِ
وَعُزْبَتِهِ بَيْنَهُمْ، مِنْ حَمَلَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَوَصَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذَا الْقِسْمُ مِنْ حَمَلَةِ
الْعِلْمِ بِصِفَاتٍ:

مِنْهَا: أَنَّهُ هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمَ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ
الْعِلْمَ دَلَّهُمْ عَلَى الْمَقْصُودِ الْأَعْظَمِ مِنْهُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى
فَخَافُوهُ، وَأَحْبُوهُ، حَتَّى سَهَّلَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا تَعَسَّرَ عَلَى
غَيْرِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ، مِمَّنْ وَقَفَ مَعَ الدُّنْيَا
وَزَهَرَتْهَا، وَاعْتَزَّ بِهَا، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَإِجْلَالِهِ.

فَلِذَلِكَ قَالَ: {اسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ مِنْهُ الْمُتَرَفُّونَ}، فَإِنَّ الْمُتَرَفَّ
الْوَاقِفُ مَعَ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا، يَصْعُبُ عَلَيْهِ تَرْكُ لَذَاتِهَا
وَشَهَوَاتِهَا، لِأَنَّهُ لَا عِوَضَ عِنْدَهُ مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا إِذَا تَرَكَهَا، فَهُوَ لَا
يَصْبِرُ عَلَى تَرْكِهَا.

وَهَؤُلَاءِ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِوَضُ الْأَكْبَرُ بِمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ لَذَّةِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ.

كَمَا كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: «إِنَّ أَحِبَّاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ وَرِثُوا طَيِّبَ الْحَيَاةِ، وَذَاقُوا نَعِيمَهَا بِمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ مُنَاجَاةِ حَبِيبِهِمْ، وَبِمَا وَجَدُوا مِنْ لَذَّةِ حُبِّهِ فِي قُلُوبِهِمْ»، فِي كَلَامٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ هَاهُنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى.

وَإِنَّمَا أُنِسَ هَؤُلَاءِ بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، لِأَنَّ الْجَاهِلِينَ بِاللَّهِ يَسْتَوْحِشُونَ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا فَهِيَ أُنْسُهُمْ.

وَهَؤُلَاءِ يَسْتَوْحِشُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَسْتَأْنِسُونَ بِاللَّهِ وَبِذِكْرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ.

وَالْجَاهِلُونَ بِاللَّهِ يَسْتَوْحِشُونَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَجِدُونَ الْأُنْسَ بِهِ. وَمِنْ صِفَاتِهِمُ الَّتِي وَصَفَهُمْ بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُمْ صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّخِذُوا الدُّنْيَا وَطَنًا، وَلَا رَضُوا بِهَا إِقَامَةً وَلَا مَسْكَنًا، إِنَّمَا اتَّخَذُوهَا مَمَرًا، وَلَمْ يَجْعَلُوهَا مُسْتَقَرًّا.

وَجَمِيعُ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ أَوْصَتْ بِهَذَا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ
عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: فِي جُمْلَةٍ وَعَظِهِ لَهُمْ: ﴿يَا قَوْمِ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لِابْنِ عُمَرَ: {كُنْ فِي الدُّنْيَا
كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ}، وَفِي رِوَايَةٍ: {وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ
الْقُبُورِ}. انْتَهَى..

فَلَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَدِينِهِ، وَمَعْرِفَةِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى
وَيَرْضَاهُ، وَمَعْرِفَةِ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، فَلَا نَجَاةَ
لَنَا، وَلَا خَلَاصَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا بِالْعِلْمِ.

فَايَّاكُمْ ثُمَّ اِيَّاكُمْ: أَنْ تَغْفَلَ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ فَتَكُونَ مِنَ
الْهَالِكِينَ....



التَّقْوَى لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مَا كَانَتْ فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثُرَتْهُ، وَلَا فِي يَسِيرٍ إِلَّا بَارَكْتُهُ.

وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ، ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ، إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ سَبِيلٌ مُوصِلٌ إِلَيْهِ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلَغَةٌ لَهُ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ، وَلَا آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ، إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِرْزٌ مَتِينٌ، وَحُصْنٌ حَصِينٌ، لِلسَّلَامَةِ مِنْهُ، وَالنَّجَاةِ مِنْ ضَرَرِهِ.

وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: مَا دَخَلَتْ فِي قَلْبٍ إِلَّا أَدْمَعَتْ عَيْنَيْهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَجَعَلَتْ قَلْبَهُ أَسْبَقُ مَا يَكُونُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ. وَأَفْضَلُ مَا يَتَحَلَّى بِهِ الْمُسْلِمُ: أَنْ تَكُونَ تَقْوَى اللَّهِ قَدْ وَقَرَتْ فِي صَدْرِهِ، وَاسْتَقَرَّتْ فِي فؤَادِهِ، وَقَلْبِهِ، فَعِنْدَهَا يَكُونُ أَعَفَّ النَّاسِ لِسَانًا، وَأَثْبَتِ النَّاسِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، جَنَانًا.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَالنَّجَاةُ عِنْدَ اللَّهِ غَدًا...

قَالَ الْإِمَامُ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ}.
انتهى..

وَبِالتَّقْوَى يَنَالُ الْعَبْدُ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَوَلَايَتَهُ، وَنَصْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَجَنَّتُهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَتَقْوَى اللَّهِ وَخَشْيَتُهُ رَأْسُ الْعِلْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾.

إِنَّ التَّقْوَى مِنَ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَزِمَهَا كُلُّ مُسْلِمٍ، وَمُسْلِمَةٍ.....

حَقِيقَةُ التَّقْوَى

وَقَدْ عَرَّفَ الْإِمَامُ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: التَّقْوَى فَقَالَ:
{ التَّقْوَى هِيَ: الْخَوْفُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَالْعَمَلُ بِالتَّنْزِيلِ، وَالرِّضَا
بِالْقَلِيلِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ }.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي تَعْرِيفِهِ
لِلتَّقْوَى: { التَّقْوَى: تَرْكُ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَتَرْكُ الْاِغْتِرَارِ
بِالطَّاعَةِ } ..

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِ﴾، قَالَ: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: «أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُشْكَرَ
فَلَا يُكْفَرُ، وَأَنْ يَذْكَرَ فَلَا يُنْسَى» ..

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: «تَمَامُ التَّقْوَى تَمَامُ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ
الْعَبْدُ حَتَّى يَتَّقِيَهُ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، حَتَّى يَتْرَكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ
حَلَالٌ، خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ حَرَامًا، يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ» ..

وَقَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: «التَّقْوَى الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ
اللَّهِ، رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ، وَتَرْكُ مَعَاصِي اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، مَخَافَةَ
عَذَابِ اللَّهِ» .. انْتَهَى ...

وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مَا مِنْ خَيْرٍ إِلَّا وَعَلَّقَهُ رَبُّ الْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ
بِالتَّقْوَى..

فَتَقْوَى اللَّهِ هِيَ: جَمَاعُ الْأَمْرِ، وَهِيَ أَسَاسُ النَّجَاحِ، وَالْفَلَاحِ
وَهِيَ: الْعِدَّةُ فِي الشَّدَائِدِ، وَالْعَوْنُ فِي الْمُلِمَّاتِ، وَهِيَ مَهْبِطُ الرُّوحِ
وَالطَّمَأْنِينَةِ، وَمُتَنَزِّلُ الصَّبْرِ وَالسَّكِينَةِ، وَهِيَ مِرْقَاةُ الْعِزِّ، وَمِعْرَاجُ
السُّمُورِ إِلَى السَّمَاءِ، وَهِيَ الَّتِي تُثَبِّتُ الْأَقْدَامَ فِي الْمَزَالِقِ، وَتَرْبِطُ
عَلَى الْقُلُوبِ فِي الْفِتَنِ.

فَالزَّمَهَا، وَصَيَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ، فَهِيَ وَاللَّهِ خَيْرٌ لِبَاسٍ تَزَيَّنْتَ
بِهِ، وَخَيْرٌ زَادٍ، وَأَفْضَلُ زَادٍ، تَتَزَوَّدُ بِهِ، وَخَيْرٌ بِضَاعَةٍ، مَلَكَتَهَا
يَدَاكَ..

**قَالَ الْإِمَامُ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي بَعْضِ
خُطْبِهِ: {فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ^(١) بَعْدَ دُنُوءِهَا
وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا^(٢)، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ
تَرَاكُمِهَا^(٣)، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ^(٤) بَعْدَ إِنْصَابِهَا^(١)، وَهَطَلَتْ**

(١) - قَوْلُهُ: {عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ}، أَي: زَالَتْ، وَذَهَبَتْ..

(٢) - قَوْلُهُ: {وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا}، أَي: صَارَتْ حُلُوءَةً...

(٣) - قَوْلُهُ: {وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا}، أَي: شَبَّهَ كَثْرَةَ الشُّبْهِ، وَمُوَاقِعَةَ الْمَعَاصِي بِالْأَمْوَاجِ الْعَظِيمَةِ إِذَا تَرَاكَمَتْ، فَإِذَا
حَصَلَتْ التَّقْوَى زَالَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا.

(٤) - قَوْلُهُ: {وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ}، أَي: وَصَارَتْ الْأُمُورُ الصَّعْبَةُ سَهْلَةً يَسْهُلُ فِعْلُهَا، وَيَقْرُبُ أَخْذُهَا عَلَى سَهُولَةٍ....

عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ فُحُوطِهَا^(٢)، وَتَحَدَّثَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ^(٣) بَعْدَ نُفُورِهَا^(٤)، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النَّعْمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا^(٥)، وَوَبَلَّتْ^(٦) عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا^(٧)}. انتهى..

وَكَفَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾. فَبِالتَّقْوَى تُفَرِّجُ الْكُرُوبَ، وَيَنْجُو الْإِنْسَانُ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَتَنْدَكُ أَمَامَهُ الْعَقَبَاتِ، وَتَزُولُ الشُّبُهَاتِ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾. وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

وَكَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلُمِ، وَيُخَلِّدُهُ فِي مَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلُهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا

(١) - قَوْلُهُ: {بَعْدَ انْصَابِهَا}، أَيُّ: بَعْدَ إِتْعَابِهَا لَكُمْ، أَنْصَبْتُهُ أَنْعَبْتُهُ...

(٢) - قَوْلُهُ: {وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ}، هَطَلَتْ السَّمَاءُ، إِذَا دَامَ مَطَرُهَا، قَوْلُهُ: (بَعْدَ فُحُوطِهَا)، الْفُحُطُ ذَهَابُ الْمَطَرِ، وَأَرَادَ الْكَرَامَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ خَلْقِهِ...

(٣) - قَوْلُهُ: {وَتَحَدَّثَتْ عَلَيْهِ}، أَيُّ: عَطَفَتْ وَخَنَتْ، مِنْ قَوْلِهِمْ فَلَانْ حَدْبٌ عَلَى أَقَارِيهِ، إِذَا كَانَ مُشْفِقًا عَلَيْهِمْ، كَثِيرَ الرَّحْمَةِ هُمْ...

(٤) - قَوْلُهُ: {بَعْدَ نُفُورِهَا}، أَيُّ: شُرُودِهَا عَنْهُمْ، وَزَوَالِهَا...

(٥) - قَوْلُهُ: {بَعْدَ نُضُوبِهَا}، نَضَبَ الْمَاءُ نُضُوبًا: غَارَ وَدَهَبَ فِي الْأَرْضِ، وَنُضُوبُ النَّعْمَةِ، قِلَّتُهَا، أَوْ زَوَالُهَا...

(٦) - قَوْلُهُ: {وَوَبَلَّتْ}، الْوَبْلُ وَالْوَابِلُ: الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ الْقَطْرِ، وَبَلَّتِ السَّمَاءُ وَبَلًا مِنْ بَابٍ وَعَدَ، وَوُبُولًا، اشْتَدَّ مَطَرُهَا....

(٧) - قَوْلُهُ: {إِرْذَاذُهَا}، الرِّذَاذُ: الْمَطَرُ الضَّعِيفُ. وَقِيلَ: السَّاكِنُ الدَّائِمُ الصَّغَارُ الْقَطْرِ كَأَنَّهُ غُبَارٌ...

لِنَفْسِهِ^(١)، ظَلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُورُهَا مَلَأَتْكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا
رُسُلُهُ}. انْتَهَى..

وَبِالتَّقْوَى يَجِدُونَ سَعَةً فِي الرِّزْقِ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وَبِالتَّقْوَى تُقْبَلُ الْأَعْمَالُ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾..

وَبِالتَّقْوَى يَنْضَجُ عَقْلُ الْإِنْسَانِ، وَيَتَكَوَّنُ عِنْدَهُ مَلَكَهٌ قَوِيَّةٌ، وَبَصِيرَةٌ
نَيِّرَةٌ، تُضِيءُ لَهُ الطَّرِيقَ الْمُظْلِمَ، وَيُفَرِّقُ بَهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
وَبَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ، بَلْ وَتُكْفِّرُ سَيِّئَاتِهِ، وَتَغْفِرُ ذُنُوبَهُ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ
فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ
كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾..

(١) - قَوْلُهُ: {فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ}، أَي: لِمَنْ يَخْتَصُّهُ وَيَكُونُ ذَا مَكَانَةٍ عِنْدَهُ، كَأَنَّهُ فَعَلَهُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ، لِأَنَّ كُلَّمَا يَفْعَلُهُ
الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ، فَهُوَ فِي غَايَةِ الرَّصَانَةِ، وَالْقُوَّةِ وَالنَّصِيحَةِ...

وَبِالتَّقْوَى يَأْمَنُ الْإِنْسَانُ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَيُسَرُّ إِذَا حَزَنُوا
وَيَسْتَبْشِرُ إِذَا قَنَطُوا وَيَيْسُوا: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
..﴾

وَبِالتَّقْوَى يَطْمَئِنُّ الْمُسْلِمُ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا سِيَّمَا
ضِعْفَاؤُهُمْ: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾...

وَبِالتَّقْوَى يَنَالُ النُّصْرَةَ وَالْمَدَدَ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلَى
إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾.

وَبِالتَّقْوَى يَحْصُلُ السَّدَادُ وَالتَّوْفِيقُ، وَإِصْلَاحُ الْعَمَلِ، مَعَ الْمَغْفِرَةِ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّقْوَى هِيَ امْتِثَالُ أَوَامِرِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ.

لَأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ التَّقْوَىٰ وَقَايَةُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ مِنَ النَّارِ، وَهُوَ إِنَّمَا يَقِي نَفْسَهُ النَّارَ بِمَا ذَكَرْتُ.

فَالْمُتَّقُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَرَاهُمُ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَهُمْ، وَلَا يُقَدِّمُونَ عَلَىٰ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ.

وَالْمُتَّقُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ، وَيَعْرِفُونَهُ وَيُؤَدُّونَهُ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ، وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيلَ الَّذِي لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

الْمُتَّقُونَ: يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ، وَيُحِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ.

وَلَا يَخُونُونَ فِي أَمَانَةٍ، وَلَا يَرْضُونَ بِالذُّلِّ وَالْإِهَانَةِ، وَلَا يَعُصُونَ وَلَا يَقْطَعُونَ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ، وَلَا يَضْرِبُونَ إِخْوَانَهُمْ، يَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَمَهُمْ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ، الْحَيْرُ عِنْدَهُمْ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُونٌ، لَا يَغْتَابُونَ، وَلَا يَكْذِبُونَ، وَلَا يُنَافِقُونَ.

وَلَا يَنْمُون، وَلَا يَحْسِدُونَ، وَلَا يُرَاءُونَ، وَلَا يُرَابُونَ، وَلَا يَقْذِفُونَ وَلَا يَأْمُرُونَ بِمَنْكَرٍ، وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مَعْرُوفٍ، بَلْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ حَقًّا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ: هُمُ الَّذِينَ يَقُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ عَذَابَ النَّارِ يَتَّخِذُونَ الطَّاعَاتِ وَجَمِيعَ الْقُرْبَاتِ جَلَابِيبَ تَقِيهِمْ حَرَّ نَارِ السَّعِيرِ. فَتَرَاهُمْ مُسَارِعِينَ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ، لِيَتَّخِذُوا مِنْهَا سَرَابِيلَ تَقِيهِمْ بَرْدَ الزَّمْهِرِ.

تَرَاهُمْ مُسَابِقِينَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا عَامِلُونَ، يَتَّخِذُونَ مِنْهَا دُرُوعًا وَاقِيَةً مِنْ نَارِ السَّمُومِ، فَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ: مَنْ عَرَفُوا الْحَرَامَ فَاجْتَنَبُوهُ، وَعَرَفُوا الْمُنْكَرَ فَتَرَكُوهُ.

إِنَّ الْمُتَّقِي: هُوَ مَنْ يَعِيشُ عَلَى حَذَرٍ، يَجْتَنِبُ الْمُنْكَرَ، هُمُّهُ رِضَى رَبِّهِ، لَا يُطْعِمُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا مَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ حَلَالٌ طَيِّبٌ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا ظَنَّهُ صِدْقًا لَا كَذِبًا وَلَا لَغْوَ فِيهِ، وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مَا ظَنَّهُ مُبَاحًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ.

تَرَاهُ وَقَّافًا عِنْدَ الشُّبْهَاتِ، يَتْرُكُ الْحَلَالَ خَوْفًا مِنَ الدُّخُولِ فِي الْبَاطِلِ، عَرَفَ بِأَنَّ لِلَّهِ حِمَى، وَأَنَّ حِمَى اللَّهِ مُحَارِمُهُ، وَأَنَّ مَنْ يَرْعَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، فَيَدَعِ مَا يَحِلُّ خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَا يَحْرُمُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: { لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ }

وَإِلَيْكَ بَعْضُ الْحِكْمِ:

فَالَيْكَ يَا بُنَيَّ: بَعْضُ مِنَ الْحِكْمِ الْبَالِغَةِ، وَالْمَوَاعِظِ الْجَامِعَةِ
وَالْوَصَايَا الْمُسْتَحْسَنَةِ، وَالنَّصَائِحِ الْقِيَمَةِ، النَّافِعَةِ، الشَّافِيَةِ، الْجَلِيلَةِ
وَالشَّامِلَةِ لَجَمِيعِ الْقِيَمِ الْكَرِيمَةِ، وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا، الَّتِي تُضِيءُ الطَّرِيقَ
لِلْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ.

وَتَجْعَلُهُمْ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ، عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ، وَنُورٍ وَبَصِيرَةٍ
فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَفِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، تُضِيءُ لَهُمُ الطَّرِيقَ الْمُظْلِمَ
فَتَزْكُو بِهَا أَنْفُسُهُمْ، وَتُطَهَّرُ بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَتَسْمُو بِهَا أَرْوَاحُهُمْ
وَتُنِيرُ لَهُمُ طَرِيقَ النَّجَاةِ، وَالْهُدَايَةِ، وَالسَّعَادَةِ، وَالْفَلَاحِ، وَالْفَوْزِ
وَتُوصِلُهُمْ إِلَى مَا فِيهِ نَجَاتُهُمْ، وَصَلَاحُهُمْ، وَفَلَاحُهُمْ، وَسَعَادَتُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...

فَدُونَكُمْ هَذِهِ الْوَصَايَا، وَالْمَوَاعِظُ، وَالْحِكْمُ الزَّائِرَةُ، الَّتِي تُصْلِحُ
لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا شُؤُونَ الدِّينِ، وَالدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ.

عَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ لُقْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: **(يَا بُنَيَّ: حَمَلْتُ الْجُنْدَلَ^(١)**
وَالْحَدِيدَ وَكُلَّ شَيْءٍ ثَقِيلٍ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا هُوَ أَثْقَلَ مِنْ جَارِ
السَّوْءِ، وَذُقْتُ الْمَرَارَ، فَلَمْ أَذُقْ شَيْئًا هُوَ أَمَرُّ مِنَ الْفَقْرِ.

يَا بُنَيَّ: لَا تُرْسِلْ رَسُولَكَ جَاهِلًا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ حَكِيمًا، فَكُنْ
رَسُولَ نَفْسِكَ.

يَا بُنَيَّ: إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ شَهِيٌّ كَلَحِمِ الْعُصْفُورِ عَمَّا قَلِيلٍ
يَقْلِي صَاحِبَهُ.

يَا بُنَيَّ: احْضُرِ الْجَنَائِزَ، وَلَا تَحْضُرِ الْعُرْسَ، فَإِنَّ الْجَنَائِزَ تُذَكِّرُكَ
الْآخِرَةَ، وَالْعُرْسَ يُشْجِيكَ الدُّنْيَا.

يَا بُنَيَّ: لَا تَأْكُلْ شَبَعًا عَلَى شَبَعٍ، فَإِنَّكَ إِنْ تُلْقِهَ لِلْكَلبِ خَيْرٌ
مِنْ أَنْ تَأْكُلَهُ.

يَا بُنَيَّ: لَا تَكُنْ حُلُوءًا فَتُبْلَعَ، وَلَا مُرًّا فَتُلْفَظَ). انْتَهَى...
مِنْ وَصَايَا، وَحِكْمٍ، وَنَصَائِحِ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:
قَالَ الْإِمَامُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ.

(١) - (الْجُنْدَلُ): مَا يُقَالُ الرَّجُلُ مِنَ الْحِجَارَةِ..

وَالْحُجَّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ.
 وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ.
 وَالِدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ.
 وَاسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ.
 وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ.
 وَمَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ.
 وَالتَّقْدِيرُ نِصْفُ الْعَيْشِ.
 وَقَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ.
 وَمَنْ أَحْزَنَ وَالِدَيْهِ فَقَدْ عَقَّهُمَا.
 وَمَنْ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ فَقَدْ حَبَطَ أَجْرُهُ.
 وَالصَّنِيعَةُ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ.
 وَاللَّهُ يُنْزِلُ الصَّبْرَ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ.
 وَيُنْزِلُ الرِّزْقَ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ.
 وَمَنْ قَدَّرَ مَعِيشَتَهُ رَزَقَهُ اللَّهُ.
 وَمَنْ بَدَّرَ مَعِيشَتَهُ حَرَمَهُ اللَّهُ». انتهى...

وَعَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الصَّادِقِ، قَالَ: دَخَلْتُ
 عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الصَّادِقِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: وَمُوسَى بَيْنَ
 يَدَيْهِ، وَهُوَ يُوصِيهِ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ، فَكَانَ مِمَّا حَفِظْتُ مِنْهَا أَنْ قَالَ:
«يَا بَنِي: اقْبَلْ وَصِيَّتِي، وَاحْفَظْ مَقَالَتِي، فَإِنَّكَ إِنْ حَفِظْتَهَا تَعِشْ
سَعِيدًا، وَتَمُتْ حَمِيدًا.

يَا بَنِي: مَنْ قَنَعَ بِمَا قُسِمَ لَهُ اسْتَغْنَى.
 وَمَنْ مَدَّ عَيْنَيْهِ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ مَاتَ فَقِيرًا.
 وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قُسِمَ لَهُ، اتَّهَمَ اللَّهَ فِي قَضَائِهِ.
 وَمَنْ اسْتَصَغَرَ زَلَّةَ غَيْرِهِ، اسْتَغْظَمَ زَلَّةَ نَفْسِهِ.
 وَمَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِهِ، انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ.
 وَمَنْ سَلَ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ.
 وَمَنْ اخْتَفَرَ بُرًّا لِأَخِيهِ أَوْقَعَهُ اللَّهُ فِيهِ.
 وَمَنْ دَاخَلَ السُّفَهَاءَ حُقِّرَ.
 وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وُقِّرَ.
 وَمَنْ دَخَلَ مَدَاحِلَ الشُّوْءِ اتَّهَمَ.
يَا بَنِي: إِيَّاكَ أَنْ تُزْرِيَ بِالرِّجَالِ، فَيُزْرِيَ بِكَ.

وَإِيَّاكَ وَالْدُّخُولَ فِيمَا لَا يَغْنِيكَ، فَتَذِلَّ لِدَلِّكَ.

يَا بُنَيَّ: قُلِ الْحَقُّ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ تُسْتَشَارُ مِنْ بَيْنِ أَقْرَبَائِكَ.

يَا بُنَيَّ: كُنْ لِلْقُرْآنِ تَالِيًا.

وَلِلسَّلَامِ فَاشِيًا.

وَلِلْمَعْرُوفِ آمِرًا.

وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا.

وَلِمَنْ قَطَعَكَ وَاصِلًا.

وَلِمَنْ سَكَتَ عَنْكَ مُبْتَدِئًا.

وَلِمَنْ سَأَلَكَ مُعْطِيًا.

وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ، فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشَّحْنَاءَ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ.

وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِعُيُوبِ النَّاسِ، فَمَنْزِلَةُ الْمُتَعَرِّضِ لِعُيُوبِ النَّاسِ
بِمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ.

يَا بُنَيَّ: إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ، فَعَلَيْكَ بِمَعَادِنِهِ، فَإِنَّ لِلْجُودِ مَعَادِنَ

وَلِلْمَعَادِنِ أُصُولًا، وَلِلأُصُولِ فُرُوعًا، وَلِلْفُرُوعِ ثَمَرًا، وَلَا يَطِيبُ ثَمَرٌ إِلَّا

بِفَرْعٍ، وَلَا فَرْعٌ إِلَّا بِأَصْلِ، وَلَا أَصْلٌ ثَابِتٌ إِلَّا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ.

يَا بَنِي: إِنَّ زُرْتَ فُزِرَ الْأَخْيَارَ، وَلَا تَزِرِ الْفُجَّارَ، فَإِنَّهُمْ صَخْرَةٌ لَا يَتَفَجَّرُ مَأْوُهَا، وَشَجَرَةٌ لَا يَخْضَرُ وَرْقُهَا، وَأَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عُشْبُهَا». قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى: عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: فَمَا تَرَكَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ إِلَى أَنْ تُؤْفَى... انْتَهَى...

وَعَنْ عَائِدِ بْنِ حَيْبٍ: قَالَ: قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا زَادَ أَفْضَلُ مِنَ التَّقْوَى.

وَلَا شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنَ الصَّمَتِ.

وَلَا عَدُوٌّ أَضَرُّ مِنَ الْجَهْلِ.

وَلَا دَاءٌ أَدْوَأُ مِنَ الْكَذِبِ».

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ الْفُرَاتِ: أَنَّ جَعْفَرَ الصَّادِقَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: قَالَ: «لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثَةٍ:

بِتَعَجُّلِهِ، وَتَصْغِيرِهِ، وَسِتْرِهِ». انْتَهَى...

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ:

فِي نَكْبَتِهِ.

وَعِيبَتِهِ.

وَوَفَاتِهِ } .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا:

مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمَ الْإِجَابَةَ.

وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمَ الْقَبُولَ.

وَمَنْ أُعْطِيَ الْاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمَ الْمَغْفِرَةَ.

وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمَ الزِّيَادَةَ } .

قَالَ الرَّضِي: وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فِي

الدُّعَاءِ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

وَقَالَ فِي الْاسْتِغْفَارِ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ

اللَّهُ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

وَقَالَ فِي الشُّكْرِ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

وَقَالَ فِي التَّوْبَةِ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ

ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا﴾ .. انتهى ...

وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِمُ

السَّلَامُ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَوْصِنِي.

قَالَ: «يَا سُفْيَانُ لَا مُرُوءَةَ لِكَذُوبٍ.

وَلَا رَاحَةَ لِحُسُودٍ.

وَلَا إِخَاءَ لِمَلُولٍ.

وَلَا سُودَدَ لِسَيِّئِ الْخُلُقِ».

قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ زِدْنِي.

قَالَ: «يَا سُفْيَانُ كُفَّ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَكُنْ عَابِدًا.

وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا.

وَاصْحَبِ النَّاسَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَصْحَبُوكَ بِهِ تَكُنْ مُؤْمِنًا.

وَلَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فَيُعَلِّمَكَ مِنْ فُجُورِهِ.

أَيُّ: لِلْحَدِيثِ: {الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ

يُخَالِلُ}، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ».

قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ زِدْنِي.

قَالَ: «يَا سُفْيَانُ مَنْ أَرَادَ عِزًّا بِلَا عَشِيرَةٍ، وَهَيْبَةً بِلَا سُلْطَانٍ

فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ».

قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ زِدْنِي.

قَالَ: «أَدَّبَنِي أَبِي بِثَلَاثٍ:

قَالَ لِي: أَيُّ بُنَيٍّ: إِنْ مَنْ يَصْحَبُ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمَ.

وَمَنْ يَدْخُلُ مَدَاحِلَ السُّوءِ يُتَّهَمُ.

وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِسَانَهُ يَنْدَمُ».

كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ الزُّهَّادِ: أَنَا - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - رَجُلٌ مِنْ
إِخْوَانِكَ، قَدْ أَوْبَقْتَنِي ذُنُوبِي، وَكَثُرَتْ عُيُوبِي، فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ يَقِفُ
ذُو اللَّبِّ عَلَى مَا يَنْفَعُهُ، وَكَيْفَ يَجْتَنِبُ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَضُرُّهُ؟

فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

اعْلَمْ: أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّهُ مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ.

وَمَنْ تَعَرَّى عَنْ لِبَاسِ التَّقْوَى لَمْ يَسْتَتِرْ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّبَّاسِ.

وَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

وَمَنْ هَتَكَ جِلْبَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ.

وَمَنْ نَسِيَ زَلَّهُ اسْتَعْظَمَ زَلَّ غَيْرِهِ.

وَمَنْ سَلَ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ.

وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ.

وَمَنْ اقْتَحَمَ اللَّجَجَ غَرِقَ.

وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ.

وَمَنْ اسْتَعْنَى بِعِلْمِهِ زَلَّ» .. انْتَهَى ...

وَأَوْصَى عُلْقَمَةَ ابْنَهُ فَقَالَ: «يَا بَنِيَّ: إِذَا عَرَضَتْ لَكَ إِلَى صُحْبَةِ
الرَّجَالِ حَاجَةٌ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ
زَانَكَ، وَإِنْ قَعَدْتَ بِكَ مَوْؤَنَةً مَانَكَ.

وَاصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ بِخَيْرٍ مَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً
عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً سَدَّهَا.

اصْحَبْ مَنْ إِذَا سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ، وَإِنْ سَكَتَ ابْتَدَاكَ، وَإِنْ نَزَلَتْ
بِكَ نَازِلَةٌ وَاسَاكَ.

اصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَكَ، وَإِنْ حَاوَلْتَ أَمْرًا آمَرَكَ، وَإِنْ
تَنَازَعْتُمَا آثَرَكَ». انْتَهَى...

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكَ *** وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

وَمَنْ إِذَا رَيْبُ زَمَانٍ صَدَّعَكَ *** شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

وَمِنْ وَصَايَا الْإِمَامِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ:

فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ إِنِّي أُوصِيكَ أَنْ لَا تَشْرِكَ

دَرَسَ الْقُرْآنَ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَوْ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءَيْنِ أَوْ جُزْءًا وَاحِدًا

لَا تَتْرَكَ ذَلِكَ أَبَدًا، وَعَلَيْكَ بِصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فَإِنَّهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ
وَلَا يَغُرَّنَكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا سُنَّةٌ^(١).

(١) - فائدة: ظاهر مذهب الإمام القاسم بن محمد: أَنَّ الْجَمَاعَةَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ، فَلَا تَصِحُّ صَلَاةُ مَنْ صَلَّى وَخْدَهُ...

قَالَ السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ الْمُحْتَنِدُ/ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَجْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: فِي مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ: =

= الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ [وَجُوبُ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ]

اِخْتِجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَارْتَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، عَلَى وَجُوبِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ قَدْ كَثُرَ فِيهَا النِّزَاعُ، وَأَطَالَ بَعْضُهُمْ فِي

الِاخْتِجَاجِ عَلَيْهَا، وَلَاجِلِ إِرَادَةِ تَحْقِيقِ الْخِلَافِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ فِيهَا جَعَلْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهَا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

الْأَوَّلُ: فِي ذِكْرِ الْخِلَافِ.

الثَّانِي: فِي ذِكْرِ أدِلَّةِ الْقَائِلِينَ بِالْوُجُوبِ.

الثَّالِثُ: فِي الْاِخْتِجَاجِ عَلَى نَفْيِ الْوُجُوبِ، وَإِبْثَاتِ كَوْنِهَا سُنَّةً فَقَطْ.

الموضع الأول: فِي ذِكْرِ الْخِلَافِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حُكْمِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهَا فَرَضٌ عَيْنٍ وَلَا يَجُوزُ تَرْكُهَا إِلَّا لِعُذْرٍ، وَهَذَا قَوْلُ عَطَاءٍ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ الْحُسَيْنِيِّ، وَأَبِي ثَوْرٍ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَابْنِ الْمُنْذِرِ

وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَابْنِ خُزَيْمَةَ، وَابْنِ جِبَّانٍ، وَدَاوُدَ، وَابْنَ حَزْمٍ، وَسَائِرُ أَهْلِ الظَّاهِرِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ الْإِمَامَ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا فَدَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ فَلَا تَصِحُّ صَلَاةُ مَنْ صَلَّى وَخْدَهُ.

وَهَذَا قَوْلُ دَاوُدَ وَأَصْحَابِهِ.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: وَهُوَ قَوْلُ جَمِيعِ أَصْحَابِنَا.

وَرُويَ عَنْ أَحْمَدَ، وَاخْتَارَهُ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ عَقِيلٍ، وَأَبُو الْحَسَنِ التَّمِيمِيُّ.

وَهُوَ ظَاهِرُ مَذْهَبِ الْإِمَامِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ، بَلْ يَأْتِي التَّارِكُ، وَتَبَرُّأُ ذِمَّتُهُ بِصَلَاتِهِ وَخْدَهُ، وَهَذَا قَوْلُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ، وَرُويَ عَنْهُ، وَبِهِ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا فَرَضٌ كِفَايَةٍ وَنَسَبُهُ فِي الرُّوضِ إِلَى مَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَابْنِ سُرَيْجٍ، وَإِحْدَى الرَّوَاتِبَيْنِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَخَذَ قَوْلِي

الشَّافِعِيِّ، وَتَخْرِيجَ أَبِي الْعَبَّاسِ لِلْهَادِي، وَأَخَذَ تَحْصِيلِي أَبِي طَالِبٍ، وَأَخَذَ قَوْلِي الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ، وَاخْتَارَهُ النَّوَوِيُّ، وَعَلَيْهِ جُمْهُورُ

الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ.

قَالَ فِي النَّيْلِ: وَبِهِ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَالْحَنَفِيَّةِ، مِنْهُمْ الطَّحَاوِيُّ، وَالْكَزْخِيُّ، حَكَاهُ عَنْهُمَا الْقُسْطَلَانِيُّ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَالْقَاسِمُ، وَالْهَادِي، وَالنَّاصِرُ، وَالْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ، وَأَبُو طَالِبٍ وَغَيْرُهُمْ مِنَ

الْعِزَّةِ، وَهُوَ أَخَذَ قَوْلِي الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ، وَاخْتَارَهُ عَلَامَةُ الْعَصْرِ، وَرُويَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَرَجَّحَهُ الْمُقْبِلِيُّ،

وَالشُّوْكَانِيُّ، وَحَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْجُمْهُورِ. انْتَهَى...

وَقَالَ فِي الْاِئْتِصَارِ:

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ: صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ هَلْ تَكُونُ وَاجِبَةً أَمْ لَا؟

فِيهِ مَذَاهِبُ أَرْبَعَةٌ:

المذهب الأول: أنها سنة مؤكدة وهذا هو رأي: أئمة العترة زيد بن علي، والقاسم، والهادي والناصر، ومخزي عن السيدين الأخوين المؤيد بالله، وأبي طالب، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، وأحد قولي الشافعي، ومخزي عن الكرخي، وهو مروى عن بعض أصحاب الشافعي.

المذهب الثاني: أنها واجبة على الكفاية وهذا هو المخزي عن السيد أبي العباس، فإنه قال: الجماعة واجبة على كل من أطاقتها، إلا لعذر يبين من فساد إمام، أو مرض مانع، أو مطر جود، أو غير جود. = وهو المنصوص للشافعي وإلى هذا ذهب المروزي، وابن سريج من أصحاب الشافعي، وبه قال الثوري، ومالك، ورواية عن أبي حنيفة.

المذهب الثالث: أنها واجبة على الأغنياء وهذا هو المخزي عن الأوزاعي، وأحمد بن حنبل. وكلام أبي العباس يفتضيه أيضاً: وهو قول إسحاق بن راهويه، وأبي ثور، وداود من أهل الظاهر، وابن المنذر. **المذهب الرابع:** أن الجماعة شرط في صحة الصلاة ومن لم يحضرها بطلت صلاته، وهذا شيء يخفى عن بعض أهل الظاهر.. والمختار: ما عول عليه أئمة العترة: من كونها سنة مؤكدة... انتهى....

وقال ابن الأثير في سبل السلام:

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: {والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخلف إلى رجل لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم والذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم أنه يجد عزفاً سميماً أو ممراتين حسنتين لشهد العشاء}.

والحديث دليل على وجوب الجماعة عيناً لا كفاية إذ قد قام بها غيرهم فلا يستحقون العقوبة ولا عقوبة إلا على ترك واجب أو فعل محرم.

وإلى أنها فرض عين ذهب عطاء، والأوزاعي، وأحمد، وأبو ثور، وابن خزيمة، وابن المنذر، وابن حبان، ومن أهل البيت أبو العباس، وقالت به الظاهري، وقال داود: إنها شرط في صحة الصلاة بناءً على ما يختاره من أن كل واجب في الصلاة فهو شرط فيها، ولم يسلم له هذا، لأن الشرطية لا بد لها من دليل، ولذا قال أحمد وغيره: إنها واجبة غير شرط.

= ودذهب أبو العباس تحصيلاً لمذهب الهادي أنها فرض كفاية، وإليه ذهب الجمهور من متقدمي الشافعية، وكثير من الحنفية، والمالكية وذهب زيد بن علي، والمؤيد بالله، وأبو حنيفة، وصاحبه، والناصر، إلى أنها سنة مؤكدة... انتهى... وقال الشوكاني في نيل الأوطار:

وقد اختلفت أقوال العلماء: في صلاة الجماعة فذهب عطاء، والأوزاعي، وإسحاق، وأحمد، وأبو ثور، وابن خزيمة، وابن المنذر، وابن حبان، وأهل الظاهر، وجماعة.

ومن أهل البيت أبو العباس، إلى أنها فرض عين.

واختلفوا فبعضهم قال: هي شرط، روي ذلك عن داود، ومن تبعه.

وروي مثل ذلك عن أحمد.

وقال الباقر: إنها فرض عين، غير شرط.

ودذهب الشافعي في أحد قوليه، قال الحافظ: هو ظاهر نصه، وعليه جمهور المتقدمين من أصحاب الشافعي.

وبه قال كثير من المالكية، والحنفية، إلى أنها فرض كفاية.

= ودذهب الباقر إلى أنها سنة: وهو قول زيد بن علي، والهادي، والقاسم، والناصر، والمؤيد بالله، وأبو طالب، وإليه ذهب مالك، وأبو حنيفة.. انتهى...

وَعَلَيْكَ بِمُلَازِمَةِ الْعِلْمِ وَطَلَبِهِ فَإِنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ الْفَرَائِضِ، وَاسْتَعِنْ عَلَى ذَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.

وَالْفُرْقَانُ هُوَ: الْعِلْمُ وَالْفِطْنَةُ، وَتَنْوِيرُ الْقَلْبِ الَّذِي يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

وَتَقْوَى اللَّهِ هِيَ: أَنْ تَتْرَكَ كُلَّ حَرَامٍ، وَكُلُّ مُشْتَبِهٍ بِالْحَرَامِ كَأَكْلِ الشَّظَا^(١)، لِأَجْلِ الْخِلَافِ، وَأَنْ تَقُومَ بِكُلِّ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

وَمِمَّا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ: تَرْكُ حُبِّ الدُّنْيَا وَالِاسْتِغَالِ بِهَا، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {مَنْ اشْتَدَّتْ رَغْبَتُهُ فِي الدُّنْيَا أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِ فِيهَا}.

وَعَلَيْكَ بِالْإِكْتِسَارِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

وَعَلَيْكَ بِالتَّوَاضُّعِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْكِ التَّكَبُّرِ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ}.

(١) - قَالَ فِي الْبَحْرِ: وَهُوَ دُبَابٌ يَخْرُجُ أَيَّامَ مَطَرِ الصَّيْفِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِحَلِّ أَكْلِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾، ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ﴾، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾، وَهِيَ طَيِّبَةٌ مِمَّا أَخْرَجَتْ الْأَرْضُ وَطَبَعُهَا سَوْدَاوِيٌّ.....

وَعَلَيْكَ بِتَرْكِ الْإِعْجَابِ بِنَفْسِكَ، وَذَلِكَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّكَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَائِرِ الْمُوبِقَاتِ الْمُخِطَّاتِ لِلْأَعْمَالِ، لِأَنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ كَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ أَوْ خَمْسَةَ آلَافِ سَنَةٍ، شَكَّكَتُ أَنَا فِي ذَلِكَ - فَاعْتَقِدْ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَعْنَتَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَرَوَى: الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي كِتَابِ (حَقَائِقِ الْمَعْرِفَةِ): أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِفَةِ الْمُحِبِّينَ لِلرَّحْمَنِ، فَأَمَرَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُخْبِرَهُ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {يَا ذَا خُذْ عَنِّي صِفَةَ الْمُحِبِّينَ لِلرَّحْمَنِ: عَبْدٌ اسْتَصْغَرَ بَذْلَهُ فِي اللَّهِ، وَاسْتَعْظَمَ ذَنْبَهُ، وَوَطَّنَ نَفْسَهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُوَاحِدٌ غَيْرُهُ}.

حِينَئِذٍ - يَعْنِي: اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

قَالَ: فَصَعِقَ الْأَعْرَابِيُّ حِينَئِذٍ.

يَعْنِي: ذَهَبَ عَقْلُهُ، حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ كَالْمَيِّتِ، فَلَمَّا أَفَاقَ يَعْنِي رَجَعَ لَهُ عَقْلُهُ.

قَالَ: أَخْبِرْنَا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ هَلْ تَكُونُ فِي حَالَةٍ أَعْلَى مِنْ هَذَا الْعَبْدِ؟

قَالَ: {نَعَمْ، سَبْعِينَ دَرَجَةً}.

حِينَئِذٍ يَعْنِي: أَنَّهُ خَائِفٌ أَنَّهُ لَيْسَ مُؤَاخَذٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ غَيْرُهُ خَوْفًا زَائِدًا عَلَى خَوْفِ الْعَبْدِ الَّذِي وَصَفَهُ سَبْعِينَ دَرَجَةً.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وَلَا تَظُنُّ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سُوءًا، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

وَعَلَيْكَ بِتَرْكِ الْمِرَاءِ، وَهُوَ: كَثْرَةُ الْمُرَاجَعَةِ، فَلَا تَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، لَكِنْ إِذَا عَرَضَتْ مُرَاجَعَةٌ وَقَدْ عَرَفْتَ الْحَقَّ، فَتَكَلِّمْ بِالْحَقِّ مَرَّةً إِنْ قَبِلَ وَإِلَّا سَكَتَ.

لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {أَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، بَيِّتٌ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا}.

وَعَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: {وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ}.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَنًا لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ}.
وَالدَّيْدَنُ الْعَادَةُ، وَمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ: أَنَّهُ يَبْقَى فِي الظُّلُمَاتِ
لَا يَهْتَدِي إِلَى الْحَقِّ. انْتَهَى...

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ الْحَسَنِ: {فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ
تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهِمٍ
وَتَعْلَمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلُقِ الْخُصُومَاتِ}، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ
إِلَى أَنْ قَالَ فِيهِ: {وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ
وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ}.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ذَلِكَ:

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ ***** إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبُ

وَعَلَيْكَ بِتَعْظِيمِ شَيْخِكَ فِي الْعِلْمِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾... الْآيَةُ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ﴾.

فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا الْإِيمَانُ فَقَطُّ، وَهُوَ الْمُتَعَلِّمُ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنِّي لَمْ أَمُرْكَ بِالْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ لِحَاجَتِنَا إِلَيْهِ، وَلَأنَّه لَا يَنْجُو إِلَّا الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ، لَأنَّه لَا يَنْجُو مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَخْشَاهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ، حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

وَرَوَى: زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: {عَالِمٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ، الْعَالِمُ يَسْتَنْقِذُ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَالْعَابِدُ يُوشِكُ أَنْ يَقْدَحَ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا هُوَ فِي وَادِي الْهَلَكَاتِ}.

وَرَوَى: زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَأَنَّهُ يُسْتَغْفَرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى حِيتَانُ الْبَحْرِ، وَهَوَامُّ الْبَرِّ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ} .. انتهى....

وَمِمَّا أَوْصَى بِهِ أَوْلَادَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«يَا بَنِيَّ: اتَّقُوا اللَّهَ يُكْرِمَكُمْ، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، تَطُولُ أَعْمَارُكُمْ وَيُبَارِكُ لَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ، وَتَصَدَّقُوا تُرْزُقُوا، وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ تُخْصَبُوا، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ تُنْصَرُوا، وَاحْصُوا بُطُونَكُمْ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ يَكُنْ طَلَبُكُمْ جَمِلاً، وَإِيَّاكُمْ وَدِمَاءَ النَّاسِ، فَإِنَّ تَبَعَاتَهَا فِي الدَّارَيْنِ عَظِيمَةٌ، وَأَصْلِحُوا الْمَالَ حَذَارِ جَفْوَةِ مَخْلُوقٍ تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ أَوْ نَبْوَةِ زَمَانٍ يَقِلُّ الصَّبْرُ فِيهِ، وَإِذَا ابْتُلِيتُمْ بِمَسْأَلَةِ أَحَدٍ فَقِفُوا عِنْدَ أَوَّلِهَا، وَكَفَى بِالرَّدِّ مَنَعًا، وَأَكْرِمُوا الضَّيْفَ بِمَا تَجِدُونَ، وَلَا تَكَلَّفُوا لَهُ فَإِنَّكُمْ مَعَ ذَلِكَ تَمْلُونَهُ، وَلَا يَكُنْ لَكُمْ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مَانِعٌ يَسْتَغْرِقُ أَوْقَاتَكُمْ، وَاجْعَلُوا خَيْرَهَا وَأَكْثَرَهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، إِلَّا مَا

لَا بُدَّ مِنْهُ فِي إِصْلَاحِ أَمْوَالِكُمْ، فَفِي أَوْقَاتِهِ، وَحِينَ تَدْعُو الضَّرُورَةَ
إِلَيْهِ، وَإِذَا طَلَبْتُمُ الْعِلْمَ فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَهُوَ عُلُومُ آلِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَدَعُّوا الْإِغْرَاقَ فِيمَا لَا يَنْفَعُ، فَرُبَّ طَالِبٍ
عِلْمٍ جَهْلٍ، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ، هَذَا مَعَ اسْتِقَامَةِ دِينِكُمْ، وَعَدَمِ
مُعَاوَنَتِكُمْ لِلظَّالِمِينَ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمْ دِينُكُمْ، أَوْ حَمَلَكُمْ عَلَى
مُعَاوَنَتِهِ ظَالِمٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ فَعَلَيْكُمْ بِالْفِرَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاعْتَمِدُوا
عَلَى اللَّهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُضَيِّعُكُمْ، وَالسَّلَامُ»..

تَمَّتْ وَصَايَا الْإِمَامِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ: لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ:

يَا بُنَيَّ: وَإِنِّي أُوصِيكَ يَا بُنَيَّ: بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا.

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلْيَكُنْ أَوَّلَى الْأُمُورِ بِكَ الشُّكْرُ لِلَّهِ
وَحُسْنُ النِّيَّةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.

وَاعْلَمْ: بِأَنَّ الشَّاكِرَ مُزَادٌ، وَالتَّقْوَى خَيْرٌ زَادٍ.

وَكُنْ يَا بُنَيَّ: كَمَا قَالَ الْحُطَيْئَةُ:

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ *** وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ

وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ دُخْرًا *** وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتَقَى مَزِيدٌ

وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ *** وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدُ
ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ: لَا تَزْهَدَنَّ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو صُرُوفٍ
وَالْأَيَّامَ ذَاتُ نَوَائِبٍ، عَلَى الشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ، فَكَمْ مِنْ رَاغِبٍ قَدْ
كَانَ مَرْغُوبًا إِلَيْهِ، وَطَالِبٍ أَصْبَحَ مَطْلُوبًا مَا لَدَيْهِ.
وَاعْلَمْ: أَنَّ الزَّمَانَ ذُو أَلْوَانٍ، وَمَنْ يَصْنَعُ الزَّمَانَ يَرَى الْهَوَانَ.
وَكُنْ أَيُّ بُنَيَّ: كَمَا قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ:

عُدَّ مِنَ الرَّحْمَنِ فَضْلًا وَنِعْمَةً *** عَلَيْكَ إِذَا مَا جَاءَ لِلْخَيْرِ طَالِبُ
وإِنَّ أَمْرًا لَا يُزْتَجَى الْخَيْرُ عِنْدَهُ *** يَكُنْ هَيِّنًا ثَقَلًا عَلَى مَنْ يُصَاحِبُ
فَلَا تَمْنَعَنَّ ذَا حَاجَةٍ جَاءَ طَالِبًا *** فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاغِبُ
رَأَيْتُ التَّوَا هَذَا الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ *** وَبَيْنَهُمْ فِيهِ تَكُونُ النَّوَائِبُ
ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ: كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ، بِخِيَالٍ
بِالْأَسْرَارِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَإِنَّ أَحْمَدَ جُودِ الْمَرْءِ الْإِنْفَاقُ فِي وَجْهِ
الْبِرِّ، وَإِنَّ أَحْمَدَ بَخْلِ الْحَرِّ الضَّنِّ بِمَكْتُومِ السِّرِّ، وَكُنْ كَمَا قَالَ قَيْسُ
بْنِ الْخَطِيمِ الْأَنْصَارِيُّ:

أَجُودُ بِمَضْنُونِ التَّلَادِ وَإِنِّي *** بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَالِي لَضَنِينُ
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ *** بِنْتُ وَتَكْثِيرِ الْحَدِيثِ قَمِينُ
وإِنْ ضَيَّعَ الْإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنِّي *** كَتُومٌ لِأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِينُ

يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا اثْتُمْنْتُهُ *** مَكَانُ بِسَوْدَاءِ الْفُؤَادِ مَكِينُ
ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ: إِنْ غُلِبْتُ يَوْمًا عَلَى الْمَالِ، فَلَا تَدْعِ الْحِيلَةَ عَلَى
حَالٍ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ يَحْتَالُ وَالِدَنِي عِيَالٍ، وَكُنْ مَا تَكُونُ فِي الظَّاهِرِ
حَالًا أَقْلَ مَا تَكُونُ فِي الْبَاطِنِ مَالًا، فَإِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ كَرُمَتْ طَبِيعَتُهُ،
وَوَظَهَرَتْ عِنْدَ الْإِنْفَادِ نَعْمَتُهُ، وَكُنْ كَمَا قَالَ بَنُ خَذَّاقِ الْعَبْدِيِّ:

وَجَدْتُ أَبِي قَدْ أَوْرَثَهُ أَبُوهُ *** خِلَالًا قَدْ تُعَدُّ مِنَ الْمَعَالِي
فَأَكْرَمُ مَا تَكُونُ عَلَى نَفْسٍ *** إِذَا مَا قَلَّ فِي الْأَزْمَاتِ مَالِي
فَتَحَسَّنْ سِيرَتِي وَأَصُونْ عِرْضِي *** وَيَجْمُلْ عِنْدَ أَهْلِ الرَّأْيِ حَالِي
ثُمَّ قَالَ أَيُّ بُنَيَّ: وَإِنْ سَمِعْتَ كَلِمَةً مِنْ حَاسِدٍ فَكُنْ كَأَنَّكَ لَسْتَ
بِالشَّاهِدِ، فَإِنَّكَ إِنْ أَمْضَيْتَهَا حِيَالَهَا رَجَعَ الْعَيْبُ عَلَى مَنْ قَالَهَا
وَكَانَ يُقَالُ: الْأَرِيبُ الْعَاقِلُ هُوَ الْفَطْنُ الْمُتَغَافِلُ.
وَكَُنْ كَمَا قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي:

وَمَا مِنْ شَيْمَتِي شَتَمَ ابْنِ عَمِّي *** وَمَا أَنَا مَخْلِفٌ مَنْ يَرْجِيَنِي
وَكَلِمَةُ حَاسِدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ *** سَمِعْتُ فَقُلْتُ مُرِّي فَاَنْفُذْنِي
وَعَابُوهَا عَلَيَّ، فَلَمْ تَعْنِي *** وَلَمْ يَغْرَقْ لَهَا يَوْمًا جَبِينِي
وَذُو الْوَجْهَيْنِ يَلْقَانِي طَلِيقًا *** وَلَيْسَ إِذَا تَغَيَّبَ يَأْتِلْنِي
بَصُرْتُ بَعِيْبِهِ فَكَفَفْتُ عَنْهُ *** مُحَافَظَةً عَلَى حَسْبِي وَدِينِي

ثُمَّ قَالَ أَيُّ بُنَيٍّ: لَا تُوَاخِ أَخَا حَتَّى تُعَاشِرُهُ وَتَعْرِفَ أَمْرَهُ، وَتَتَفَقَّدَ مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ، فَإِذَا اسْتَطَبَّتِ الْعِشْرَةُ، وَرَضِيتِ الْخُبْرَةُ، فَأَخِجْهُ عَلَى إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ، وَالْمُوَاسَاةِ فِي الْعُسْرَةِ.

وَكُنْ يَا بُنَيَّ: كَمَا قَالَ الْمُقَنَّنُ الْكِنْدِيُّ:

أُبَلُّ الرِّجَالَ إِذَا أَرَدْتُ إِخَائَهُمْ ... وَتَوَسَّمَنَّ فَعَالَهُمْ وَتَفَقَّدِ
فَإِذَا ظَفِرْتَ بِذِي الْأَمَانَةِ وَالتُّقَى .. فِيهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ
وَإِذَا رَأَيْتَ وَلَا مُحَالَاةَ زَلَّةً ... فَعَلَى أَخِيكَ بِفَضْلِ حِلْمِكَ فَارْدُدِ
ثُمَّ قَالَ أَيُّ بُنَيٍّ: وَإِذَا أَحْبَبْتَ حَبِيبًا فَلَا تُفْرِطْ، وَإِذَا أَبْغَضْتَ بَغِيضًا
فَلَا تُشْطِطْ، فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {أَحِبِّ
حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ
بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا}.

وَكُنْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ هُدْبَةُ بْنُ الْخَشْرَمِ الْعُدْرِي:

وَكُنْ مَعْقِلًا لِلْحِلْمِ وَاصْفَحْ عَنِ الْخَنَا *** فَإِنَّكَ رَأَى مَا حَيَّتَ وَسَامِعُ
وَأَحِبِّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا *** فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ بُغْضًا مُقَارِبًا *** فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

وَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ: بِصُحْبَةِ الْأَخْيَارِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَإِيَّاكَ
وَصُحْبَةِ الْأَشْرَارِ، فَإِنَّهُ عَارٌ. وَكُنْ كَمَا قَالَ الدَّارِمِيُّ:

اصْحَبِ الْأَخْيَارَ وَارْغَبْ فِيهِمْ *** رَبٌّ مَنْ صَاحَبْتُهُ مِثْلُ الْجَرْبِ

وَدَعَ النَّاسَ فَلَا تَشْتُمُهُمْ *** وَإِذَا شَاتَمْتَ فَاشْتُمْ ذَا حَسَبٍ

إِنَّ مَنْ شَاتَمَ وَغَدَاً كَالَّذِي *** يَشْتَرِي الصَّفَرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ

وَاصْدُقِ النَّاسَ إِذَا حَدَّثْتَهُمْ *** وَدَعَ الْكَذِبَ فَمَنْ شَاءَ كَذَبَ

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٌ عَرَضُهُ *** وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولُ الْحَسَبِ

ثُمَّ قَالَ أَيُّ بُنَيَّ: وَإِذَا آخَيْتَ فَآخِ مَنْ يُعَدُّ لِنَوَائِبِ الزَّمَانِ.

وَعَلَيْكَ بِذَوِي الْأَلْبَابِ الَّذِي تَقَفَّتُهُمُ الْآدَابُ، وَوَقَّتَهُمُ

الْأَحْسَابُ، فَإِنَّهُمْ أَطِيبُ مُحْتَبَرٍ، وَأَكْرَمُ مُحْتَضِرٍ، وَأَعْدَبُ مُعْتَصِرٍ.

وَاحْذَرْ إِخَاءَ كُلِّ جَهْوَلٍ، وَصُحْبَةَ كُلِّ عَجْوَلٍ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الزَّلَّةَ

وَإِنْ عَرَفَ الْعِلَّةَ، سَرِيعُ غَضَبِهِ، عَالٍ لَهْبُهُ، إِنْ سَأَلَ الْحُفَّ، وَإِنْ

وَعَدَ أَخْلَفَ، يَرَى مَا يُعْطِيكَ غُرْمًا، وَمَا يَأْخُذُ مِنْكَ غُنْمًا، فَهُوَ

يُرْضِيكَ، مَا طَمِعَ فِيكَ، فَإِذَا يَيْسَ مِنْ خَيْرِكَ، مَالٌ إِلَى غَيْرِكَ.

وَفِي مِثْلِهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

لَا تُوَاخِ الدَّهْرَ جَنْسًا رَاضِعًا *** مُلْهَبَ الشَّرِّ قَلِيلُ الْمَنْفَعَةِ

مَا يَنْلُ مِنْكَ فَأَخْلَى مَغْنِمٍ *** وَيَرَى ظَرْفًا بِهِ أَنْ يَمْنَعَهُ
يَسْأَلُ النَّاسَ وَلَا يُعْطِيهِمْ *** ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ مَا أَطْمَعَهُ

ثُمَّ قَالَ أَيُّ بُنَيٍّ: مَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ، وَتَتَبَعَ عَشْرَاتِ الْإِخْوَانِ
قُطْعَةَ صَدِيقِهِ، وَمَلَّهْ رَفِيقَهُ، وَاحْتَمَاهُ الْأَهْلُونَ، وَظَفِرَ بِهِ الشَّامِتُونَ
وَمَنْ سَارَ فِي الْبِلَادِ ثَمَرَ الْمُرَادِ.

وَطَالِبُ الْكَفَافِ بِالْقَنَاعَةِ وَالْعَفَافِ: يَعْيشُ حَمِيدًا، وَيَمُوتُ سَعِيدًا.
وَقَدْ قَالَ النَّابِغَةُ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ *** شَكَا الْفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الْأَدْنَيْنِ كَلًّا وَأَوْشَكْتَ ** صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا
فَسِرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالتَّمَسِ الْغِنَى *** تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ فَتُعْذَرَا
وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ *** مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا
وَلَا تَرْضَ مَنْ عِيشَ بِدُونٍ وَلَا تَنَمْ ** وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ بَاتَ مُعْسِرَا
ثُمَّ قَالَ: وَلَيْكُنْ إِخْوَانُكَ وَأَهْلُ بَطَانَتِكَ أُولِي الدِّينِ وَالْعَفَافِ
وَالْمُرُوءَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، فَإِنِّي رَأَيْتُ إِخْوَانَ الْمَرْءِ يَدُهُ الَّتِي
يَبْطُشُ بِهَا، وَلِسَانُهُ الَّذِي يَصُولُ بِهِ، وَجَنَاحُهُ الَّذِي يَنْهَضُ بِهِ.
فَاصْحَبْ هَؤُلَاءِ تَجِدْهُمْ إِخْوَانًا، وَعَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا.

وَاجْتَنَبِ الصَّغَارَ الْأَخْطَارَ، اللَّثَامِ الْأَقْدَارَ، الَّذِينَ لَا يُحَامُونَ عَلَى
حَسَبٍ، وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى نَسَبٍ، وَلَا يَصْبِرُونَ عَلَى نَائِبَةٍ، وَلَا
يَنْظُرُونَ فِي عَاقِبَةٍ، فَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْكَ فِي رَحَاءٍ سَأَلُوكَ، وَإِنْ رَأَوْكَ فِي
شِدَّةٍ أَسْلَمُوكَ، وَلَعَلَّهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْكَ مَعَ بَعْضِ الْأَعْدَاءِ.
وَاعْلَمْ: بِأَنَّ الرَّجُلَ بِلَا خَدِينٍ، كَذِي الشَّمَالِ بِلَا يَمِينٍ.
وَاخْلِطْ نَفْسَكَ مَعَ الْأَبْرَارِ، وَطَهِّرْهَا مِنَ الْفُجَّارِ، فَالْمَرْءُ يُعْرِفُ
بِقَرِينِهِ.

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُرًّا فَإِنَّمَا *** يُزَيِّنُ وَيَزِرِي بِالْفَتَى قُرْنَاؤُهُ
وَلَنْ يَهْلِكَ الْإِنْسَانُ إِلَّا إِذَا أَتَى *** مِنَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَرْضَهُ نُصَحَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ *** وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ إِذَا قَلَّ مَأْوُهُ
ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ: قَدْ جَمَعْتُ لَكَ مَصَالِحَ نَفْسِكَ، فَاسْتَفْتَحِ اللَّهَ
بِمَسَامِحِ عَقْلِكَ، وَتَفَهَّمْ مَا وَصَفْتُ لَكَ بِالتَّجَارِبِ، تَحْزُ صِلَاحِ
الْعَوَاقِبِ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ تَوَرَّعَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، وَمَنْ
نَظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ نَجَا، وَمَنْ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَمَنْ فَهِمَ
عَلِمَ.

وَفِي التَّوَانِي تَكُونُ الْهَلَكَةُ، وَفِي التَّائِي السَّلَامَةُ.

وَزَارِعُ الْبِرِّ يَحْصُدُ الشُّرُورَ.

وَالْقَلِيلُ مَعَ الْقَنَاعَةِ فِي الْقَصْدِ، خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ السَّرَفِ فِي الْمَذَلَّةِ. وَالتَّقْوَى نَجَاةٌ، وَالطَّاعَةُ مُلْكٌ، وَحَلِيفُ الصِّدْقِ مُوَفَّقٌ وَصَاحِبُ الْكَذِبِ مَخْذُولٌ، وَصَدِيقُ الْجَاهِلِ تَعِبٌ، وَنَدِيمُ الْعَاقِلِ مُغْتَبَطٌ.

فَإِذَا جَهِلْتَ فَسَلْ، وَإِذَا نَدِمْتَ فَأَقْلَعْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَأَمْسِكْ. وَمَنْ لَاقَاكَ بِالْبِشْرِ فَقَدْ أَدَّى إِلَى الصَّنِيعَةِ، وَمَنْ أَقْرَضَكَ الشَّنَاءَ فَأَقْضِهِ الْفَضْلَ.

وَضَعُ - يَا بُنَيَّ: - الصَّنَائِعَ عِنْدَ الْكِرَامِ ذَوِي الْأَحْسَابِ، وَلَا تَضَعَنَّ مَعْرُوفَكَ عِنْدَ اللَّئَامِ فَتُضَيِّعَهُ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ يَشْكُرُكَ وَيَرْصَدُكَ بِالْمُكَافَأَةِ، وَإِنَّ اللَّئِيمَ يَحْسِبُ ذَلِكَ حَتْمًا، وَيَقُولُ أَمْرَكَ مَعَهُ إِلَى الْمَذَلَّةِ.

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا أَوْلَيْتَ مَعْرُوفًا لَيْئِمًا *** فَعَدَّكَ قَدْ قَتَلْتَ لَهُ قَتِيلًا
فَعُدْ مِنْ ذَاكَ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ *** وَقُلْ: إِنِّي أَتَيْتُكَ مُسْتَقِيلًا
فَإِنْ تَغْفِرَ فَمَجْتَرَمٌ عَظِيمٌ *** وَإِنْ عَاقَبْتَ لَمْ تَظْلِمَ فِتِيلًا

وَإِنْ أَوْلَيْتَ ذَلِكَ ذَا وَفَاءٍ *** فَقَدْ أَوْدَعْتُهُ شُكْرًا طَوِيلًا
انتهى ..

نَعَمْ يَا بُنَيَّ:

إِنِّي نَحَلْتُكَ يَا بُنَيَّ نَصِيحَتِي *** فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِي عَلَيْكَ شَفِيق

نَعَمْ يَا بُنَيَّ:

فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي *** وَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

نَعَمْ يَا بُنَيَّ:

إِنِّي نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِنَصِيحَتِي *** وَنَهَيْتُ فَاتَّبِعْ قَوْلَ مَنْ يَنْهَاكَ
وَبَذَلْتُ قَوْلِي نَاصِحًا لَكَ يَا فَتَى *** فَعَسَاكَ تَقْبَلُ مَا أَقُولُ عَسَاكَ
وَأَخْتِمُ لَكَ يَا بُنَيَّ: بِوَصِيَّةِ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ
وَسَيِّدِ الْوَصِيِّينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الْوَصِيَّةُ الْخَالِدَةُ

وَصِيَّةُ

الإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِابْنِهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

وَصِيَّةُ الإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

هَذِهِ وَصِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الَّذِي خَبَرَ الْحَيَاةَ، وَوَقَفَ عَلَى أَسْرَارِهَا، وَذَاقَ حُلُوهَا وَمُرَّهَا، وَعَاشَ آلَمَهَا وَمَصَائِبَهَا وَجَاهَدَ بَاطِلَهَا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَمَا جَاهَدَ انْحِرَافَهَا بَعْدَهُ، عَاشَ فِي ظِلَالِ النُّبُوَّةِ الرَّحِيمَةِ، وَرَشَفَ مِنْ مَعِينِهَا، وَغَاصَ إِلَى عُمُقِ الْأُمُورِ وَبَوَاطِنِهَا، وَحَلَّلَ أَسْرَارَهَا وَأَلْغَاظَهَا، إِنَّهُ وَقَفَ عَلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ وَقَفَّةَ الْعِمْلَاقِ يَنْظُرُ إِلَى خَصْمِهِ الْقَزَمِ فَيَتَرَفَّعُ عَنْ أَنْ يُمَدَّ يَدُهُ إِلَيْهِ، وَتَأْبَى كِبْرِيَاؤُهُ أَنْ تَتَصَاغَرَ إِلَى مُسْتَوَاهُ، وَوَقَفَ مِنْ عُلُوِّ بَتَرَفُّعِ نَفْسٍ وَإِبَاءٍ، يَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ وَيَقْرَأُ مَعَالِمَهَا، يَنْظُرُ إِلَى رِجَالِهَا، إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ وَالْعَدْلِ، إِلَى الْإِعْوَاجِ وَالْإِنْحِرَافِ، إِلَى الْمَبَادِيءِ وَالْمَثَلِ، إِلَى الضَّعَةِ وَالسَّفَالَةِ.

وَقَفَ عِنْدَ كُلِّ مُنْعَطِفٍ يَذْرُسُ ظَوَاهِرَهُ كَمَا يَذْرُسُ بَوَاطِنَهُ
وَيَسْتَخْلِصُ الْعِبَرَ وَالْحِكَمَ كَيْ يُقَدِّمَهَا خُلَاصَةً مَمْلُوءَةً بِالتَّجَارِبِ
النَّافِعَةِ، وَالْوَصَايَا النَّاجِعَةِ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ...
إِنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ مِنْ أَبْلَغِ الْوَصَايَا وَأَقِيمِهَا، وَأَجَلِّهَا وَأَنْفَعِهَا، وَهِيَ
مِنْ أَعْجَبِ الْوَصَايَا، لَاشْتِمَالِهَا عَلَى غَرَائِبِ الْحِكَمِ، وَبَدَائِعِ
الْأَدَبِ.

وَقَدْ قِيلَ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَلَامٌ يُكْتَبُ بِالذَّهَبِ لَكَانَ هَذَا؟
وَلَوْ كُتِبَتْ حِكْمَةٌ بِمَاءِ الذَّهَبِ لَوَجَبَ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ وَيُسْتَضَاءَ
بِهَا.

إِنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ الْقِيَمَةَ الْخَالِدَةَ، بِصِيرَةِ لِمَنْ اسْتَبَصَرَ، وَعِبْرَةً لِمَنْ
اعْتَبَرَ، وَالشَّامِلَةَ لِجَمِيعِ الْقِيَمِ الْكَرِيمَةِ، وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا الَّتِي يَرْقَى بِهَا
الْإِنْسَانُ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِيمَا لَوْ طَبَّقَهَا عَلَى وَاقِعِ
حَيَاتِهِ.

وَهَذَا نَصٌّ مَا جَاءَ فِيهَا مِنْ دُرَرٍ ثَمِينَةٍ....

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

{ مِنْ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ ^(١)، الْمُدِيرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ
لِلدَّهْرِ، الدَّامِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ ^(٢) عَنْهَا
غَدًا، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ
هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ ^(٣)، وَرَهِينَةِ ^(٤) الْأَيَّامِ، وَرَمِيَةِ الْمَصَائِبِ ^(٥)
وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ
الْهُمُومِ ^(٦)، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ ^(٧)، وَنُصْبِ الْآفَاتِ ^(٨)، وَصَرِيحِ ^(٩)
الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ

فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنَتْ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ ^(١٠) عَلَيَّ
وَإِقْبَالَ الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزْعُنِي ^(١) عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالْاهْتِامِ

(١) - بِالتَّعْيِيرِ وَالنَّفَادِ وَالتَّحَوُّلِ وَالْإِنْقِلَابِ.

(٢) - الظَّاعِنُ: الْمُسَافِرُ.

(٣) - غَرَضُ الْأَسْقَامِ: هَدَفُ الْأَمْرَاضِ تَرْمِي إِلَيْهِ سَهَامِهَا.

(٤) - الرِّهْنَةُ: الْمَرْهُونَةُ، أَيْ: أَنَّهُ فِي قَبْضَةِ الْأَيَّامِ وَحَكْمِهَا.

(٥) - أَيْ: لَا تَزَالُ الْمَصَائِبُ تَرْمِيهِ حَتَّى تُهْلِكَهُ.

(٦) - أَيْ: أَخُوهَا وَالْمَلَارِئُ لَهَا...

(٧) - أَيْ: الْمُقَارِنُ لَهَا، حَتَّى لَا تَنْفَكُ مِنْهُ أَبَدًا، لِكَثْرَةِ مَا يَعْرِضُ لَهُ مِنَ الْبَلَايَا وَالْأَسْقَامِ.....

(٨) - نُصْبُ الْآفَاتِ: لَا تُفَارِقُهُ الْعِلَلُ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَلَانَ نُصِبَ عَيْنِي بِالضَّمِّ. أَيْ: لَا يُفَارِقُنِي.

(٩) - الصَّرِيحُ: الطَّرِيحُ.

(١٠) - جُمُوحُ الدَّهْرِ: اسْتِعْصَاؤُهُ وَتَغْلِبُهُ.

بِمَا وَرَأَيْتِي^(٢)، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي
فَصَدَفَنِي^(٣) رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَخْضُ أَمْرِي^(٤)
فَأَفْضَى بِي إِلَى جَدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٌ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ.
وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ
أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي
مِنْ أَمْرِ نَفْسِي.

فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا، مُسْتَظْهِراً بِهِ^(٥) إِنَّ أُنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ
فَنَيْتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ . أَيُّ بُنْيٍّ : - وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ
بِذِكْرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبِ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ أَنْتَ
أَخَذْتَ بِهِ.

(١) - يَزْعُمُنِي: يَكْفِينِي وَيَصُدُّنِي عَنْ أَنْ أَكُونَ ذَاكِرًا لِعَبْرِي.

(٢) - الْاهْتِمَامُ: الْفَتَاةُ مِنَ الْهَمِّ، وَأَرَادَ أَنْ هَمَّ نَفْسِي يَكْفِينِي عَنْ هَمِّ مَنْ بَعْدِي.

(٣) - صَدَفَهُ: صَرَفَهُ.

(٤) - الْمَخْضُ مِنَ الشَّيْءِ: خَالِصُهُ، وَأَرَادَ أَنَّهُ تَمَحَّضَ لِي خَالِصَ أَمْرِي مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتَظْهَرَتْ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فِيهِ.

(٥) - مُسْتَظْهِراً بِهِ: أَيُّ: مُسْتَعِيناً بِهِ.

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِّتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ
بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ^(١)، وَبَصِّرْهُ^(٢)
فَجَائِعَ^(٣) الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامِ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ
قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ مَا فَعَلُوا عَمَّا
انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا..؟

فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الْغُرَبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ
قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ.

فَأَصْلِحْ مَشْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا
تَعْرِفُ، وَالخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ
ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ
وَأَمُرٍ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ
وَبَايِنِ^(٤) مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ، وَلَا
تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ^(٥) إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ

(١) - قَرَّرْهُ بِالْفَنَاءِ: أَيُّ: سَكَنَهُ عَمَّا يَنْزِعُ إِلَيْهِ.

(٢) - بَصِّرْهُ: اجْعَلْهُ بَصِيرًا.

(٣) - الْمَجَائِعُ: جَمْعُ فَجِيعَةٍ وَهِيَ الْمُصِيبَةُ تُفْرِغُ بِحُلُولِهَا.

(٤) - الْمُبَايِنَةُ هِيَ: الْمُبَاعَدَةُ، وَأَرَادَ الْبُعْدَ عَنْهُ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ، وَالْإِمْكَانِ مِنْكَ.

(٥) - الْغَمَرَةُ: كَثْرَةُ الْمَاءِ، وَالْغَمَرَةُ: الرَّحْمَةُ مِنَ النَّاسِ، وَأَرَادَ افْتِتِحَ الْأُمُورِ الشَّدِيدَةِ إِلَى تَبِيلِ الْحَقِّ وَبُلُوغِهِ.

كَانَ، وَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ، وَعَوَّذَ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ
الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ.

وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِيَّاهُ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ
(١) حَرِيْرٍ (٢)، وَمَانِعٍ عَزِيْزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيْدِهِ
الْعَطَاءَ وَالْحَرَمَانَ.

وَأَكْثِرِ الاسْتِخَارَةَ (٣)، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ [عَنْكَ] صَفْحًا (٤)
فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ.

وَاعْلَمْ: أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ (٥)، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ
تَعَلُّمُهُ (٦).

أَيُّ بُنَيَّ: إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا (٧)، وَرَأَيْتُنِي أَرْدَادُ وَهْنًا (٨)
بَادَرْتُ (٩) بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا.

(١) - الكهف: الْمَلْجَأُ.

(٢) - الْحَرِيْرُ: الْحَافِظُ..

(٣) - يَرُوى بِالْخَاءِ أَيُّ: اطلب الخيرة مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ كُلِّهَا.

(٤) - ذَهَبَ عَنِ الشَّيْءِ صَفْحًا إِذَا أَعْرَضَ عَنْهُ.

(٥) - أَيُّ: لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ فِي دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ...

(٦) - أَيُّ: لَا يَحِبُّ تَعَلُّمُهُ، أَرَادَ أَنْ كُلَّ مَا لَا يَجِبُ تَعَلُّمُهُ مِنَ الْعُلُومِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ صَاحِبُهُ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ أَنْفَعُ الْعُلُومِ أَوْجِبُهَا
فَرَضًا، وَأَعْظَمُهَا وَجُوبًا.

(٧) - بَلَغْتُ سِنًا: أَيُّ: وَصَلْتُ النِّهَايَةَ مِنْ جِهَةِ السِّنِّ.

(٨) - الْوَهْنُ: الضَّعْفُ.

(٩) - بَادَرْتُ أَيُّ: أَسْرَعْتُ..

مِنْهَا: قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ^(١) إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ^(٢)، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ^(٣) كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتُهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ، وَيَشْتَغَلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبَلَ بِجَدِّ رَأْيِكَ^(٤) مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتُهُ^(٥) وَتَجَرِبَتُهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِّتَ مَوْوَنَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجَرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ^(٦) لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيُّ بَنِي: إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ،

(١) - أُفْضِيَ: أظْهَرَ لَكَ وَأَحْثَكَ عَلَى فَعْلِهِ.

(٢) - أَيُّ: الْبَعِيرُ الصَّعْبُ الَّذِي يَنْفِرُ وَلَا يَمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ ظَهْرِهِ..

(٣) - الْحَدَثُ: لِصَغِيرٍ مِنَ الرِّجَالِ.

(٤) - جَدِّ رَأْيِكَ: أَعْلَاهُ وَأَقْوَاهُ وَأَعْظَمُهُ تَبَصُّرَةً فِي الْأُمُورِ.

(٥) - أَيُّ: تَسْتَقْبِلُ مَا قَدْ فَرَّغَ أَهْلُ الْخَبَرَةِ عَنْ طَلَبِهِ وَتَحْصِيلِهِ.

(٦) - أَيُّ: اتَّضَحَ.

فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَحِيلَتَهُ^(١)، وَتَوَخَّيْتُ^(٢) لَكَ جَمِيلَهُ،
وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ
الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ^(٣) مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ
الْعُمُرِ^(٤) مُقْتَبِلُ الدَّهْرِ^(٥)، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ
أَبْتَدِيكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ
وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أُجَاوِزُ ذَلِكَ^(٦) بَكَ إِلَى غَيْرِهِ.
ثُمَّ أَشْفَقْتُ^(٧) أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ
وَأَرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ^(٨) عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا
كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرٍ لَا آمَنُ
عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ^(٩)، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ
يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ.

(١) - التَّحِيلُ: الْمُخْتَارُ الْمُصَفَّى.

(٢) - أَيْ: طَلَبْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَجْمَلَهُ وَأَحْمَدَهُ.

(٣) - أَجْمَعْتُ عَلَيْهِ: أَيْ: عَزَمْتُ عَلَيْهِ.

(٤) - مَقْبِلُ الْعُمُرِ أَيْ: فِي أَوَّلِ أَوَانِهِ.

(٥) - أَيْ: مُسْتَأْنَفُهُ، كَأَنَّهُ يَسْتَأْنَفُ الدَّهْرَ..

(٦) - أَيْ: لَا أَعْدِلُ عَمَّا ذَكَرْتَهُ مِنَ الْعُلُومِ إِلَى غَيْرِهَا لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَةِ.

(٧) - أَشْفَقْتُ: أَيْ: خَشِيتُ وَخَفْتُ.

(٨) - اللَّبَسُ: الْخَلْطُ. يَقَالُ: لَبَسْتُ الْأَمْرَ بِالْفَتْحِ أَلْبَسُهُ إِذَا خَلَطْتُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ.

(٩) - الْهَلَكَةُ: الْهَلَاكُ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا^(١) أَنْ نَظَرُوا لَأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ، وَفَكَرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالِإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا فَإِنَّ أَبْتَ نَفْسِكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بَتَفَهُمْ وَتَعْلَمَ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلُقِ الْخُصُومَاتِ.

وَابْدَأْ قَبْلَ نَظْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرِكَ كُلَّ شَائِبَةٍ^(٢) أَوْ لِحْتِكَ^(٣) فِي شُبُهَةٍ، أَوْ أَسْلَمْتِكَ إِلَى ضَلَالَةٍ.

فَإِذَا أُيْقِنْتَ أَنَّ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ وَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هُمُكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظْرِكَ وَفِكْرِكَ، فَأَعْلَمَ أَنَّكَ

(١) - لَمْ يَدْعُوا: لَمْ يَتَرَكُوا.

(٢) - الشَّائِبَةُ: الشَّيْءُ الْغَرِيبُ يَخْتَلِطُ بغيره ويقال ما فيه شائبة لَيْسَ فِيهِ شُبُهَةٌ..

(٣) - أَوْلِحْتِكَ: أَدخَلْتُكَ.

إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشَوَاءُ^(١)، وَتَتَوَرَّطُ^(٢) الظُّلُمَاءُ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ وَلَا مَنْ خَلَطَ، وَالْإِمْسَاكُ^(٣) عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ^(٤).

فَتَفْهَمُ يَا بُنَيَّ: وَصِيَّتِي؟

وَأَعْلَمُ: أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِي هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِي هُوَ الْمُعَا فِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لَتَسْتَقَرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ، وَالْجُزْءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَاعْتَصِمَ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلِيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ^(٥).

(١) - الْعَشَوَاءُ: الضعيفة البصر، وهو مثل فيمن لا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وأصله من سير الناقة التي لا تبصر..

(٢) - الْوَرَطَةُ: الْهَلَاكُ، وغرضه أن تقع في الظُّلُمَاتِ وَهِيَ الْأُمُورُ الْمَلْتَبِسَةُ.

(٣) - الْإِمْسَاكُ عَنِ الشَّيْءِ: حبس النفس عنه..

(٤) - أَمْثَلُ: أَيْ: أَفْضَلُ.

(٥) - أَيْ: لَا تَخَفْ أَحَدًا غَيْرَهُ، وَلَا تَرَاقِبْ أَحَدًا سِوَاهُ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ نَبِيُّنَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَارْضَ بِهِ رَائِدًا^(١)، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا فَإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً^(٢)، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ . وَإِنْ اجْتَهَدْتَ . مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَ تَتَكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرُ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَآيَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَتَّبِتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ^(٣)، وَقِلَّةِ مَقْدَرَتِهِ^(٤)، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

(١) - الرَّائِدُ : من ترسله في طلب الكَلأ ليتعرف موقعه، والرسول قد عَرَفَ عَنِ اللَّهِ وَأَخْبَرَنَا فَهُوَ رَائِدٌ سَعَادَتِنَا.

(٢) - أَيُّ: لَمْ أَقْصُرْ فِي نُصْحِكَ وَلَا مَنَعْتُكَ مِنْهُ شَيْئًا.

(٣) - أَيُّ: ضَعْفُ حَالِهِ.

(٤) - أَيُّ: حَقَارَةُ قُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

يَا بَنِيَّ: إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا
وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا
الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُو عَلَيْهَا.

إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا ^(١) كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا ^(٢)، نَبَأَ بِهِمْ مَنْزِلُ ^(٣)
جَدِيدٍ ^(٤)، فَأَمُّوا ^(٥) مَنْزِلًا خَصِيْبًا وَجَنَابًا ^(٦) مَرِيْعًا ^(٧)، فَاحْتَمَلُوا
وَعَثَاءَ ^(٨) الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ
الْمَطْعَمِ ^(٩)، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ
مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا
قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَذْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ.

(١) - أَيُّ: عرف حالها، وقلبيها ظهرًا لبطن.

(٢) - السَّفَرُ: بفتح فسكون. : القوم المسافرون.

(٣) - نَبَأَ المنزل بأهله: لم يوافقهم المقام فيه لو خامته.

(٤) - أَيُّ: مكان لا خصب فيه وَلَا مرعى لأنعامهم.

(٥) - أَمُّوا: قصدوا.

(٦) - الْجَنَاب، أَيُّ: الناحية.

(٧) - المَرِيْع: بفتح الميم وكسر الراء مأخوذ من المراجعة وهي الخصب.

(٨) - وَعَثَاءُ السَّفَرِ: مشقته.

(٩) - جُشُوبَةُ الْمَطْعَمِ: غلظه، ويقال هُوَ الَّذِي لَا أَذْمَ مَعَهُ.

وَمَثَلُ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيدٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهُ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ^(١)، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

يَابُنَيَّ: اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحِبَّ لَغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمَ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.....

وَاعْلَمْ: أَنَّ الْإِعْجَابَ^(٢) ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ^(٣). فَاسْعَ فِي كَذْحِكَ^(٤)، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ^(٥)، وَإِذَا أَنْتَ هُدَيْتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

(١) - هجم على الشيء: إذا طلع عليه على بغته..

(٢) - البلاغ . بِالْفَتْح . :الكفاية.

(٣) - آفة: علة. والألباب: العقول.

(٤) - الكذح: أشد السعي.

(٥) - خازناً لغيرك: تجمع المال ليأخذه الوارثون بعده.

وَأَعْلَمُ: أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةَ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ^(١)، وَقَدَرِ بِلَاغِكَ^(٢) مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلٌ ذَلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ^(٣) مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاعْتَنِمُهُ وَحَمَلُهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاعْتَنِمْ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَأَعْلَمُ: أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَوُوداً^(٤)، الْمُخِيفُ^(٥) فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ^(٦)، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبطَهَا بِكَ لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدَّ^(٧) لِنَفْسِكَ قَبْلَ

(١) - الطلب لما يصلحك، ويكون عدة لك من هوله.

(٢) - البلاغ . بِالْفَتْحِ . : الكفاية.

(٣) - الْفَاقَةُ: الفقر.

(٤) - كَوُوداً: صعبة المرتقى.

(٥) - الْمُخِيفُ . بضم فكسر . : الَّذِي خَفَّفَ حَمْلَهُ.

(٦) - الْمُثْقِلُ: هُوَ مَنْ أَثْقَلَ ظَهْرَهُ بِالْأَوْزَارِ.

(٧) - ارْتَدَّ: ابْعَثْ رَائِداً مِنْ طُيْبَاتِ الْأَعْمَالِ تَوْفِقُكَ الثِّقَّةَ بِهِ عَلَى جُودَةِ الْمَنْزِلِ.

نُزُولِكَ، وَوُطِّي الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ^(١)، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ^(٢).

وَأَعْلَمُ: أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفُلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ، وَتَسْتَزِيلَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئَكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ، [وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ^(٣)]، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفُضِيحَةُ [بِكَ أَوَّلَى]، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجُرِيْمَةِ، وَلَمْ يُؤَيِّسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ^(٤) عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ بِخَوَاكَ^(٥)، فَأَفْضَيْتَ^(٦) إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْشَشْتَهُ^(٧) ذَاتَ نَفْسِكَ

(١) - أَيُّ: لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ اسْتِزْوَاءٍ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ بَطَلَتْ وَانْقَضَى زَمَانُهَا..

(٢) - مُنْصَرَفٌ أَيُّ: مَرْجِعٌ وَلَا رَدَّ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَإِنَّمَا الْمَرْجِعُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ.

(٣) - الْإِنَابَةُ: الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ.

(٤) - نُزُوعَكَ: رَجُوعَكَ.

(٥) - النَّجْوَى هُوَ: التَّنَاجِي، وَازْدَادَ أَنَّهُ مُحِيطٌ بِمَا تَنَاجِيهِ مِنْ مَهْمَاتِكَ، وَعَالِمٌ بِهَا..

(٦) - أَيُّ: أَظْهَرَهَا عِنْدَهُ وَكَشَفَتْهَا لَدَيْهِ.

(٧) - بَثَّ إِلَيْهِ السِّرَّ إِذَا كَشَفَهُ لَهُ، وَأَظْهَرَتْ لَهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ.

وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ^(١)، وَاسْتَعْنَتْهُ عَلَى
أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ
زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأُبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ
فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالْدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعَمِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ
شَايِبَ^(٢) رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقْنِطَنَّكَ^(٣) إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى
قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لَأَجْرِ
السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ
وَأُوتِيَتْ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ
لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ، فَلَتَكُنْ
مَسْأَلْتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لَا
يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ.

وَاعْلَمْ: أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ
وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ^(٤)، وَدَارِ بُلْغَةٍ^(١)، وَطَرِيقِ

(١) - اسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ: طَلَبْتَ مِنْهُ كَشَفَهَا وَإِزَالَتَهَا عَنْكَ.

(٢) - شَايِبُ: الشُّبُوبُ: وَاحِدُ الشَّايِبِ، وَهُوَ الدُّفْعَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْمَطَرِ، وَمَا أَشْبَهَ رَحْمَةَ اللَّهِ بِالْمَطَرِ يَنْزِلُ عَلَى الْأَرْضِ الْمَوَاتِ
فِيحْيِيهَا.

(٣) - الْقَنْوُطُ: الْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ..

(٤) - أَيْ: تَحْوِيلُ وَارْتِحَالٍ...

إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْتَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَا رَبُّهُ، وَلَا بُدَّ
أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ
سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ...

(١) - الْبُلْعَةُ: الكفاية وما يتبلغ به مِنَ الْعَيْشِ.

[ذِكْرُ الْمَوْتِ]

يَا بُنَيَّ: أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرٍ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي
بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ^(١)، وَشَدَدْتَ
لَهُ أَرْزَكَ^(٢)، وَلَا يَأْتِيكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ^(٣).

وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا^(٤) إِلَيْهَا
وَتَكَاَلِبِهِمْ^(٥) عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ^(٦) لَكَ نَفْسَهَا
وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا.

فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَّةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَّةٌ^(٧)، يَهْرُ^(٨) بَعْضُهَا بَعْضًا
يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ^(٩) مُعَقَّلَةٌ^(١٠)

(١) - أَيُّ: تحزنت منه بمبلغ جهدك وطاقتك.

(٢) - الأزر: القوة..

(٣) - بهر. كمنع. : غلب، أَيُّ: يغلبك على أمرك.

(٤) - تحذير له عن أن ينخدع بما يرى من ركون أهل الدنيا إِلَيْهَا.

(٥) - التكالب: هُوَ التَّوَاتُبُ عَلَيْهَا.

(٦) - نعا: أخبر بموته، والدنيا تخبر بحالها عن فنائها.

(٧) - ضارية: مولعة بالافتراس.

(٨) - يَهْرُ. بِكَسْرِ الهاء. : يعوي وينبح، وأصلها هَرِيرُ الْكَلْبِ، وَهُوَ صَوْتُهُ دُونَ حَاجَةٍ مِنْ قَلَّةِ صَبْرِهِ عَلَى الْبَرْدِ، فَقَدْ شَبِهَ الْإِمَامُ أَهْلَ
الدُّنْيَا بِالْكِلاَبِ الْعَاوِيَةِ.

(٩) - النَّعَم. بالتحريك. : الإبل.

(١٠) - أَيُّ: معقولة، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى الذَّهَابِ وَالتَّصْرِيفِ.

وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ^(١) عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا^(٢)، سُرُوحٌ^(٣)
 عَاهَةٌ^(٤) بِوَادٍ وَعْثٍ^(٥)، لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسِيمٌ^(٦) يُسِيمُهَا
 سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ
 الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوا هَا رَبًّا
 فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا....

* * *

(١) - أَضَلَّتْ: أَضَاعَتْ.

(٢) - أَيْ: دَخَلَتْ فِي مَوَاضِعٍ تَجْهَلُهَا..

(٣) - سُرُوحٌ عَاهَةٌ: وَالسُّرُوحُ: جَمْعُ سَرْحٍ وَهُوَ الْمَالُ السَّارِحُ..

(٤) - الْعَاهَةُ: الْآفَةُ، فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: سُرُوحٌ عَاهَةٌ، أَنَّهُمْ يَسْرِحُونَ لِرَعِي الْآفَاتِ.

(٥) - الْوَعْثُ: الرَّمْلُ الرَّخْوُ الَّذِي تَغِيبُ فِيهِ الْأَقْدَامُ لِرَخَاوَتِهِ.

(٦) - وَالْمُسِيمُ هُوَ: الرَّاعِي، وَأَرَادَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يَكُونُ حَافِظًا لَهَا عَنِ الْمَخْذُورَاتِ، فَجَعَلَ مَا ذَكَرَهُ مِثَالًا لِلدُّنْيَا وَأَهْلِهَا وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ التَّحْفِظِ وَالْإِهْمَالِ.

[التَّرَفُّقُ فِي الطَّلَبِ]

رُوِيَ^(١) يُسْفِرُ الظَّلَامَ^(٢)، كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتِ الْأَطْعَانُ^(٣)، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا^(٤).

وَاعْلَمْ: أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ^(٥) فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمَلْ^(٦) فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رَبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ^(٧)، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمَلٍ بِمَحْرُومٍ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ

(١) - أَيُّ: أَمْهَلُ وَتَأَنَّ.

(٢) - يُسْفِرُ الظَّلَامُ أَيُّ: يَنْكَشِفُ..

(٣) - الْأَطْعَانُ: جَمْعُ طَعْنٍ، وَالطَّعْنُ: اسْمٌ لِلْجَمْعِ كَالْتَّغْرِ وَالزُّمُطِ، فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ طَعْنَكُمْ﴾، فَهُوَ مُصَدَّرٌ، وَالْأَطْعَانُ: الْإِبِلُ الَّتِي عَلَيْهَا الْهُودُجُ، وَالْمَعْنَى فِي هَذَا أَنَا مُسَافِرُونَ، وَكَأَنَّ قَدْ وَرَدَتِ الْأَطْعَانُ مَنَازِلَهَا، وَكَأَنَّ قَدْ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا، وَانْقَطَعَتْ هَذِهِ الْأَسْفَارُ.

(٤) - وَادِعًا: أَيُّ: سَاكِنًا، مِنْ قَوْلِهِمْ: وَدَعَ الرَّجُلُ فَهُوَ وَدِيعٌ أَيُّ: سَاكِنٌ..

(٥) - خَفَضَ فِي الطَّلَبِ: أَرَادَ هَوْنَ الطَّلَبِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا.

(٦) - أَجْمَلَ فِي كَسْبِهِ: أَيُّ: سَعَى سَعْيًا جَمِيلًا، لَا يَحْرَصُ فَيَمْنَعُ الْحَقَّ، وَلَا يَطْمَعُ فَيَتَنَاوَلُ مَا لَيْسَ بِحَقٍّ.

(٧) - الْحَرْبُ هُوَ: اسْتِلَابُ الْمَالِ مِنْ صَاحِبِهِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا..

دَنِيَّةٌ^(١) وَإِنْ سَافَقْتِكَ إِلَى الرَّغَائِبِ^(٢)، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ
مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا^(٣).

وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا.
وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسَّرُ^(٤) لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ^(٥).؟
وَأَيَّاكَ: أَنْ تُوجِفَ^(٦) بِكَ مَطَايَا^(٧) الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ^(٨)
الْهَلَكَةِ^(٩)، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ
فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قِسْمِكَ، وَآخِذُ سَهْمِكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُ....

* * *

(١) - الدَنِيَّةُ مِنَ الْأُمُورِ: مَا يَسْقُطُ الْهَمَّةُ وَيَنْزِلُ الْقَدَرُ، وَأَرَادَ نَزَّهُ نَفْسَكَ عَنِ الْوُقُوعِ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مَسْقُطَةٍ لِقَدْرِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الْخَلْقِ.

(٢) - الرِّغَائِبُ: جَمْعُ رَغِيْبَةٍ، وَهِيَ مَا يَرْغَبُ فِي اقْتِنَائِهِ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ.

(٣) - عِوَضًا: بَدَلًا.

(٤) - الْيُسْرُ: السَّهُولَةُ، وَالْمُرَادُ سَعَةُ الْعَيْشِ.

(٥) - الْعُسْرُ: الصَّعُوبَةُ، وَالْمُرَادُ ضَيْقُ الْعَيْشِ.

(٦) - الْوَجِيفُ: هُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ السَّرِيعِ..

(٧) - الْمَطَايَا: جَمْعُ مَطِيَّةٍ، وَهِيَ مَا يَرْكَبُ وَيَمْتَطِي مِنَ الدَّوَابِّ وَنَحْوِهَا.

(٨) - الْمَنْهَلُ: الْمَوْزِدُ، وَهُوَ عَيْنُ مَاءٍ تَرْدُّهُ الْإِبِلُ فِي الْمَرَاعِي.

(٩) - الْهَلَكَةُ: الْهَلَاكُ وَالْمَوْتُ.

[وَصَايَا شَتَّى]

وَتَلَا فِيكَ^(١) مَا فَرَطَ^(٢) مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ^(٣)
 مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحَفِظْ مَا فِي الْوَعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ^(٤)، وَحَفِظْ مَا فِي
 يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيَّ غَيْرِكَ، وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرُ
 مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحَرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرُ مِنَ الْغِنَى مَعَ
 الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ^(٥)، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ.
 مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ^(٦)، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ
 وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بَيْسَ الطَّعَامِ الْحَرَامُ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ
 أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرَّفْقُ خُرْقًا^(٧) كَانَ الْخُرْقُ رِفْقًا، رُبَّمَا كَانَ
 الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ
 الْمُسْتَنْصَحُ^(٨).

(١) - التَّلَايِي: التَّدَارِكُ لَا صَلَاحَ مَا فَسَدَ أَوْ كَادَ.

(٢) - مَا فَرَطَ أَيُّ: قَصَرَ عَنِ إِفَادَةِ الْغَرَضِ أَوْ إِثَالَةِ الْوَطَرِ.

(٣) - إِدْرَاكَ مَا فَاتَ: هُوَ اللَّحَاقُ بِهِ لِأَجْلِ اسْتِرْجَاعِهِ، وَفَاتَ: أَيُّ: سَبَقَ إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ.

(٤) - بِشَدِّ وَكَائِهَا: أَيُّ رِبَاطِهَا.

(٥) - أَحْفَظُ لِسِرِّهِ: أَشَدُّ صَوْنًا لَهُ وَحِرْصًا عَلَى عَدَمِ الْبُوحِ بِهِ.

(٦) - أَهْجَرَ: يُقَالُ: أَهْجَرَ الرَّجُلُ إِذَا أَفْحَشَ فِي الْمَنْطِقِ السَّوَاءِ وَالْخَنَى..

(٧) - الْخُرْقُ بِالضَّمِّ: الْجَهْلُ وَالْحُمُوقُ. وَقَدْ خَرِقَ يَخْرِقُ خَرْقًا فَهُوَ أَخْرَقَ.

(٨) - وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ: أَيُّ: وَحَصَلَ الْغَشَّ وَالْخَدِيعَةُ مِمَّنْ طَلَبَتْ مِنْهُ النَّصِيحَةَ..

وَأَيَّاكَ: وَالْاِتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى ^(١)، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى ^(٢)، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ، بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أُنْمَى مِنْ كَثِيرٍ لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ ^(٣)، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ ^(٤)، سَاهِلِ الدَّهْرَ ^(٥) مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ ^(٦)، وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرٍ مِنْهُ.

وَأَيَّاكَ: أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ ^(٧).

احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ ^(٨) عَلَى الصَّلَةِ ^(٩)، وَعِنْدَ صُدُودِهِ ^(١٠) عَلَى اللَّطْفِ ^(١١) وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ ^(١) عَلَى

(١) - الْمُنَى: جَمْعُ مَنِيَّةٍ، وَهُوَ: مَا يَتَمَنَّاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، فَحَذَّرَهُ عَنِ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهَا.

(٢) - نَوْكَى: أَيْ: حَقَقَى جَمْعُ أَنْوَكٍ. وَالنُّوْكُ بِالضَّمِّ: الْحَقُّقُ..

(٣) - مَهِينٌ: أَيْ: حَقِيرٌ ضَعِيفٌ، وَالْمَعْنَى: الْإِعَانَةُ إِنَّمَا تَرَادُ مِنْ أَجْلِ تَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ وَإِقْبَاعِهِ، فَإِذَا كَانَ الْمَعِينُ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالْهَوَانِ فَلَا فَائِدَةَ فِيهَا، وَلَا نَفْعَ وَاقِعَ بِهَا.

(٤) - أَرَادَ بِالظَّنِّينَ: إِمَّا الْبَخِيلَ، وَإِمَّا الْمَتَّهَمَ، وَكِلَاهُمَا يَشُوبَانِ الصَّدَاقَةَ، وَيَقْطَعَانِ حَالَهَا، وَيَبْطُلَانِ أَمْرَهَا.

(٥) - سَاهِلِ الدَّهْرَ: خُذْ حِظَّكَ مِنْهُ بِسَهُولَةٍ وَيَسْرٍ.

(٦) - الْقَعُودُ: بَفَتْحٍ أَوَّلُهُ: الْجَمْلُ الَّذِي يَقْتَعِدُهُ الرَّاعِي فِي كُلِّ حَاجَتِهِ، وَلِلْفَصِيلِ، أَيْ: سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا دَامَ مُنْقَادًا وَخُذْ حِظَّكَ مِنْ قِيَادِهِ.

(٧) - الْمَطِيَّةُ: مَا يَرْكَبُ وَيَمْتَطِي. وَاللَّجَاجُ: بِالْفَتْحِ: الْخُصُومَةُ.

(٨) - صَرْمِهِ: قَطِيعَتِهِ.

(٩) - الصَّلَةُ: الْوَصَالُ، وَهُوَ ضِدُّ الْقَطِيعَةِ.

(١٠) - صُدُودُهُ: إِعْرَاضُهُ عَنْكَ.

(١١) - اللَّطْفُ: الْإِزُّ وَالْتَّكْرُمَةُ.

الْبَذْلِ^(٢)، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُو، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

وَأَيَّاكَ: أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِي صَدِيقَكَ، وَامْحُضْ^(٣) أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ^(٤)، فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً^(٥)، وَلِنْ^(٦) لِمَنْ غَالَطَكَ^(٧) فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوْماً مآ، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدَّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشَقَى الْخَلْقِ بِكَ وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهَدَ فِيكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَلَاتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى

(١) - جُمُودُهُ: بخله ومنع جود نفسه.

(٢) - البَذْل: العطاء.

(٣) - المَحْضُ: الَّذِي لَمْ يُخَالِطْهُ غَيْرُهُ.

(٤) - الغيظ: الغضب، وَقِيلَ: هُوَ أَشَدُّ الْغَضَبِ.

(٥) - المغبة: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ..

(٦) - لِنْ: أَمْرٌ مِنَ اللَّيْنِ ضِدُّ الْغُلْظِ وَالْحُسُونَةِ.

(٧) - غَالَطَكَ: عَامَلَكَ بِغُلْظٍ وَحُسُونَةٍ.

الإِحْسَانِ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِّنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ.

وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ:

رِزْقٌ تَطْلُبُهُ.

وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى، إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ^(١)، وَإِنْ جَزَعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ^(٢) مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ.

اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ، وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيْلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ، وَالْبِهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ.

اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ^(٣) جَارَ^(٤)، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ^(٥)، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ

(١) - مَثْوَاكَ: مُقَامُكَ، مَنْ ثَوَى يَثْوِي: أَقَامَ يَقِيمُ، وَالْمُرَادُ . هُنَا . مِنْزِلَتُكَ مِنَ الْكَرَامَةِ.

(٢) - تَفَلَّتَ . بِتَشْدِيدِ اللَّامِ . أَيُّ: تَمَلَّصَ مِنَ الْيَدِ فَلَمْ يَحْفَظْهُ.

(٣) - الْقَصْدُ: الطَّرِيقُ الْمَعْتَدِلُ.

(٤) - جَارَ: مَالَ عَنِ الْحَقِّ وَعَدَلَ.

(٥) - الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ: أَيُّ يَرَاعِي فِيهِ مَا يَرَاعَى فِي قَرَابَةِ النِّسَبِ.

غَيْبُهُ^(١)، وَالْهُوَى^(٢) شَرِيكَ الْعَمَى، رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ
وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّى
الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ، وَأَوْثَقُ
سَبَبٍ أَخَذَتْ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكْ^(٣)
فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكًا، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا، لَيْسَ
كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ
أَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ...

أَخَّرِ الشَّرَّ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ^(٤)، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ
الْعَاقِلِ، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ^(٥) أَهَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ
رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.

سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ.
إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكًا، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ
عَنْ غَيْرِكَ...

(١) - أراد أن الصديق حقيقة من كان صادقاً في حال الغيبة، فيكون حاله في حضورك كحالته في حال غيبتك من النصيحة والمواساة والذب عن العرض.

(٢) - يعني: أن العمى في البصيرة كما هو مهلك للإنسان، فهكذا أيضاً الهوى فإنه مشارك للعمى في هلاك المرء باتباعه وإيثاره.

(٣) - يُبَالِكُ: يحتفل بأمرِكَ ولا يطول بحالك، ولا ير عيك طرفاً.

(٤) - يريد أنما كان يمكن فعله في كل حالة فلا حاجة به إلى العجلة.

(٥) - أعظمه: هابه وأكبر من قدره.

[الرأي في المرأة]

وَإِيَّاكَ: وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ^(١)، وَعَزَمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ^(٢).

وَكَفَّفَ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ.
وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ^(٣).

وَلَا تَعُدُّ^(٤) بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا أَنْ تَشْفَعَ لغيرِهَا.
وَإِيَّاكَ: وَالتَّغَايِيرُ^(٥) فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرَّيْبِ.
وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا^(٦) فِي خِدْمَتِكَ.

(١) - الْأَفْنُ بِالسُّكُونِ: النَّقْصُ وَالْمِتَأْفَنُ: الْمُنْقَصُ، يُقَالُ: فُلَانٌ يَتَأْفَنُ فُلَانًا، أَيِ يَنْقُصُهُ وَيُعْيِيهِ.

(٢) - الْوَهْنُ: الضَّعْفُ..

(٣) - الْقَهْرْمَانُ: فَارِسِي مُعَرَّبٌ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُ التَّصَرُّفَ فِي الْأُمُورِ بِالْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ عَنْ رَأْيِهِ.

(٤) - لَا تَعُدُّ. بَفَتْحٍ فَسُكُونٍ. أَيُّ: لَا تُجَاوِزُ بِإِكْرَامِهَا نَفْسَهَا فَتَكْرُمَ غَيْرَهَا بِشَفَاعَتِهَا.

(٥) - التَّغَايِيرُ: إِظْهَارُ الْغَيْرَةِ عَلَى الْمَرْأَةِ بِسُوءِ الظَّنِّ فِي حَالِهَا مِنْ غَيْرِ مُوَجِبٍ.

(٦) - يَتَوَاكَلُوا: يَتَكَلَّمُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

وَأَكْرَمَ عَشِيرَتِكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي
إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.....

[دُعَاء]

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ
وَالْآجِلَةِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالسَّلَامُ {.....

* * *

تَمَّتِ الْوَصِيَّةُ الْخَالِدَةُ....

قَالَ الْإِمَامُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ: فِي الدِّيَاجِ الْوَصِيِّ فِي الْكَشْفِ عَنْ أَسْرَارِ كَلَامِ الْوَصِيِّ، بَعْدَ شَرْحِهِ لِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ الْقِيَمَةِ الْخَالِدَةِ.

ثُمَّ أَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَ بِالْإِحَاطَةِ بِالْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْحُكْمِ الْأَدَبِيَّةِ، وَالزَّوْاجِرِ الْوَعْظِيَّةِ، وَالْقَوَائِدِ الْوَعِيدِيَّةِ، وَالْأَوَامِرِ الْمُؤَكَّدَةِ، وَالنَّوَاهِي الْمَشْدَدَةِ، لَكَانَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ هِيَ الْجَامِعَةُ لِهَذِهِ الْأَسْرَارِ، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى مِثْلِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِكِتَابِ اللَّهِ سَابِقُ بِذَلِكَ، وَهِيَ تَلُوهُ.. انْتَهَى...

هَذِهِ الْوَصِيَّةُ الرَّائِعَةُ، الْحَافِلَةُ بِجَوَاهِرِ الْحُكْمِ، أَضَاءَتْ جَانِباً كَبِيراً مِنْ مَوَاهِبِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَبَقَرِيَّاتِهِ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ إِلَّا هَذِهِ الْوَصِيَّةُ لَكَفَتْ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى عَظَمَتِهِ، وَمَا يَمْلِكُهُ مِنْ طَاقَاتٍ عِلْمِيَّةٍ لَا حُدُودَ لَهَا.

مَا أَحْوَجَنَا إِلَى أَنْ نَتَلَمَّسَ طَرِيقَنَا إِلَى اللَّهِ، وَنَسْتَضِيءُ بِهِ هَذِهِ الْقَبَسَاتِ الَّتِي أَوْقَدَهَا الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِتَكُونَ نُوراً يُضِيءُ لَنَا هَذَا الطَّرِيقَ الْمُظْلِمَ، وَمَحَطَّاتُ أَمَانٍ فِي هَذَا الدَّرَبِ الْمَخُوفِ.

مَا أَحْوَجَنَا أَنْ نُرَبِّي عَلَى هَذِهِ الْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، صِغَارَنَا
وَكِبَارَنَا.

مَا أَحْوَجَنَا أَنْ نَتَرَبَّى عَلَيْهَا فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَنَعْتَقِدُ فَضْلَهَا
سِرًّا وَجَهَارًا، لَتَظْهَرَ آثَارُهَا عَلَيْنَا لَيْلًا وَنَهَارًا.
مَا أَحْوَجَنَا إِلَى وَعْظِكَ.

مَا أَحْوَجَنَا نَحْنُ الْيَوْمَ، إِلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ، وَهَذَا التَّوْجِيهِ الْكَرِيمِ، مِنْ
الإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّهُ يَرِسُّ مِنْهَا جَائِزًا يَجِبُ أَنْ
نَلْتَزِمَ بِهِ طُولَ حَيَاتِنَا.

مَا أَحْوَجَنَا إِلَى أَنْ نَتَرَسَّمَ خُطَاهُ، وَنَتَلَمَّسَ الْعِزَّةَ فِي طَرِيقِهِ، وَنَسِيرَ
عَلَى نَهْجِهِ، وَعَلَى هُدَاهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ
اقتَدِهِ﴾ غَابَ عَنَّا شَخْصُهُ، فَلَمْ نَسْمَعْ وَلْنَعْيَ هَذِهِ الْوَصَايَا
وَالْقَوَانِينَ الْمُسْتَقَاةَ مِنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ السَّمْحَةِ، وَأَخْلَاقِهِ الْكَرِيمَةِ
فَلَعَلَّ ذَاكَ يَقُومُ مَقَامَ رُؤْيَيْهِ..

مَا أَحْوَجَنَا إِلَى اقْتِفَاءِ طَرِيقِهِ، وَسُلُوكِ سَبِيلِهِ.

وَمَا أَحْوَجَنَا حَقًّا إِلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ، الْغَالِيَةِ لِلِإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَمَا أَحْوَجَنَا إِلَيْهَا فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ، مَا أَعْظَمَ حَاجَتَنَا إِلَى النَّظَرِ فِيهَا
وَالْتَأَمُّلِ فِي أَخْبَارِهَا، لِنَسْتَفِيدَ مِنْهَا لِحَاضِرِنَا وَمُسْتَقْبَلِنَا.

وَمَا أَحْوَجَنَا إِلَيْهَا الْيَوْمَ لِأَنَّهَا حَوَتْ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، وَالنَّفْعِ
الْعَمِيمِ، وَالْآدَابِ السَّامِيَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ.

مَا أَحْوَجَنَا إِلَى أَنْ نَقِفَ أَمَامَ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، لِنَأْخُذَ مِنْهَا
الدُّرُوسَ، وَالْعِظَاتِ وَالْعِبَرَ.

مَا أَحْوَجَنَا وَأَحْوَجَ أُمَّتِنَا إِلَى الْإِهْتِدَاءِ بِهَذِهِ الْبَصِيرَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

مَا أَحْوَجَنَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ لِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَنَحْنُ نَعِيشُ الْآنَ عَصْرًا
طَغَى فِيهِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ، وَحُبُّ الْمَلَذَّاتِ، وَحُبُّ الدُّنْيَا، فَإِنَّ
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُذَكِّرُ بِقَوْلِ اللَّهِ فَلَا يَتَذَكَّرُ!!.

وَيُذَكِّرُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَتَحَرَّكُ
قَلْبُهُ وَكَأَنَّ الْقُلُوبَ تَحَوَّلَتْ إِلَى حِجَارَةٍ..

مَا أَحْوَجَنَا إِلَى اسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الْمَعَانِي وَشَرْحِهَا وَتَأْكِيدِهَا
لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ، إِنَّهَا دُسْتُورٌ وَمَنْهَجٌ فِي فَهْمِ حَقَائِقِ
الْإِسْلَامِ...

فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ عَدَدَ أَنْفَاسِ خَلْقِهِ، وَحَرَكَاتِهِمْ
وَسَكَنَاتِهِمْ.

وَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ يَوْمَ وُلِدْتَ وَيَوْمَ قُتِلْتَ وَيَوْمَ تُخْرَجُ حَيًّا.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا...



وَمِمَّا يُنْسَبُ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَحْسَيْنُ إِلَيَّ وَاعِظٌ وَمَوْدَّبٌ
وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ
أَبْنِي إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُوفٌ بِهِ
لَا تَجْعَلَنَّ الْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا
كَفَلَ إِلَاهُهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ
وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مَنْ تَلَقَّتْ نَاطِرٌ
وَمِنَ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا
أَبْنِي إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ
فَاقْرَأْ كِتَابَ اللَّهِ جَهْدَكَ وَاتْلُهُ
بِتَفَكُّرٍ وَتَخَشُّعٍ وَتَقَرُّبٍ
وَاعْبُدْ إِيَّاهُ ذَا الْمَعَاجِرِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ وَعَظِيَّةٍ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذْلِهِ
إِنِّي أَبُوءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا

فَافْهَمْ فَأَنْتَ الْعَاقِلُ الْمُتَأَدِّبُ
يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَعْطُبُ
فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
وَتُقَى إِلَيْكَ فَاجْعَلْنِ مَا تَكْسِبُ
وَالْمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبِّبُ
وَالطَّيْرُ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تَصَوِّبُ
فَمَنْ الَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ
فِيْمَنْ يَقُومُ بِهِ هُنَاكَ وَيَنْصِبُ
إِنَّ الْمُقَرَّبَ عِنْدَهُ الْمُتَقَرَّبُ
وَأَنْصِتْ إِلَى الْأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ
تَصِفُ الْعَذَابَ فَقِفْ وَدَمْعُكَ يُسْكَبُ
لَا تَجْعَلْنِي فِي الَّذِينَ تُعَذِّبُ
هَرَبًا وَهَلْ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَهْرَبُ
وَصَفُ الْوَسِيلَةَ وَالنَّعِيمَ الْمُعْجَبُ

فَاسْأَلْ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
وَاجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحِلَّ بِأَرْضِهَا
وَتَنَالَ عَيْشًا لَا انْقِطَاعَ لَوَقْتِهِ
بَادِرْ زَمَانَكَ إِنْ هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَاعْمِضْ لَهُ
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلصَّدِيقِ وَكُنْ لَهُ
وَالضَّيْفَ أَكْرَمَ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَارَهُ
وَاجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ
وَاطْلُبْهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
وَاحْفَظْ صَدِيقَكَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
وَاقِلِ الْكَذُوبَ وَقُرْبَهُ وَجَوَارَهُ
يُعْطِيكَ مِنْ فَوْقِ الْمُنَى بِلِسَانِهِ
وَاحْذَرْ ذَوِي الْمَلَقِ اللَّئَامِ فَإِنَّهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَرْءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي

دَارَ الْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ
وَتَنَالَ رَوْحَ مَسَاكِينٍ لَا تُخْرَبُ
وَتَنَالَ مُلْكَ كَرَامَةٍ لَا تُسْلَبُ
خَوْفَ الْغَوَالِبِ إِذْ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
وَتَجَنَّبِ الْأَمْرَ الَّذِي يُتَجَنَّبُ
كَأَبٍ عَلَى أَوْلَادِهِ يَتَحَدَّبُ
حَتَّى يَعُدُّكَ وَارِثًا يُتَنَسَّبُ
حَفِظِ الْإِخَاءَ وَكَانَ دُونَكَ يَضْرِبُ
وَدَعْ الْكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ
وَعَلَيْكَ بِالْمَرْءِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
إِنَّ الْكَذُوبَ مُلَطَّخٌ مِّنْ يُّصْحَبُ
وَيَرْوُغُ عَنْكَ كَمَا يَرْوُغُ الثَّعْلَبُ
فِي النَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَحْطَبُ
وَإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفَا وَتَغَلَّبُوا
وَالنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

الْخَاتِمَةُ:

ثُمَّ إِلَى هُنَا قَدْ انْتَهَيْتُ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى انْتِهَائِي
 أَسْأَلُهُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدًا
 ثُمَّ جَمِيعِ آلِ وَالْأَصْحَابِ
 تَدْوِمُ سَرْمَدًا بِلَا نَفَادٍ
 وَتَمَّ مَا بَجَمْعِهِ عُيِّنْتُ
 كَمَا حَمَدْتُ اللَّهَ فِي ابْتِدَائِي
 جَمِيعَهَا وَالسَّيْرَ لِلْعُيُوبِ
 تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدًا
 السَّادَةَ الْأَيْمَّةَ الْأَبْدَالِ
 مَا جَرَتْ الْأَقْلَامُ بِالْمِدَادِ

المحتويات

٢	مقدمة السيد العلامة: محمد بن عبد الله عوض حفظه الله تعالى.....
٣	مقدمة السيد العلامة محمد بن عبد الله عوض بخط يده المباركة.....
٣	إهداء.....
٦	مقدمه.....
١٠	وبعد.....
١١	يا بني: ها أنت بلغت سن التكليف، فأصبحت رجلاً مسؤولاً عن أعمالك، ومحاسب مجزي عليها.....
١٣	حقوق الوالدين.....
٣٢	وقال الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام:.....
٣٥	وقال الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام:.....
٣٨	قدونك فازعج في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير.....
٤٠	وقال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام:.....
٤١	وقال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام:.....
٤٢	وروى الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام:.....
٤٣	وقال الإمام الهادي عليه السلام في الأحكام أيضاً:.....
٤٣	وعلى الجملة: أنه لا يظهر في ذلك اختلاف.....
٤٣	وقال الإمام زيد بن علي عليهم السلام:.....
٤٤	وقال في الثمرات:.....
٤٩	العقوق.....
٤٩	وأن من عق والديه حرم الله عليه الجنة:.....
٥٢	ومن عق والديه عقه أبناؤه:.....
٥٦	من شروط قبول الأعمال بر الوالدين.....
٦٠	بعض قصص البارين.....
٦٠	ولقد رأيت أنه من تمام الفائدة أن ألق هذا الباب بعض القصص النافعة، التي وزدت في البارين بالوالدين لتكون فيها عبرة لمن يعتبر.....
٦٥	فانظروا يا بني: رحمي الله تعالى وإياكم إلى بركة بر الوالدين ما أعظمها.....
٦٦	ترك الإحسان إلى الوالدين سبب في سوء الخاتمة.....
٦٦	فإليك يا بني: هذه القصة العظيمة، والموعظة البليغة.....
٧٤	فتنة النساء.....
٧٤	الفتنة بالنساء فتنة عظيمة.....
٧٤	يا بني: أعرف أنك الآن بلغت سن التكليف وأعرف وقد مررت بالمرحلة التي أنت فيها وقاسيت منها ما قاسيت - جيداً.....
٧٤	يا بني: ما يُعانيه الشاب في هذه السن وأن مشكلة الشهوة هاجس لا يُفارق خياله.....
٨٩	قصة الشاب العفيف.....
٩٥	قصة التاجر مع المرأة الإفريقية.....
١٠١	قصة النكسل من بني إسرائيل.....
١٠٢	قصة سليمان بن يسار مع الأعرابية.....
١٢٠	قراءة السوء.....

١٣٥	مَجَبَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
١٣٦	الْكَلَامُ عَلَى آيَةِ الْمَوْدَةِ - رَوَاةُ تَفْسِيرِهَا
١٤٥	الرُّوَاةُ لِخَبَرِ الثَّقَلَيْنِ وَالتَّمَسُّكِ مِنَ الصَّحَابَةِ
١٤٧	خَبَرِي السَّفِينَةِ:
١٥٠	الْكَلَامُ عَلَى حَدِيثِ السَّفِينَةِ - مَخْرَجُهُ
١٥٤	وَأَيْنِكَ طَائِفَةٌ مِنْ أَقْوَالِهِمْ فِي ذَلِكَ
١٥٤	أَوَّلُهَا: أَقْوَالُ الْإِمَامِ عَلِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ:
١٥٧	وَتَانِيهَا: أَقْوَالُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ السَّبْطِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ:
١٥٧	خُطْبَةُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:
١٥٩	وَتَالِثُهَا: قَوْلُ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
١٥٩	وَرَابِعُهَا: قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ:
١٥٩	وَخَامِسُهَا: قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
١٦٠	وَسَادِسُهَا: قَوْلُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٦١	وَسَابِعُهَا: قَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
١٦١	وَتَامِنُهَا: قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ:
١٦٢	وَتَاسِعُهَا: قَوْلُ الْإِمَامِ الْقَاسِمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
١٦٣	وَعَاشِرُهَا: قَوْلُ الْإِمَامِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
١٦٤	و (١١): قَوْلُ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
١٦٥	و (١٢): قَوْلُ الْإِمَامِ يَحْيَى بْنِ حَمَّزَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
١٦٨	و (١٣): قَوْلُ الْإِمَامِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَزِيرُ:
١٧٠	قَوْلُ الْمُنَاوِيِّ:
١٧١	قَوْلُ السُّيُوطِيِّ:
١٨٠	قَوْلُ الْأَحْوَدِيِّ:
١٨٢	قَوْلُ الْإِمَامِ الْقُرْطُبِيِّ:
١٨٣	قَوْلُ بَنِ تَيْمِيَّةٍ:
١٨٨	قَوْلُ ابْنِ كَثِيرٍ:
١٨٨	قَوْلُ الْهَيْثَمِيِّ:
١٩٢	قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعَثِيمِيِّ:
١٩٥	قَوْلُ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَجْرِيِّ:
١٩٦	حِكَايَةُ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ:
١٩٨	الْحَسَدُ:
١٩٩	وَقَالَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
٢١١	الْفَيْبَةُ:
٢١٩	قِصَّةُ مَا عَزَّ بَنِي مَالِكٍ
٢٢٢	النَّمِيمَةُ:
٢٢٧	الْصَّدَقُ:
٢٣٠	وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
٢٣٢	وَقَالَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَحْكَامِ:
٢٣٥	الْكَذِبُ:

٢٣٦	وقال: الإمام محمد بن القاسم عليه السلام:
٢٤١	الكبر:
٢٤١	حقيقة الكبر:
٢٥٧	العجب:
٢٦٥	الرياء:
٢٦٦	حقيقة الرياء:
٢٧٦	الإخلاص لله تعالى:
٢٧٦	حقيقة الإخلاص:
٢٨٥	وقال الإمام الهادي عليه السلام:
٢٨٨	قال الإمام الهادي عليه السلام:
٢٩٠	طلب الحلال:
٣٠٩	آداب الكسب:
٣١٠	الاقتصاد في الإنفاق:
٣٢٤	الورع:
٣٣٠	ترك ما لا يعينك:
٣٥٠	طلب العلم:
٣٧٢	التقوى لله سبحانه وتعالى:
٣٧٤	حقيقة التقوى:
٣٨٢	واليك بعض الحكم:
٤١١	[بسم الله الرحمن الرحيم]
٤١١	أما بعد:
٤٢٦	ذكر الموت:
٤٢٨	[التفرق في الطلب]
٤٣٠	[وصايا شتى]
٤٣٥	[الرأي في المرأة]
٤٣٦	[دعاء]
٤٣٧	تمت الوصية الخالدة:
٤٤١	ومما ينسب للإمام علي عليه السلام: